بسم الله الرحمن الرحيم

سِلْسِلَةُ كَيْفَ نَقْرَأُ التَّأْرِيخَ (١)

مَوْرُوثَاتٌ تَحْتَ المِجْهَرِ

قِرَاءَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ ضِمْنَ مَنْهَجِيَّةٍ خَاصَّةٍ

د. السَّيِّد حُسَيْن المُوسَوِي الصَّافِي

الاهداء:

الى من حمل سؤدد وهيبة وحلم... جده المصطفى ﷺ

الى من تحمل الصعاب وقدم الغالي والنفيس؛ لاجل احياء الامة...

الى مولاي الامام الحسن المجتبى عليه السلام

اقدم بضاعتي المتواضعة هذه...

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين

سار علمائنا الأبرار على نهج أئمتهم الأطهار عليهم السلام في معالجة وحلحلة المسائل العالقة، واستنباط الأحكام في جميع الأصعدة ضمن آلية علمية اجتهادية محكمة، مصدرها الأساسي القرآن والمعصوم عليه السلام حتى افرزت عندهم اصول يحتكمون بها ومراجع يرجعون إليها، ولم يسمحوا للأهواء والاستحسانات الفردية والمصادرات أن تتوغل في أدبياتهم ومناهجهم، بل يتعاملون معها ضمن الدليل والموضوعية، ومن الملفت أنّ الاجتهاد والبحث العلمي لم يتوقف حتى في المسائل التي اتفق عليها الأغلب واكتست بثوب الشهرة واعتادت عليها الأذهان والسلوكيات بعد حقب طويلة من الزمن، كما نلاحظ ذلك في المسائل الفقهية وغيرها، حيث انّ البحث العلمي الموضوعي ذات الأدلة المقنعة المعذرة هو الحاكم والقول الفصل، كما قد لاحظنا مسألة طهارة الكتابي مثلاً في أروقة تراث الفقهاء، وغيرها من المسائل، ناهيك عن

المسائل في العلوم الأخرى عقدية كانت أم تاريخية أم غيرهما، حيث تبقى الساحة الفكرية مُشرَّعة أبوابها لروادها ضمن الأُطر العلمية المحكمة، والدليل هو الحاكم والمعذر، والفصل عند الله كما في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾. وايضا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾. وهذا ما تلقينا واعتدنا عليه من قرآننا الكريم ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ وأيضا من نبينا العظيم صلى الله عليه وآله وأئمتنا الأطهار عليهم السلام وعلمائنا الأبرار، فلم تُحتكر الساحة الفكرية بزاوية معينة وليس من الصحيح أن تسود الدكتاتورية الفكرية وتَفَشّي الارهاقات العلمية والنزعات الفردية في أوساطنا حيث أنّ لها عواقب وتداعيات وخيمة غير محمودة الأثر، فقد تؤدي الى انقطاع الحركة الفكرية والسير العلمي والرقي التكاملي، ومن ثم تفشي وانتشار الجهل والسذاجات والنزعات الشخصية وما شاكلها، مما تفرز عواقبها السلبية في أوساطنا. فلم تتطور العلوم الطبيعية كما هي اليوم الا بفتح ابواب العلم والنقاش والتحقيق... وهكذا يحصل التكامل والرقي في كل المجالات بعدما يُعطى للعقل الحرية ضمن الضوابط العلمية في البحث والتحقيق والنقد والتحليل... ومن ذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يدعو الى التفقه بجميع العلوم الدينية ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ ومن ضمنها التأريخ الاسلامي وتفعيل آلية الاجتهاد والجد والنقاش والتدقيق والاستنباط للوصول الى النتائج الصائبة أو القريبة من الواقع، وليس مجرد قراءة سطحية سردية، ولذلك نجد أن الفقة بعدما نال الحظ في تفعيل آلية الاجتهاد قد اثمر وانتج بدرجة كبيرة لاسيما وانّ

التاريخ الاسلامي بمعناه العام[1]، حيث أنّه قد مرّ في حقب زمنية عصيبة في جميع الاصعدة الثقافية والسياسية، فهناك أقلام مأجورة واقلام مقهورة واقلام مغرضة، اضافة الى النقولات الساذجة والتخيلات الواهية، مع ضعف المستلزمات العلمية والموارد التوثيقية آنذاك، فهذا وغيره مما يفرز لنا تراثاً واهياً مليئاً بالتُرهات والسذاجات، كما يلاحظ ذلك من خلال أدنى مراجعة تمعنية. فبعد توفيق المولى وفيوضات أهل البيت عليهم السلام جاء بحثنا الموسوم بإسم (موروثات تحت المجهر) ضمن آلية بحثية ومنهجية متقنة في قراءة التاريخ؛ ليصحح جانب من ثغرات التاريخ الاسلامي، ويناقش بعض الموروثات التي تعاقبت عليها الدهور حتى توغلت في اذهان الكثير وتشربت في معتقداتهم واصبحت افكارا مسلمة، مع ما فيها من مؤاخذات ومناقضات ومخالفات للمبادئ، وما فيها من صور غير لائقة في بُعد الحضارة الاسلامية، وعمق الشريعة المحمدية وتماشيها مع العصور ومتطلباتها... ونسأل المولى تعالى ان تنعم البشرية بالبحث والتدقيق والجد والاجتهاد في جميع العلوم الاسلامية لاسيما التاريخ الاسلامي لكونه المرآت للمستقبل والمرجع للعلوم الأخرى.

حسين الصافي

٢٧/ رجب/ ١٤٤٢هـ

قم المقدسة

(١) المراد بالتاريخ الاسلامي العام مما يشمل السير والحديث وما شاكلها من النقولات التي اوجدها المختصون وغيرهم في الحقب الزمنية المنصرمة سواء كانت أحداث أم غيرها.

(مبحث تمهيدي)
منهجية قراءة التاريخ الاسلامي

تمهيد

عند ظهور الحركة الاسلامية الخاتمة وتوسع رقعتها في ربوع شبه الجزيرة العربية وما حولها حصلت جملة من الاحداث والمواقف ايجابية كانت ام سلبية في مجالات متعددة وعلى اصعدة مختلفة ولها ارتباط وثيق وحميم في سير الحركة المعاصرة ومتطلبات ادواتها التكاملية، حيث اسس النبي الخاتم صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام قواعد ممنهجة وخطوات مستحكمة؛ لتسلكها الاجيال وتحذوا مرامها، ومن هذا المنطلق حاول الاعداء تشويه هذه الحقائق وتغيير هذه المواقف واعطاء قواعد ومطالب للامة كاذبة ومغلوطة، لا سيما وان التاريخ عاش حقبا طويلة في احضانهم، وكتب بحس أهوائهم وسياساتهم الخبيثة، فقد اختلط التاريخ الاسلامي بالغث والرديء والكاذب وما شاكله. ولا يخفى ان امتنا تتغذى من تاريخ الاسلام سواء من مواقف واقول النبي صلى الله عليه وآله ام من اهل بيته عليهم السلام وصحابتهم الميامين، فلابد ان يكون المُقتَبس يمت الى الواقع بصلة وينطق عن الحقيقة ليس ما كتب باسم المعصومين عليهم السلام او اصحابهم الابرار

بشكل مغلوط ومزيف. وعلية لابد ان تقرأ المواقف التأريخية بآلية اجتهادية ذات منهجية معينة للوصول الى الحقائق والمواقف الصحيحة.

انقلاب الصورة

من اهم المشاكل التي تعيشها البشرية هي انقلاب الصور والحقائق وخلط الاوراق والموازين لا سيما في نقل الاخبار والحوادث، حيث ترد الاذهان معكوسة او متناقضة لا سيما اذا مرّ عليها دهرا وذلك اما لدواع خاصة سياسية ام غيرها او لجهل مطبق على الصعيد الفردي والاجتماعي. وهذا ما يعاني منه المجتمع المعاصر مع ما فيه من تقدم كبير في المجال التقني ونقل وتوثيق الحوادث بوسائل متعددة، حيث اصبح الاطلاع على العالم منحصرا في دار صغيرة وبالامكان بنفس اللحظة تتطلع على الاحداث، مع أنّ هناك تسابق في هذا المجال، من وسائل الاعلام والوكالات وما شاكلها، لكن مع كل هذا يعاني الجميع من عدم صحة المعلومة، وخلاف واقعها، حيث يطغو عليها التحليل او الجوانب السياسية المغرضة، وقلما نحصل على الحقيقة والواقع المنشود ولذلك جاءت الشريعة الاسلامية مؤكدة كتابا وسنة في التحري عن صحة الاخبار وعدم قبولها إلا بعد ثبوتها كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ الْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[1]. حيث يوصي سبحانه في

(١) النساء:٩٤

تفعيل آلية التحقق والتحري في كل الاحوال فقد جعل آلية التبين من الاولويات في حياة المؤمنين سواء في المجال العسكري ام غيره. لا سيما اذا كان الخبر من فاسق او مغرض او غير ضبط فقد اشار سبحانه اليه في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[1]. ومثال آخر من سنة المعصوم عليه السلام ما جاء في خصال الصدوق بالحديث المسند عن ميسر ابن عبد العزيز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو يقول: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين الحق والباطل؟ فقال: أربع أصابع، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على اذنه وعينيه فقال: ما رأته عيناك فهو الحق وما سمعته أذناك فأكثره باطل[2]. وهذا من باب أولى يشمل النصوص التأريخية والحديثية وغيرهما.

صحة ما في الكتب

اختلفت الشيعة الامامية عن غيرهم من الذاهب الاسلامية في الجملة عن بيان قاعدة عامة مفادها ان لا يوجد كتابا غير القرآن كله صحيح من الفه الى يائه من دون استثناء لا سيما في المجال الحديثي، فليس لنا ان نحكم ان كل احاديث هذا الكتاب سواء كانت مسندة او مرفوعة أو غير ذلك، كلها صحيحة، بل لابد ان تخضع الى ميزان علم الحديث والرجال والدراية وتغربل وتبحث في محلها، لاسيما التي لها مساس في الفقه والعقيد. وعليه وضعت

(١) الحجرات:٦

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٣٦

علوم معينة في الجرح والتعديل والتضعيف والتوثيق وعلم الحديث والرجال والدراية ودونت موسوعات ومؤلفات كثيرة من قبل الاعلام في هذا المجال، وهو ما يدل على عدم الجمود بصحة كل ما جاءت به الكتب الحديثية. ومن ذلك اختلفت الانظار والافهام بين الاعلام من المذهب الواحد في قبول الحديث من تضعيفه ومن رده وتعارضه وضعف سنده وهلم جرا وربما يكون سليم السند والطريق ولكن يخالف مضمون القرآن والشريعة فيسقط عن الاعتبار، وكيف كان نريد ان ندلي بما نروم اليه من ان الاحاديث المبثوثة في التراث الحديثي سواء في الكتب الاربعة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) ام غيرها لا نحكم بصحتها جميعا بل تخضع الى البحث والتحقيق في المجالات السندية والدرائية والدلالية وغيرها من الأدوات.

مرجعية التاريخ

يمتاز علم التأريخ الاسلامي بمرجعيته وعموميته عن باقي العلوم الإسلامية ويتضح ذلك من أدنى مراجعة ومقارنة بينه وبين باقي العلوم حيث لا يوجد علم من هذه العلوم الا ونلاحظ قد افتقر الى التأريخ ورجع الى كثير من مطالبه، ولنا ان نأخذ بعض الامثلة كما في علم الفقه مثلا فهو بشكل كبير يرتبط بالمسائل التأريخية حيث ان الاستنباط في واقع امره يعتمد على مصدرين اساسيين الكتاب وسنة المعصوم عليه السلام باقسامها الثلاث فعند الرجوع اليها لابد ان يرجع الى التأريخ لمعرفة فضاء نزول الآية او الرواية وبيان تاريخ الرواية وصحة نقلها ومضمونها وتوثيق رواتها وتاريخ المعتمدين عليها وهكذا هلم

جرا. فنلاحظ ان للتأريخ في هذا المجال الحصة الاكبر، وهكـذا الحـال في علـم الكلام حيث انه يعتمد على رحم الشريعة وما ادلى به المعـصوم عليه السلام والمـدارس الكلامية في عصر المعصوم عليه السلام وما بعده ولذلك نجد انّهـما (المـذاهب الفقهيـة والفرق العقدية) علمين مهمين في سير الحركة الدينية، فقد اخذا حيـزا واسـعا في صدر الاسلام الى يومنا الراهن، حتى حصلت لذلك مدارس متعددة، ذات ابعاد ومناهج ورؤى مختلفة وتعد هذه المدارس عبارة عن مراحل تاريخية مهمة في عصرنا للباحثين والعلماء حيث أنّ في باب الدليل والبراهين والحجج يرجـع اليهما في هذا الباب،، بل لا بـد مـن الرجـوع الى التـاريخ الاسـلامي في تحديـد المطالب العلمية المعاصرة، والا يلزم قراءة جديد للـدين مـن دون الرجـوع الى المعصوم عليه السلام. وعليه أنّ الحركة العلمية المعاصرة لها ارتبـاط بالتـأريخ مـؤثر في واقعنا المعاصر لا يمكن ان ينفك عنه بحال من الأحـوال بـل حلقـة مترابطـة. ومما يدل على ذلك أننا لو فتحنا أي كتاب من الكتب الدينية او سمعنا محـاضرا او خطيبا فيستحيل ان يخلو من مطالب تاريخية سواء كانت عبارة عن نـصوص حديثية او غيرها. فالمائدة التي تتغذى منها الامة وتتـأدلج مـن خلالهـا اكثرهـا مطالب تأريخية سواء كانت في مجال الاخلاق او العرفـان او غيرهمـا، فهـي مـا حـصل وورد عـن المعـصومين عليهم السلام او اصـحابهم او الاوليـاء او الانبيـاء عليهم السلام واوصيائهم ودواليك.

فتحصل ان التأريخ لا سيما الاسلامي ذات مرجعيـة عامـة لبـاقي العلـوم الدينية فينبغي ان يعطى اهتماما واسعا وكبيرا في اروقة المؤسسة الدينية المحافـل العلمية.

أقسام التعامل مع التاريخ

التعامل مع التأريخ ذات ابعاد مختلفة واهداف متباينة فمنهم من يقرأ التاريخ للاطلاع على الماضي وما حصل في القرون الماضية والامم الخالية وهو ما يسمى بالقراءة السردية، ولا يبالي القارئ في صحة الخبر من عدمه او اختيار نوع المصدر وما شاكله، فقط للاطلاع على الماضي كما هو مدون ومكتوب من قبل المؤرخين، وهذه الشريحة من القراء هي السائدة في اوساطنا والكثير منهم يرتب اثرا في ما تلقاه من مضان التاريخ في بطون الكتب، وربما يؤدلج الامة في سير سلوكها وتأثر افكارها. ومنهم من يقرأ التأريخ بالطريقة النقدية التمحيصية حيث لا يقتنع بكل ما دون عن الماضي وانما يقف متحريا ومدققا ومحققا في ابعاد نقل الحوادث من صحتها او عدمها فليس كل ما نقل ودوّن هو حق وواقع حيث يتعامل معه بعقلية وآلية اجتهادية مرتكزة على قواعد واصول علمية ثابتة وهذا ما يسمى بالقراءة النقدية التمحيصية، وما اندرها في مجتمعنا وبين اوساطنا العلمية ولذلك حصلت في تراثنا جملة من التناقضات والترهات والاباطيل.

سفسطات تاريخية

هناك جملة من الوقائع والاحداث ذكرها لنا المؤرخون واصحاب السير لم تمت الى الواقع بصلة وانما عبارة عن اساطير وخيالات وهمية موضوعة ليس لها حصة في واقع الخارج المنصرم، بل تتبع اهداف وسياسات مغرضة للحصول على اهداف ومصالح معينة ضمن سلسلة حقب عاشها المسلمون فليس من

الصحيح ان تؤخذ هذه النصوص على اطلاقها من دون تَحَرّ وبحث ودراسة ضمن منهجية معينة للوصول الى حقيقتها او عدمها والتمييز بين الحقائق الواقعة من غيرها كما هو شأن بعض العلوم من قبيل اهداف العلوم الفلسفية في بيان الوجوادات الحقيقية من الخيالية المزعومة كالعنقاء وما شاكلها، فهكذا الحال في حقائق التاريخ منها موضوعة وضرب من الخيال والاوهام ومنها لها واقع. فهناك مسائل تاريخية أو غيرها قد عشعشت في اذهان المؤمنين والمتلقين سواء كانوا من الطبقات المثقفة بل العلمية ام من شريحة العوام، لا سيما التي ترتبط بالمقاتل والسير، حيث تتعاقب على ذكرها الاجيال وتتناقلها الالسن حتى تتحول من وهم وخيال الى حقيقة ثابتة لا يشوبها الشك ولا يحتويها الغبار، من دون بحث في مصادرها أو تمعن في متنها ومقارنة توافقها مع سياقاتها؟ فخلف الزمان كثير من الموروثات المتناقضة في ذاتها المخالفة في منطقها ولمام شتاتها وطغى عليها كثرة النقل حتى جعلها وصيّرها من البديهيات المُسَلّمات، وهذا يعبر عن مدى الضعف العلمي وتراجع البحث الموضوعي.

الآلية الصحيحة لقراءة التأريخ

من أهم العلوم التي يحتاجها الانسان في رسم خارطة المستقبل وتوخي العقبات، والاضرار المتوقعة والسير قدما في معترك الحياة وغير ذلك من الفوائد، هي دراسة التأريخ والوقوف على الاحداث والتجارب المنصرمة لاسيما وان هذه سنن الهية تعيد نفسها في العصور والامصار بمواقفها وافعالها وليس بالضرورة بجزئياتها واقوامها، كما اشار لذلك المولى سبحانه وتعالى:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[1]. فقد جاء في تفسير القمي حيث يقول: حالا بعد حال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطئون طريقتهم شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع... الخ[2]. وكما في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ اي لتسلكن سبل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء[3]. وفي هذا المعنى روايات كثيرة من الفريقين.

فعليه ينبغي قراءة التأريخ بشكل دقيق معتمدا الموضوعية والعلمية لاثبات وقائع الاحداث أو القرب منها لاسيما وان تاريخنا عاش فترة طويلة في أحضان الظالمين والمغرضين واثبات حقائقه يحتاج جدا واجتهادا.

كيف نقرأ التأريخ

نلاحظ مع الاسف الكثير من العلماء والمختصين يتعاملون مع التاريخ والسير بالاسلوب السردي والاعتماد على النقول وما تداولته الالسن والاقلام وما شاكلها من سيناريوهات ولم نجد منهجية معينة يتبعها الباحث في هذا المجال وانما يكتفي بما هو مبثوث في صفحات الكتب، وهذا في الحقيقة لا يوصل الى البت أو الوقوف على الوقائع الحاصلة، وعليه لابد ان نقف هنا على سبيل الاختصار لذكر جملة من الخطوات التي تساعد على اثبات صحة حصول الوقائع والاحداث في التاريخ الاسلامي.

---

(١) الانشقاق: ١٩

(٢) تفسير على بن ابراهيم القمي، ج٢ ص٤١٣.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي، ج١ ص٣٦٩.

قواعد لقراءة التاريخ

هناك جملة من القواعد والخطوات التي تساعد على سير البحث العلمي في مضامين التاريخ والوصول الى الاهداف المنشودة التي يروم إليها الباحث، وقد نجملها في هذه السفر ونترك التوسعة لمحلها ان شاء الله تعالى.

أوّلاً: التمييز بين الاحداث والوقائع الكلية من الجزئية

هناك احداث وقعت في مراحل التاريخ الاسلامي سواء كانت في طيات الماضي البعيد ام المعاصر القريب، ويمكن لنا ان نقسمها الى قسمين:

الاول: الاحداث الكلية: وهي ما نقصد بها الوقائع العامة التي تحتوي على مصاديق جزئية كثيرة، من قبيل بعثت النبي صلى الله عليه وآله او هجرته صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة أو غزوة بدر واحد وغيرهما او صلح الحديبية او السقيفة او صلح الامام الحسن عليه السلام او معركة صفين، أو ثورة الحسين عليه السلام وغيرها من الحوادث العامة التي وقعت في مراحل التاريخ، وايضا في التاريخ المعاصر من قبيل ثورة العشرين أو الغزو الامريكي للعراق وما شاكلها. وهذه الاحداث بهذه العناوين لا يمكن اخفائها عادة والتلاعب بها بما هي عناوين عامة، بل تداولتها الاجيال وتناقلتها الاذهان وتعد من المسلمات الحسيات البديهيات.

الثاني: الاحداث الجزئية: وهي ما تحصل عادة من الاحداث الكلية وتعد من مصاديقا وجزئياتها من قبيل كيف هاجز النبي صلى الله عليه وآله ليلا ام نهارا أو من الذي هاجر معه ومن استقبله، او في الغزوات من الذي صمد مع النبي صلى الله عليه وآله او من السبب في انتكاسة غزوة احد، او من بارز عمر بن عبد ود العامري، او

جزئيات ثورة عاشوراء وهكذا من الاحداث الجزئية الكثيرة. بتعبير آخر: هي عبارة عن مصاديق وجزئيات الأحداث العامة، وهذا الاحداث قابلة غالبا للتحريف والتغيير، بل والاعفاء لا سيما اذا كانت تعارض سياسات واهداف الحكومات المعاصرة لها آنذاك، ومن هنا ياتي دور الجد والاجتهاد والبحث والتدقيق والاعتماد على الادلة والشواهد والقرائن وغير ذلك للخلوص الى صحة او عدم هذه الجزئيات من وقائع التاريخ المعاصر كان ام الماضي.

الثاني: ملاحظة الزمان بين المؤرخين

من الخطوات التي ينبغي اتباعها في اثبات الواقعة من عدمها هي ملاحظة زمان المؤرخ فكلما كان اقرب لواقعة الأحداث كان اقرب للصواب واجدر للجوب، وذلك بما تحصل له من الشواهد والادلة سواء كانت شفاها او كتابة ام غيرها من القرائن. فعندما ناتي الى المؤرخين نجد منهم قدماء في القرن الثاني والثالث والرابع وهناك من هم في القرن السابع والثامن وحتى بعد الالف الهجري بلا ريب الاوائل من المؤرخين اجدر عادة واضبط بالاخذ منهم، ومراجعة اسفارهم؛ لقربهم من الوقائع المنشودة ولكون المتأخرين عادة عيال عليهم، في حال كان الكلام عن الاحداث المعاصرة لصدر الاسلام.

الثالث: ملاحظة المكان بين المؤرخين

ايضا من جملة الخطوات التي تساعد على سير البحث العلمي والوصول الى الحقيقة ملاحظة مكان المؤرخين فكلما كان اقرب للواقعة من الناحية المكانية كان افضل ممن هو ابعد منها مكانا وان تعاصرا زمانا، من قبيل محمد بن جرير

الطبري السني المتوفي سنة ٣١٠هـ. مع احمد ابن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤هـ فهما في عصر واحد من الناحية الزمانية ولكن يختلفان من الناحية المكانية حيث ان الطبري من طبرستان منطقة آمل وسنة ٢٩٠هـ سافر الى العراق بغداد وتوفي فيها، بخلاف ابن اعثم فهو من سكنة الكوفة فحديثه عن حوادث الكوفة وكربلاء افضل مما هو يبعده مكانا في الأعم الأغلب؛ لتوفر الشواهد والقرائن وما توارثه القوم من آبائهم وحتى الكتب والمخطوطات لا سيما في العصور القديمة التي لم يوجد فيها التواصل عن بعد وتوثيق الوقائع وما شابهها كعصرنا الراهن، وحتى انتقال الكتب حينذاك كان صعب الانتشار في البلدان كما هو عليه اليوم، وربما هذا احد الاسباب الذي جعل المفيد ﵀ ياخذ من الطبري بدل من ابن اعثم الكوفي في ذكره لبعض الاحداث. اضافة الى ذلك أنّ ابن البلد أدرى بشعابها واجدر في فهم منطق أبنائها.

الرابع: عرض النصوص التاريخية على القرآن والسنة

لا بد ان نخضع لمرجعية وامامة القرآن الكريم والسنة الشريفة في كل حركاتنا وبحوثنا لا سيما البحوث المختلف فيها ولا يقتصر الامر على المسائل العقدية والفقهية، بل حتى في المطالب التاريخية وغيرها فهناك جملة من الوقائع التي ذكرها التاريخ لم تحظ بتأييد من قبل القرآن اوسنة النبي الاكرم ﷺ واهل بيته ﵈، من قبيل ما ذكره الطبري وتابعه الشيخ المفيد وغيره من العلماء من ان الحسين ﵇ طلب من عمر بن سعد الرجوع الى المدينة أو مبايعة يزيد بن معاوية أو الالتحاق في جيش عبيدالله بن زياد. كما جاء في نص عبارته، (أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني

أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفى هذا لكم رضى وللأمة صلاح)[1]. وغيرها مما لا يقبلها القران الكريم لكونها من الركون للظالمين وايضا مخالفة لسيرة أهل البيت عليهم السلام لاسيما الحسين عليه السلام القائل كما عن ابن أعثم الكوفي: إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمثله...[2]. والحمد لله افردنا بحثا مستقلا لبحث هذه الجزئية وردها بالادلة العلمية الموضوعية وان شاء الله ستأتي في محلها.

الخامس: ملاحظة المؤرخ من الناحية العقدية

يوجد عدد كبير من المؤرخين لهم ميولات وتوجهات عقدية معينة ولم يتبعوا في تراثهم المهنية الموضوعية والعلمية المحايدة، وهذا ما يعكس بطبيعة الحال على مداد اقلامهم وبيان الحوادث التي تنسجم مع توجهاتهم واعتقاداتهم وميولاتهم الفكرية والعقدية، بل ربما يغير الوقائع بما تنسجم مع اهدافه ومقاصده وهذه من الافات التي اصيب بها التاريخ الاسلامي وأدى الى خلط الاوراق فهناك اقلام مأجورة وبعضها مقهورة. فلابد ان يلاحظ هذا الجانب ويؤخذ بعين الاعتبار.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤ ص٣١٣. الارشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٨٧.

(٢) الفتوح، احمد ابن أعثم الكوفي، ج٥ ص١٤

السادس: ملاحظة المؤرخ من كونه ناقل او معتقد

هناك بعض المؤرخين ينقلون الحوادث كما وردت ووصلت اليهم من دون ان يؤخذ فيها مدى اعتقادهم وميولاتهم، بل يتعامل معها بامانة النقل حتى اذا كانت تخالف معتقده او هو غير معتقد بوقوعها، بل هو يكتب بعنوان محدث وراو ليس بعنوان محقق، وهذا ربما يختلف باختلاف المؤرخين واحيانا يتعامل المؤرخ مع النصوص بازدواجية في بعض النصوص حيث يتعامل مع بعضها مجرد ناقل وراو، وبعضها الآخر يتعامل معها باسلوب النقد والتحقيق، فلا بئس ان تلاحظ هذه الجنبة.

السابع: جمع الشواهد والقرائن

ينبغي للباحث في مفردات التاريخ وجزئياته ان يعتمد في سير بحثه وقراءته الادلة والشواهد والقرائن ـ سواء كانت حالية ام عقلية ام لفظية ـ الموصلة لصحة الحادثة ام عدمها وهذا يحتاج الى جهود ومطالعات حثيثة وتاملات كي يفرغ ذمته مما توصل اليه بقناعة وثبات حيث تكون بمثابة الفتوى في مجال التأريخ. فمن ضمن الشواهد او الادلة اذا وجد هذا النص التأريخي او مضمونه ما نقل عن معصوم مثلاً خصوصا اذا كان معنعنا بسند معتبر. او وجد لهذا النص تأييد من الكتب القديمة المعاصرة للمعصوم عليه السلام او حصل بعض الشواهد بالدلات الالتزامية وهكذا.

الثامن: الزمان والمكان من الناحية السياسية

هناك نصوص تاريخية تؤثر بها الاهواء السياسية والضغوطات الامنية،

فنلاحظ المؤرخ يتجنب المخالفات السياسية ويغير في وقائع الحوادث التاريخية جلبا لرضاية السلطات الحاكمة او دفعا للاضرار المتوجه اليه فلابد ان يدرس النص في هذه الحالة من ملاحظة اهواء السياسات الحاكمة في أي زمان وفي أي مكان مثلا اهواء السياسات الاموية معروفة وبعدها الاهواء العباسية فينبغي ان يلاحظ المؤرخ في أي زمان وايضا في أي مكان، هل هو أي المؤرخ في مندوحة من امره او يواجه مضايقات وما شاكلها.

التاسع: ملاحظة الحوادث المسندة من غيرها

عندما نرجع الى تراث التاريخ الاسلامي بالخصوص نجد هناك من المؤرخين يكتبون ضمن منهجية الاسناد فلا يكتفون في ذكر الحوادث بالارسال او غيره، بل يحرصون على نقله بالسند الى وقت محل الحادثة او قريب منها كما نراه في الجملة عند الطبري وغيره، بخلاف البعض امثال البلاذري وغيره حيث ينقلون النصوص وكانهم وكالت انباء، قالوا؟ فينبغي للباحث في هذه الناحية ان يراجع مستندات المؤرخين ويعطيهم الاهمية اكثر من غيرهم.

فذلكة الكلام

فتحصل من كل ما تقدم أنّ ثبات ذلك الحداث من عدمه يحتاج الى جهود علمية كبيرة ضمن حلقات متعددة ذات مناهج معينة واصول محكمة على غرار آليات استنباط المسائل الفقهية حيث تعاملوا معها ضمن قواعد اصولية وفقهية، اضافة الى علم الرجال والدراية للوصول الى الصواب والحصول لا أقل على المعذرية وهذا يُعد من منشأ تفعيل آلية الاجتهاد في الفقه الاسلامي

وهكذا تواكبت عليه الأزمنة وتعددت فيه الاجيال وازداد تطوراً وعمقاً وسعةً. فينبغي الحال ايضاً في باقي العلوم الاسلامية ان تفعل فيها آلية الجد والاجتهاد والموضوعية والمنهجية وما شابه ذلك.

وفي هذا السفر ان شاء الله نتناول بعض الاحداث التأريخية التي اخذت حيزا واسعاً في اذهان الناس منذ قرون طويلة حتى تأدلجت في نفوسهم وسلوكهم ولم يكن لها حظ في صقع الوجود والخارج ولم تؤخذ من بوصلة علمية موضوعية وانما تناقلت في الالسن من خلال سماع او قراءة سردية سطحية حتى نالت مرتبة الشهرة وشملتها القاعدة المعروفة (رب مشهور لا أصل له) والخلل راجع الى ضعف آلية التعامل مع التأريخ مع ما يحويه من أهمية قصوى لا سيما التأريخ الاسلامي المعبر عنه بكونه مرآت المستقبل وصانع الاجيال، ويعد بالنسبة لنا الدستور والمنطلق في جميع شؤون حياتنا المادية والمعنوية حيث نتغذى منه في سلوكنا وحياتنا بشكل مستمر ويُعد تاريخ قادتنا وأُسوتنا المعصومين عليهم السلام والاولياء كما نسمعه من الوعاظ والخطباء والمحدثين وغيرهم، فيلزم ان يكون صحيحاً نقياً فإنّه يُعدّ بمثابة الغذاء الذي تتقوى وتنبت به الأجساد المعنوية والسلوكيات الفردية والاجتماعية كما اشار لذلك القرآن الكريم واكد عليه المعصوم عليه السلام ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾ فقد فُسرّ (الطعام) بالعلم كما جاء في الكافي ومن سبقه: عن زَيْدٍ الشَّحَّام عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِه**﴾ قَالَ قُلْتُ مَا طَعَامُه قَالَ عِلْمُه الَّذِي يَأْخُذُه عَمَّنْ يَأْخُذُه[1]. أي ان العلم طعام للجسد

(١) المحاسن، البرقي، ج١ ص٢٢٠. الكافي، الكليني، ج١ ص٥٠

المعنوي والأخروي فيلزم ان يكون سليم وغير فاسد كي لا يفسد الجسد ويهلك أو يصعب علاجه. فينبغي ان تكون منهجية واصول محكمة لقراءة التأريخ والوقوف على حقائقه وابعاده وما نضعه بين دفتيك معالجات لبعض الاخطاء الشائعة المنسوبة الى التأريخ ضمن دراسة موضوعية علمية محايدة مُتّبعون فيها تطبيق خطوات منهجية قراءة التأريخ ونسأل المولى القدير السداد والتوفيق والقبول وأن يكون مفتاحاً لتنقيح التراث وباباً لفتح دراسات وحلقات علمية اجتهادية في علوم التاريخ وما سواه من العلوم الاسلامية على غرار الحركة العلمية في الفقه الاسلامي وهو الولي النصير.

المبحث الأول

ادامان في طبق واحد؟

تمهيد

ان شاء الله سنقف في أول هذا السفر على واحدة من الموروثات التي تربينا على سماعها منذ نعومة أظفارنا وترسخت في اذهاننا، وهي رفض الامام أمير المؤمنين عليه السلام أن يجمع أكثر من ادام على مائدة افطاره ليلة التاسع عشر من شهر رمضان ومن ثم نهي وحذر عن الطعام المستطاب وايضا اللباس كما سيأتي مفصلاً ان شاء الله تعالى، وطالما يكررها الخطباء والاعلام في حال ذكر زهد الامام امير المؤمنين عليه السلام وآخر افطار له في بيت ابنته ام كلثوم التي تشير بعض النصوص التأريخية انها زينب عليها السلام.

ام كلثوم وإفطار الامام علي عليه السلام

يردد كل الخطباء على مر العصور وكرّ الدهور في كل ليلة من التاسع عشر من شهر رمضان بيان افطار الامام امير المؤمنين عليه السلام وكيف كان يوزع لياليه ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين عليه السلام وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج

ام كلثوم (قول آخر عبد الله بن عباس). فكان الامام عليه السلام في تلك الليلة من التاسع عشر من شهر رمضان عند ابنته ام كلثوم، وتذكر كيف قدمت لأبيها الافطار المكون من قرصي شعير وقدح لبن وملح الجريش، فوبخها الامام عليه السلام ولامها عندما رآه يحتوي على اداميين وامرها برفع أحدهما كما سنذكر ان شاء الله نص المتن المنقول. وليس فقط الخطباء يرددون هذه الحادثة بل حتى العلماء في حال استشهاداتهم في زهد الامام عليه السلام. وكيف كان فقد يستخلص المتكلم من خلال هذا النص أنّ الإمام عليه السلام بهذا المستوى من مواساة الفقراء والضعفاء وقد ضرب مثالا ساميا في الزهد.

نص متن الرواية

ذكر العلامة المجلسي ومن عاصره رواية ليلة ضربة الامام امير المؤمنين عليه السلام والاحداث السابقة لها ومن جملتها مبيته في بيت ام كلثوم وسرد قصة افطاره عليه السلام عندها ونحن أخذنا محل الشاهد منها حيث قال: قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاء شديدا عاليا، وقال: يا بنية ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما قد أسأت أنت إلي، قالت: وماذا يا أباه؟ قال: يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عز وجل يوم القيامة أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين

يدي الله عز وجل يوم القيامة يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وقد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أن جبرئيل عليه السلام نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا محمد السلام يقرؤك السلام ويقول لك: إن شئت صيرت معك جبال تهامة ذهبا وفضة، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة، قال: يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: إذا لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوما وأشبع يوما، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد. ثم قال عليه السلام: يا بنية الدنيا دار غرور ودار هوان، فمن قدم شيئا وجده، يا بنية والله لا آكل شيئا حتى ترفعين أحد الإدامين، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش... الخ[1].

مفاد النص

نستخلص من النص المذكور اعلاه ثلاثة أحكام على أقل تقدير اشار اليها الامام أمير المؤمنين عليه السلام من خلال فحوي ومضمون كلامه:

الأول: حرّم على نفسه أنّ يأكل أكثر من ادام في المائدة وعلل هذا الحكم بأنّه يؤدي الى المحاسبة الإلهية كما نلاحظ في ظاهر النص: (... قال: يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عز وجل يوم القيامة... الى أن يقول: لا آكل شيئا حتى ترفعين أحد

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٤٢ ص٢٧٦ ومن جاء بعده.

الإدامين، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش). وهـذا يشير بوضوح الى أنّ الامام عليه السلام لا يأكل أكثر من ادام. مع أنّه سيأتي ان شـاء الله من خلال سيرته المباركة خلاف ذلك.

الثاني: ان هذا الحكم من تحـريم أكـل ادامـين في طبـق واحـد ينطبـق عـلى رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أن الامـام عليه السلام جعـل ذلـك (مـن علـة التحـريم) اتبـاع واقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله؛ فانه كان لا يأكل أكثر من ادام في مائدة واحدة كما هو ظاهر من فحوى ونص كلامه عليه السلام حيث يقول في النص المذكور اعلاه: (... أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحـد إلى أن قبضه الله...). وهذا ايضاً مخالف لسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كـما سـيأتي ان شاء الله تعالى.

الثالث: اعطى الامام عليه السلام حكماً عاماً في النهـي والحـذر عـن أكـل وشرب الطيبات وأيضاً الطيب في لبس الثياب؛ فإنّ ذلك يؤدي الى العقـاب ولـو عـلى نحو الاطالة في الوقوف بين يدي الله عـز وجـل. وهـذا ممـا يفهـم مـن ظـاهر كلامه عليه السلام وايضاً من سياق النص حيث يتحدث عن نفسه انّ يعيش التقـشف في الاصناف الثلاثة المأكل والملبس والمشرب (حتى اذا كان كل ذلك من عـرق جبينه وما فيه شائبة الحرام) كما هو ظاهر من نص حديثـه عليه السلام المـذكور اعـلاه، حيث يقول: (... يا بنية ما من رجل طاب مطعمـه ومـشربه وملبـسه إلا طـال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة...). وسيأتي ان شاء الله ان كـل ذلـك خلاف الى ما يدعو اليه القـرآن الكـريم والنبـي صلى الله عليه وآله وأهـل بيتـه عليهم السلام وايـضاً خلاف سيرتهم المباركة.

تاريخ ولادة النص

توثيق الحوادث التأريخية وغيرها عادة ما تؤخذ عن طريق شهود عيان او المعاصرين للحدث وبالدرجة الثالثة القريبين زماناً ومكاناً من وقائع الاحداث، ومع هذا نجد الكثير من التناقضات وعدم التطابق لا سيما في عصرنا مع كل التقدم التقني في توثيق الاحداث ورصدها فكيف بحادثة مر عليها قرون ودهور ولم نجد من ينقلها ويذكرها الا بعد سنة الالف من حدوثها، حيث ذكرها العلامة المجلسي ﵀ ومن عاصره من دون اسناد او ذكر كتاب ينقلها او مؤرخ او محدث نعم هناك بعد العلامة من رفعه الى لوط بن يحيى من دون ذكر سلسلة وعنعنة سند او كتاب وهذا في الواقع وبكل الموازين العلمية لا يمت الى البحث العلمي الموضوعي بصلة فهناك ضوابط وموازين علمية للتعامل مع قبول النصوص والوقائع من عدمها، فهذا النص التاريخي وليد ما بعد الالف من السنة الهجرية ولم نعثر على ناقل له في القرون الاولى او الوسطى وحتى في القرن التاسع نعم ظهر في عصر العلامة المجلسي ﵀ في القرن الحادي عشر الهجري.

اذن هذه الرواية وليدة العصور المتأخرة فبينها وبين كاتبها وراويها ألف سنة ولم نجد لها جذورا قبل ذلك نعم ذكرها جملة من الاعلام الذين جاؤوا بعد العلامة المجلسي ويسندونها اليه فهي لم تكن سقيمة أو خالية من السند بل عارضة على التراث الحديثي بعد عشرة قرون.

نبذة عن العلامة المجلسي

العلامة المجلسي ﵀ هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي ولد في اصفهان سنة ١٠٣٧هـ، وتوفي في السابع والعشرين من شهر رمضان ١١١١هـ وكان عمره ٧٣ عاما، وقد أرخوا تاريخ وفاته بهذه العبارة (غم وحزن) وقد تم دفنه في الجامع العتيق بأصفهان. عاصر الدولة الصفوية وبالتحديد في زمن حكومة الشاه عباس الأول. أبوه الشيخ محمد تقي المجلسي من أعيان الشيعة ومجتهديهم. أمّه بنت صدر الدين محمد عاشوري القمي والتي تنحدر من بيت علم وفضيلة. من مشايخه واساتذته، والده محمد تقي المجلسي، والملا محمد صالح المازندراني صاحب شرح اصول الكافي، والملا محسن الفيض الكاشاني والحر العاملي صاحب الوسائل وغيرهم من الاعلام[1].

لقب بالمجلسي وسبب ذلك اما ان جده مقصود علي كان اديبا ويثري المجلس في عباراته ره الجذابة فسمي بالمجلسي. او لكونه يقطن في قرية من قرى اصفهان تسمى (مجلس) فاشتهرت العائلة بهذا اللقب وهو سائد في الاوساط الاجتماعية لا سيما الايرانية عادة ما يلقبون علمائهم وشخصياتهم السياسية وغيرها بحسب مناطقهم ومحافظاتهم كالشيرازي والزنجاني وهلم جرا. للعلامة المجلسي تراث يصل الى اثنين وعشرين مؤلف وقيل أكثر من سبعين عنوانا، من ضمنها موسوعة بحار الأنوار التي تحتوي على ١١٠ مجلد وهو من الكتب الحديثية عبارة عن نقل أحاديث اهل البيت ﵈ مع بعض التعليقات والتحليلات. والهدف من ذكر هذه الترجمة المختصرة لناقل النص

(١) آقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج١، ص١٥١

هو لاجل بيان أن راوي هذه النص بعيد عنه زماناً طويلاً يصل الى الف سنة وايضاً يبعده مكاناً حيث أنه من أهالي أصفهان ايران التي تبعد عن الكوفة مئات الكيلو مترات.

الادلة على عدم اثبات هذا النص

اعتاد الباحثون والمحققون ان يحققوا في المطالب العلمية ويبحثونها في جوانبها المتعددة لا سيما الجانب السندي والجانب المتني الدرائي وخصوصا في المسائل الحديثية وهذا ما يعطي الثمرة الدقيقة في التعامل مع النصوص والاخذ بها من عدمه وعلى غرار هذا سنقف ان شاء الله حول الجوانب السندية ثم الحيثيات المتنية والسياقية وما شابهها.

مناقشة الجانب السندي

بعد ما ثبت من خلال نصها أنّ الرواية لم تحتو على سند كي نتحقق من صحته او سقمه وانما ذُكرت على طريقة القول والتلقي، فهي في هذا الجانب سالبة بإنتفاء الموضوع، نعم سنذكر ان شاء الله ملاحظات حول حيثيات نقل الرواية بالنسبة للراوي وغيره.

الاول: خلوه من السند

تعامل العلماء مع النصوص لا سيما الحديثية في الاعم الاغلب من بوصلة السند ورجاله ومدى توثيقه وتصحيحة بحسب رواته، واخذ هذا الجانب حيزا واسعاً في اروقة اهل العلم والتحقيق، كخطوة أولى في غربلة ومعرفة الحديث

ومدى انطباقه وقربه للواقع والصواب، وهذا لم نجده في النص المبحوث مما يضعفه ويسقطه عن الاعتبار، حيث لم نجد انه يحضى بسند عن الامام عليه السلام او السيدة ام كلثوم أو غيرهما، بل أخذ على نحو المقولة في قرون متأخرة كثيراً كما تقدم: حيث قال: قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش... الخ. وهذا مما يفقده من الاعتبار والأخذ.

الثاني: فاقد للجذور

عند مراجعة جذور تراث الحديث وغير الحديث لم نعثر بمثل هذا النص اطلاقاً لا في الكتب الأربعة ولا في غيرها، وايضا لم نجده في تراث القداما لا في القرون المعاصرة للمعصوم عليه السلام ولا القرون الوسطى ولا التي بعدها وحتى في القرن السابع والثامن الى العاشر لم يوجد لهذا النص أثر وانما هو وليد ما بعد القرن العاشر أي بينه وبين ولادته ما يقارب ألف سنة، ولا يدرى هل هو حيك من خيال الأذهان أو فلتات الأفواه أو غير ذلك.

الثالث: بعد الراوي زماناً عن الحدث

تقدم من خلال ترجمة راوي النص ان هذا النص التاريخي لم يكن له ذكر في عصر المعصوم عليه السلام ولا بعده، بل ولا حتى في القروان الوسطى من التأريخ الهجري بعد الرسالة كالقرن السابع او الثامن وانما هو ما بعد الالف للهجرة وعلى هذا الحال يعد بمثابة المعاصر او قريب منه فلابد ان يخضع للمرجع

والاسناد كما هو المألوف في البحوث العلمية لا سيما الحديثية، حيث بينه وبين الحدث ألف سنة على أقل التقادير.

الرابع: بعد الراوي مكاناً عن الحدث

راوي هذا النص العلامة المجلسي ﵀ او غيره؛ إضافة الى انه بعيد من الناحية الزمانية، فهو كذلك بعيد من الناحية المكانية فلم يكن من أهالي الكوفة مثلا او المدينة التي ينسب اليها النص والواقعة كي نقول لا أقل: إن اهل مكة أدرى بشعابها، او تداولته الاجيال، ولو كان بعيدا كل البعد ولكن ممكن ان يعطي احتمالا ولو ضئيلا من باب حصول نسخة قد وقعت بيده او غير ذلك، ولكن العلامة المجلسي ﵀ كان من اهالي اصفهان بالأصالة ولم يكن عارضا فيها، وكان من القومية الفارسية. وهذا ضمن مناهج قراءة التأريخ والضوابط العلمية البحثية يعطي بعدا اخر بضعف قبول النص.

مناقشة الجوانب الدلالية

لم نجد منفذا لا قريباً ولا بعيداً في تطبيق مضمون هذا النص على القواعد والمراجع التي رسمتها الشريعة السمحاء، لا من الناحية الأخلاقية ولا من غيرها، او تطابقها مع القرآن أو التأريخ أو غيرهما كما سيأتي مفصلاً.

انعكاسات مغلوطة عن الزهد

للزهد قراءات متعددة ولكن مع الاسف ظن الكثير ان الزهد هو ان تعيش حالة من التقشف سواء في المسكن او الملبس او المأكل ولو كنت تمتلك

الاموال الخاصة بك ومن عرق جبينك فليس لك ان تسكن مع اسرتك في بيت واسع ونظيف ومؤثث او تركب مركبا هنئ او تلبس لباسا جميلا وهذا ما جعل المغرض ام غيره ان يرسخ هذه المفاهيم والمضامين في سلوك المؤمنين وعزلهم عن الواقع الاجتماعي وتناسوا توصيات النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام كما جاء في المحاسن للبرقي المتوفى سنة (٢٧٤هـ) عن رسول الله قال: من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع[١]. وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله: من سعادة الرجل المسلم المركب الهنئ[٢]. بل اصبح حال مسألة الزهد حال اللحى التي انتحلها الكثير لأغراض مشبوهة فاصبح الحال اذا لم تكن لحيته طويلة ففيه دلالة على ضعف ايمانه او خروجه منه وكلما كانت لحيته طويلة فهو المؤمن المقدس حتى اصبحت هذه الظواهر الشكلية سببا للسرقات والضحك على الذقون وغفلوا من ان الدين الواقعي هو السلوك الحسن والصدق مع الله ومع الناس كما عليه عشرات الآيات ﴿**قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾. فلم يقل سبحانه هذا يوم ينفع المتقشفين تقشفهم. او ينفع اصحاب اللحى لحاهم... فما اطول لحى الدراويش وبعض المشعبذين؟ هل نقول انهم يعكسون الدين الواقعي الحقيقي؟.

نعم هناك دستور إلهي واحكام تنظم شؤون البشر على الصعيد الفكري والسلوكي. وعليه فهذا النص التاريخي المختلق يريد ان يضرب مثلا للزهد في

(١) المحاسن. احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٦١١.

(٢) المحاسن. احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٦٢٥.

امير المؤمنين عليه السلام بهذا المستوى: من ان الامام عليه السلام لا يأكل اكثر من ادام وايضا النبي صلى الله عليه وآله والمعصوم عليه السلام بشكل عام كما في المتن، (... أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة... الخ)، بل الامام عليه السلام كان قد افطر على قرص الشعير والملح الجريش، والعجيب كيف يكون الملح اداما؟ لا سيما لرجل تجاوز الستين من عمره كما هو خلاف توصيات المختصين؟ نعم في الروايات ان يبدأ به بشيء قليل ويختم به، وليس ان يجعله غموسا وحيدا في مائدته، وهذا ما لم نسمع به ونتصوره، وكثيرا ما يحذر منه المختصون في وضعه على الطعام او الاكثار منه خصوصا لمن تجاوز الاربعين. والاعجب من ذلك كله يقولها القائل خطيب كان أم غيره بكل حماسة وتفاعل ويتلاعب بالمشاعر ثم بعدها ينزل من الاعواد وتوضع امامه الموائد الغنية بما تشتهي الانفس وتلذ ومن ثم يخرج ممتطيا مركبا فاخرا، ويأوي الى بيت واسع مزخرف، ولا اعرف إذا كان معتقدا بكلامه وصحة هذا النص؟ وايضا معتقدا بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾. فلماذا الازدواجية؟ هل ان الدين فقط تلاعب بالمشاعر والعبارات والفارغة والمثاليات؟ او هو يتحاكا مع الواقع الخارجي الفعلي. وان شاء الله سنثبت ان النبي الاكرم والامام امير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام في سيرتهم انهم عليهم السلام يأكلون من كل الطيبات ويسكنون في دور واسعة وعندهم ضيعات وغير ذلك مما احله الله، كما سيأتي إن شاء الله ان الزهد ليس ان تُفَقّر وتقتر

وتحرم على نفسك وتترهب وتنعزل من الواقع الاجتماعي وألا تملك شيئا، بل الزهد هو ان لا يملكك الشيء وان لا تتكبر وتستعلي على من هو دونك، بل يكون الغنى سببا لمساعدة المحتاجين وخدمة الناس كما هو ديدن اهل البيت عليهم السلام. حتى قالوا: زاهد غني أفضل من زاهد فقير.

ما هو الزهد؟

نقف عند ذكر نبذة وجيزة في بيان ماهية مفهوم الزهد وأبعاده والمراد منه في المجال اللغوي والاصطلاحي وما قال عنه أهل البيت عليهم السلام. فعند المراجعة والمطالعة في هذا المجال لم نجد هناك فرقا بين المختصين من اصحاب اللغة وغيرهم في معنى الزهد بل تعريفاته متقاربة فهو عبارة عن عدم التعلق في الدنيا ومستلزماتها فقد جاء في اللسان:

الزُّهد والزَّهادة في الدنيا ولا يقال الزُّهد إِلَّا في الدين خاصة، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأَشياء كلها: ضد الرغبة[1]. فيكون بهذا المعنى حيث يرجع أصل كلمة الزّهد إلى فعل زهِد ومعناه أعرض أو تخلّص من التّعلق بشيءٍ معين، فيقال زهد فلان في الأمر أي أعرض عنه فلم يعد يشغل باله.

فتحصل: أن الزهد في أبعاد اللغة لم يتعلق بالعمد الى التقشف ورفض الطعام المحتوي على أكثر من ادام.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص١٩٧.

أمّا بالمعنى الاصطلاحي فالزّهد هو عدم التعلق بالدنيا وملذّاتها باعتبارها أمراً زائلاً، والرّضا بالقليل منها والقناعة بدون تكلّف، فيُقال الرّجل زاهد أي ورع، وصغرت الدّنيا في نظره فهانت عليه فلم يكترث لها، وعظمت الآخرة في نظره وفكره واعتقاده، فأعطاها جلّ اهتمامه وعزيمته. ولذلك عرفه امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: (أيّها النّاس، الزّهادة قصر الأمل، والشّكر عند النّعم، والورع عند المحارم)[1]. بان لا يكون الانسان طويل الأمل، ومعنى طول الأمل ان يأمل الانسان ان يبقى في الدنيا طويلا ويرغب في نعيم الدنيا، فان ذلك يوجب التكالب عليها مما ينسى الآخرة فلا يعمل العمل اللائق بها (والشكر عند النعم) لان الزاهد نظره إلى الآخرة وكلما كان نظر الانسان إلى الآخرة يكون متوجها إلى الله سبحانه مما يوجب شكره لكل نعمة للالتفات الحاصل له، وذلك دون غير الزاهد الَّذي هو أقل التفاتا أو عديم الالتفات (والورع عن المحارم) أي الاجتناب عنها، فان الزاهد يعرف عظم خطر المحرمات فيجتنب عنها بخلاف غير الزاهد. وجاء في امالي الصدوق رحمه الله عن حفص بن غياث النخعي القاضي، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: ما الزهد في الدنيا؟ فقال: قد حد الله عز وجل ذلك في كتابه فقال: ﴿**لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2]. وهو عبار عن عدم التعلق في امور الدنيا بحيث تتألم لفقد شيء او تفرح لحصوله. وايضا جاء في الكافي: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام لَيْسَ الزُّهْدُ

(١) نهج البلاغة، ص١٣٠

(٢) الامالي، الشيخ الصدوق، ص٧٤١.

فِي الدُّنْيَا بِإِضَاعَةِ المَالِ ولَا تَحْرِيمِ الحَلَالِ بَلِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا عِنْدَ الله عَزَّ وجَلَّ[1]. وهذا تعريف للزهد أجلى واوضح. ولذلك قلب الآيات والروايات يمينا وشمالا لم تجد فيها دعوة الى رفض اكل الطعام او كراهة الجمع بين ادامين او استحباب السكن في خربة وما شابه ذلك بل نجد خلاف ذلك فهي توصي الانسان بان يأخذ نصيبه من الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ**﴾. بل طالما نجد القرآن والروايات تدعوا الى اكل الطيبات ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾. وغيرها من الآيات والروايات فلم نجدها تحبذ على المؤمن ان يحرم على نفسه أكل الطيبات او لبس الجديد، نعم ان لا يتعلق في ملذاتها وتكن همه الشاغل فيها او الغرور والاسراف والطبقية وما شاكل ذلك، وانما يعيش التواضع ومجالسة الفقراء والتفكير بقضاء حوائج المؤمنين حيث تكون وسيلة ومزرعة للآخرة. فبعد هذا ما هو ربط الزهد في التقشف والابتعاد عن اكل الطيبات اذن فهذه من التطبيقات الخاطئة لمفهوم الزهد وهذا مع الاسف انجر على واقعنا الاجتماعي واوجد حالة من التناقضات والانشراخ في اوساط المجتمع الاسلامي.

عرض النص على القرآن

لا يختلف مؤمنان على ان النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام هم قرءان ناطق وترجمان القرآن واول الناس تطبيقاً لأحكامه ومضامينه فعندما نستعرض هذا

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥ ص٧١.

النص (من تحريم ولو بشكل شخصي تناول ادامين او أكثر ا في مائدة واحدة، وان كل من طاب له المطعم او الملبس طال وقوفه وهو نوع من العذاب) على مضامين القرآن الكريم لم نجد له توافق في كثير من الآيات سواء في المطعم ام الملبس او بشكل عام بل نجد الاسلام يدعو الى عدم التقشف الاختياري، بل الى السعة وان ما خلق سبحانه هو للمؤمنين بالدرجة الاولى في الدنيا ويشاركهم الكافرين كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾. فاذا خلقها الله للمؤمنين واستنكر تحريمها والاعراض عنها لماذا الامام امير المؤمنين عليه السلام كما في النص يرفض شرب اللبن ويكتفي بالملح الجريش وقد حذر من اكل ادامين في طبق واحد حتى استنكر على ابنته ام كلثوم عليها السلام (السيدة زينب كما عند المؤرخين) عندما قدمت له في افطاره ادامين في طبق واحد؟ نعم حرم سبحانه الفواحش من اكل حق الناس والبطر والتبذير والتكبر وما شابه ذلك. ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ...**﴾ وهناك جملة من الآيات والمولى يخاطب عبادة بأكل الطيبات منها قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾. وأيضاً قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾. ومنها ما ذكر من تلبس الانبياء عليهم السلام بها، فعندما جاء الملائكة على هيئة بشر الى نبي الله ابراهيم عليه السلام لحظات قدم لهم مائدة فاخرة حيث ذبح لهم عجلا كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾. وغيرها من الآيات الكثيرة التي يدعوا فيها القرآن الكريم

عباده لأكل الطيبات، والحفاظ على الجسم؛ لأنه امانة عند الانسان ويحتاج الى بروتينات وفيتامينات وسوائل وغيرها وكل ذلك ليس له دخل في العدل الايماني والخلقي.

نعم هنالك برنامج غذائي استعرضه الاسلام ضمن الية معينة حفاظا على الجسم من الهلاك من قبيل الحذر من كثرة الطعام والحث على المضغ وغيرهما كما هو مدون في محله وليس محل ذكره هنا.

وايضا الحال في الملبس والزينة حيث يوصي القرآن فيها لا سيما في المساجد والسفر المعراجي الى الله كما في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾. اذ يأمر الموالي بأخذ الزينة ومنها اللباس النظيف والجديد والعطر وغيرها حيث ان الموالي يريد من لقاء العبد به بحالة من العزة والجمال. وقد وردت توصيات في اللباس كثيرة منها: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي ليس من لباسكم شيء أحسن من البياض فالبسوه[1]. وايضا ورد عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام أن عليا كان لا يلبس إلا البياض أكثر ما يلبس[2].

وأيضا من الآيات التي تؤكد ان يحدث بنعم ربه كما في قوله: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾. وقد اكدته الروايات كما جاء عنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ إِذَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدِه بِنِعْمَةٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْه سُمِّيَ حَبِيبَ الله مُحَدِّثاً بِنِعْمَةِ الله وإِذَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْه سُمِّيَ بَغِيضَ الله مُكَذِّباً بِنِعْمَةِ الله[3].

---

(١) قرب الاسناد، الحميري القمي، ص١٥٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٥ ص٢٧

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٥ ص٢٧

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٤٣٨.

فتحصل بعد هذه القراءة الموجزة عدم توافق مضمون متن الرواية مع ادبيات ومضمون القرآن الكريم، بل تدعوا الآيات الى خلاف ذلك، بل تستنكر على من يحرم اكل الطيبات وتوصي بها وأنها خلقت للمؤمنين، مع أنّ أهل البيت عليهم السلام قدوة لنا في هذا المجال وترجمان للقرآن الكريم.

الاساءة للسيدة زينب عليها السلام؟

عندما قدمت له ابنته ام كلثوم عليها السلام (السيدة زينب كما عند المؤرخين) في افطاره ادامين في طبق واحد لامها الامام عليه السلام باشد العبارة اذا لم نقل وبخها كما تقدم من النص: (... وقال: يا بنية ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما قد أسأت أنت إلي، قالت: وماذا يا أباه؟ قال: يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين...) وكأنها لم تعرف متطلبات ابيها عليه السلام وهي العالمة غير معلمة والفاهمة غير مفهمة كما في النصوص الثابتة عن الامام السجاد عليه السلام: ... وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة... الخ[1]. وهذا دليلا لوحده يكون مبطلا لهذا النص حيث لو كان ذلك ثابتا لما خفي على زينب عليها السلام ولما تعرضت لهذا التوبيخ من قبل امير المؤمنين عليه السلام مع ان الاساءة للمعصوم عليه السلام لها مخلفات في المجال التكليفي والوضعي، فكيف جاز لزينب عليها السلام وهي بهذه المرتبة العالية من المعرفة والطاعة لله ورسوله والمعصوم عليه السلام ان تسيئ او تكون سببا في الاساءة لأبيها عليه السلام كما هو في فحوى الخطاب الموجود في الحديث. (مع ان هذا كما سيأتي ان شاء الله مخالف لسيرته المباركة، بل كان يأكل ما هو متوفر).

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج٢ ص٣١

هذا كله مع فرض أنّ امير المؤمنين عليه السلام تلك الليلة ذهب الى بيت ابنته ضيفا وجاءت له بالطعام لوحده؟ من دون زوجها واسرتها؟، مع انه لم يوجد في التاريخ بهذا الشكل كما جاء في رواية الارشاد: لما دخل شهر رمضان، كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان فأصيب عليه السلام في آخر الليل[1].

معارضة النص لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام

عند ادنى مراجعة لسيرة امير المؤمنين عليه السلام نجد مخالفة جلية لمضمون هذا النص حيث انه عليه السلام كان يأكل أكثر من ادام وهناك بعض الطيبات يواظب عليها في ان تكون في المائدة كالخضروات كما جاء في الكافي عَنْ حَنَانٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام عَلَى المَائِدَةِ فَمَالَ عَلَى البَقْلِ وامْتَنَعْتُ أَنَا مِنْه لِعِلَّةٍ كَانَتْ بِي فَالتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا حَنَانُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يُؤْتَ بِطَبَقٍ إِلَّا وعَلَيْه بَقْلٌ قُلْتُ ولِمَ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ لأَنَّ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ خَضِرَةٌ وهِيَ تَحِنُّ إِلَى أَشْكَالِهَا[2]. بل احيانا في البيت يقدم له أكل فاخر نسبيا كما جاء في جملة من الروايات منها ما جاء في المحاسن عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه شواء، فدعاني، وقال: هلم إلى هذا الشواء، فقلت: أنا

(١) الارشاد، الشيخ المفيد، ج١ ص١٧

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٣٦٢.

إذا أكلته ضرني فقال: ألا أعلمك كلمات تقولهن وأنا ضامن لك ألا يؤذيك طعام؟ قل (اللهم إني أسألك باسمك خير الأسماء ملا الأرض والسماء، الرحمن الرحيم، الذي لا يضر معه داء) فلا يضرك أبداً[1]. والشواء: هو اللحم المشوي سواء كان من الابيض أم الاحمر، ويظهر من الرواية ان ذلك حصل في الكوفة وفي ايام خلافته عليه السلام فان الاصبغ بن نباته الكوفي من خواص امير المؤمنين عليه السلام ومن رجالات العراق الكوفة.

وجاء في بعض الروايات كان أمير المؤمنين عليه السلام يستاك عرضاً ويأكل هرثاً. والهرث أن يأكل بأصابعه جميعاً[2].

وايضا ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الحَلَبِيِّ قَالَ سَالتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الطَّعَامِ فَقَالَ عَلَيْكَ بِالخَلِّ والزَّيْتِ فَإِنَّه مَرِيءٌ فَإِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ يُكْثِرُ أَكْلَه وإِنِّي أُكْثِرُ أَكْلَه وإِنَّه مَرِيءٌ[3]. وايضا نفس المضمون في لسان آخر عن يَعْقُوبَ بْنِ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَأْكُلُ الخَلَّ والزَّيْتَ ويَجْعَلُ نَفَقَتَه تَحْتَ طِنْفِسَتِه[4]. فالإمام عليه السلام كان يختار الاكل النافع للجسد وبعضه يدمج بعدة اصناف كما في النص المتقدم.

وذات يوم دعاه رجل، كما جاء في العيون عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه دعاه رجل فقال له علي عليه السلام على أن تضمن لي ثلاث خصال قال: وما هي يا أمير المؤمنين قال: لا تدخل علينا شيئا من خارج ولا تدخر عنا شيئا في البيت ولا تجحف بالعيال قال: ذلك لك

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٣٨
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٦ ص٤٩٧
(٣)و(٤) الكافي، الكليني، ج٦ ص٣٢٨

فأجابه علي بن أبي طالب عليه السلام[1]. ويفهم من عبارة (لا تدخر عنا شيئا في البيت) هو طلب تقديم كل ما عنده في البيت من ادام بشرط ان لا يترك العيال من دون طعام وربما لمصلحة في افشاء الكرم ام غيره، وكيف ما كان محل الشاهد فيه انه عليه السلام لم يشترط عليه ان يحضر له ادام واحد كما في النص المبحوث في انه لا يجمع بين ادامين. فهذا ما تسنى لنا ذكره في مجال الادام الذي كان الامام امير المؤمنين عليه السلام وايضا هناك نصوص معتمد تذكر لنا اكل الامام عليه السلام للفواكه منها: عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِذَا أَكَلَ الرُّمَّانَ بَسَطَ تَحْتَه مِنْدِيلاً فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ فِيه حَبَّاتٍ مِنَ الجَنَّةِ[2]. وايضا ورد عن عليّ عليه السلام قال: أهدي إلى النبيّ موز فجعل يقشّر الموز ويجعله في فمي فقال له قائل: يا رسول الله إنك تحب عليا قال: أوما علمت أن عليا مني وأنا منه[3]. وكان عليّ عليه السلام يعجبه الباذروج. (خضرة الريحان) ويحبّ الكمأة، (الفقع، ويسمى الفطر) وكان يأكل التمر والكمأة. عَنْ أُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ الله (والرأي الاخر ربيبة النبي صلى الله عليه وآله) قَالَتْ أَتَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَأُتِيَ بِعَشَاءٍ وتَمْرٍ وكَمْأَةٍ فَأَكَلَ عليه السلام وكَانَ يُحِبُّ الكَمْأَةَ[4]. وما أصرح هذا الحديث في اكل امير المؤمنين عليه السلام من عدة اصناف في افطاره ومسند في كتب معتبرة معاصرة للمعصوم عليه السلام فليس من الصحيح ان ترفض كل هذه الطوائف من الأحاديث الواردة في الكتب المعتمدة لأجل

(١) عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج١ ص٢٣٥
(٢) الكافي، الكليني، ج٦ ص٣٥٣
(٣) احقاق الحق، السيد المرعشي، ج٥ ص٣٠٤
(٤) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي، ج٢ ص٥٢٧. الكافي، الكليني، ج٦ ص٣٧٠

حديث مجهول وليد القرون المتأخرة لا ينسجم مع مضامين القرءان الصامت والناطق؟.

تنويه:

من الضروري ان ننوه على ان ذلك لا ينافي زهد الامام عليه السلام فقد تقدم ان اكل الطيبات لا يعارض الزهد ومضمونه، وايضا لا نريد ان نقول ان الامام عليه السلام كان يطلب الثراء او الطعام الفاخر والوجبات الشهية او يخالف اكله اكل البسطاء وما شابه ذلك، بل الامام عليه السلام لم يكن له أي تعلق في الطعام او الملبس او شيء من امور وملذات الدنيا ولم يطلبها وانما لا يحرم عليه اكل أكثر من ادام ولا يعيش التقشف إذا كان متوفرا يأكل من كل اصنافها، وربما يصدف يوما لم يحصل طعام فيمسك صائما. المهم في الامر ان الحديث المبحوث اعطى صورة مخالفة لسيرته عليه السلام ولكل التعاملات الاجتماعية وايضا سير المعصومين عليهم السلام حيث صور للامة فهما خاطئاً وجعل الاسلام حرجا في وجوه شرائح المجتمع ولا يتماشا مع العصر والحياة العامة، حيث يصور الحديث أنّ يُعاقب كل من طاب مطعمه ومشربه وملبسه مع انها من كد يمينه وعرق جبينة وفي نفس الوقت يطالبه الاسلام بالسعة والتوسعة وغير ذلك.

مخالفة المتن لسيرة النبي صلى الله عليه وآله

من الثابت والمسلم في كل كتب السير والتاريخ والحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل كل الاصناف من غير ضرر وكان يجمع اكثر من صنف وادام في مائدة واحدة بخلاف ما جاء في متن الحديث انه صلى الله عليه وآله يرفض ان يجمع بين صنفين كما تقدم بهذا النص: (... أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي

رسول الله ﷺ ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله...) فقد جاء في كتاب الوسائل نقلا عن كتاب مواليد الصادقين قال: كان النبي ﷺ يأكل كل الأصناف من الطعام وكان يأكل ما أحل الله له مع أهله وخدمه إذا اكلوا ومع من يدعوه من المسلمين على الأرض وعلى ما اكلوا عليه وما اكلوا الا ان ينزل بهم ضيف فيأكل مع ضيفه[1]. ولذلك هناك روايات كثيرة تذكر لنا ان النبي المصطفى ﷺ كان يأكل أكثر من صنف في طبق واحد ليس كما جاء في المتن المتقدم. (عن الامام امير المؤمنين عليه السلام ان النبي ﷺ لم يأكل أكثر من صنفين الى ان قبضه الله اليه فهو يتعارض مع سيرة النبي المصطفى ﷺ) ولا نريد القول ان النبي ﷺ يطلب الدنيا او همه الطعام وما شابه ذلك؟ مع ان اكل الطيبات من الطعام ليس لها دخل في التعلق بالدنيا والاعراض عن الاخرة، وانما ما توفر من الطيبات يغذي نفسه واسرته ويفيض على غيره، ولكن الغرض من كلامنا لنبين التناقض بين المتن المزبور المتقدم وما هي عليه سيرة النبي المصطفى ﷺ. وسنذكر ان شاء الله بعض الروايات في هذا المجال لأنها كثيرة ولا يسعها المقام، فقد كان النبي ﷺ يفضل من لحوم الانعام المقاديم كالذراع كما ورد عن زرارة، عن أبي جعفر، قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع[2]. وعلة ذلك لقربها الى المرعى وبعدها عن الحشى والمبال كما جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمت اليهودية النبي في ذراع قال وكان رسول الله يحب الذراع والكتف ويكره الورك لقربها من المبال قال لما

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٤ ص٢٦٤

(٢) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٧٠

اوتى بالشوا اكل من الذراع وكان يحبها فاكل ما شاء الله[1]. وكان من المأكولات المفضلة والتي نص عليها الاسلام بما تحوي من فوائد لا سيما في رفع الضعف هي اللحم باللبن (أي الحليب) فقد جاء في الأحاديث انه أكل الانبياء كما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اللحم باللبن مرق الأنبياء[2]. وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شكا نبي قبلي إلى الله ضعفا في بدنه، فأوحى الله تعالى إليه أن اطبخ اللحم واللبن فإني قد جعلت البركة والقوة فيهما[3]. وايضا من المأكولات التي وصى بها الشرع الحنيف وكان النبي يأكلها هي الهريسة حيث ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: عليكم بالهريسة فإنها تنشط للعبادة أربعين يوما وهي المائدة التي أنزلت على رسول الله[4]. وهناك حديث آخر يبين ان الهريسة نزلت على النبي من الجنة وأكلها كما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أهدى إلى رسوله هريسة من هرائس الجنة، غرست في رياض الجنة وفركها الحور العين فأكلها رسول صلى الله عليه وآله فزاد قوته بضع أربعين رجلا، وذلك شيء أراد الله أن يسر به نبيه[5]. في رواية أخرى بنفس السياق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل فأمرني بأكل الهريسة ليشتد ظهري وأقوى بها على عبادة ربي[6]. وغيرها من الروايات التي تصرح بأكل النبي المصطفى أكثر من صنف ويلون بطعامه وهو ما يخالف المتن الوارد المتقدم، نعم التلوين في الطعام تارة

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص٥٢٣
(٢)و(٣) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٦٦
(٤)و(٥) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٠٤
(٦) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٠٣

مطلوب لا سيما إذا كان للشفاء او غيره كما حصل مع النبي ﷺ حيث ورد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال: إن رسول الله شكا ـ إلى ربه وجع ظهره، فأمره بأكل الحب باللحم (يعنى الهريسة)[1]. وأحيانا التلوين في الطعام ليس من صالح الفرد لظروف معينة وكيف كان هذا ليس له دخل في رفض التنويع إذا حصل لأجل الزهد وما شاكلة جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: أول من لون إبراهيم عليه السلام وأول من هشم الثريد هاشم[2]. وهناك روايات كثيرة في أكل النبي للخضار والفواكه والتوصية بها، فتحصل من كل ذلك ان الحديث المبحوث من ان النبي ﷺ لا يجمع حتى بين اللبن والملح مخالفا لكل سيرة النبي ﷺ وانه بعيد عن مضمون الشريعة وسلوك النبي وأهل بيته عليهم السلام.

مخالفته لسيرة أهل البيت عليهم السلام

عندما نراجع سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام (الذين هم طريق نجاتنا وانارة منهجنا ومنهم نقتبس الهدى لنهتدي بحياتنا) في تعاملهم مع الطعام والطيبات لم نجد هذا النوع من التقشف والترهب ولا يأمرون به، بل يستنكرون على الترهب والتقتير وما شابه ذلك ويوصون بالتوسعة على النفس والعيال، وقد كانوا عليهم السلام يأكلون من الطيبات بألوان متعددة في مائدة واحدة وهم أقرب للتمسك بسيرة جدهم امير المؤمنين عليه السلام لو كان للحديث المبحوث

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٠٣
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٣١٧

وجود وصحة؟. فقد ورد في المحاسن عن نادر الخادم، قال: كان أبو الحسن الرضا عليه السلام يأكل الحمص المطبوخ قبل الطعام وبعده[1]. وأيضاً سئل الباقر عليه السلام عن اللحم والسمن يخلطان جميعا، فقال: كل وأطعمني[2]. وايضاً جاء عن عبد الأعلى، قال: أكلت مع أبي عبد الله عليه السلام فدعا وأتى بدجاجة محشوة وبخبيص، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذه أهديت لفاطمة عليها السلام ثم قال يا جارية إيتينا بطعامنا المعروف، فجاءت بثريد خل وزيت[3].

وهذا فيه توصية وحث على تعدد الالوان في الطعام، وأيضا جاء في الكافي عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام جَمَاعَةً فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِه لَذَاذَةً وطِيباً وأُوتِينَا بِتَمْرٍ نَنْظُرُ فِيه إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِه وحُسْنِه فَقَالَ رَجُلٌ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نُعِّمْتُمْ بِه عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَكْرَمُ وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيُسَوِّغَكُمُوه ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْه ولَكِنْ يَسْأَلُكُمْ عَمَّا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[4]. وهذا اضافة الى مخالفة الحديث بشكل عام ايضا يخالف بشكل صريح ورافض العبارة في متن الحديث المبحوث (يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة) فالرواية المعتمدة هنا تصرح ان مطعمهم طاب ولذ حتى جعل ذلك لأحدهم أن يقول سنُسئل يوم القيامة ولكن الامام عليه السلام اعترضه ونزه الربوبية من ذلك حيث أنّ المولى خلقها

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٥٠٥

(٢)و(٣) المصدر السابق، ص٤٠٠

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٢٨٠

وجعلها للمؤمنين وسوغها وطالما يقول لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم، وهو أكرم الاكرمين فكيف يسألهم عليه ويطيل وقوفهم؟ وهذا الجواب من الامام الصادق عليه السلام ما ينسجم مع الفطرة والدين والعقل فلماذا نحول الدين الى ساحة التعقيد والحرج والتناقضات وما شاكلها من خلال تقولات واهية وقراءات باطلة.

وايضاً جاء في بعض آخر من الروايات كما في الكافي: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَدَعَا بِالمَائِدَةِ فَأُتِيَ بِثَرِيدٍ ولَحْمٍ ودَعَا بِزَيْتٍ وصَبَّه عَلَى اللَّحْمِ فَأَكَلْتُ مَعَه [1]. وهناك نص آخر ان الامام الكاظم عليه السلام لا تخلو مائدته من الخضروات كما يفهم من فحوى كلامه عليه السلام في ضرورة الخضار في المائدة فقد جاء في الكافي عَنْ مُوَفَّقٍ المَدِينِيِّ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ المَاضِي عليه السلام يَوْماً فَأَجْلَسَنِي لِلْغَدَاءِ فَلَمَّا جَاؤُوا بِالمَائِدَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا بَقْلٌ فَأَمْسَكَ يَدَه ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي لَا آكُلُ عَلَى مَائِدَةٍ لَيْسَ فِيهَا خُضْرَةٌ فَأْتِنِي بِالخُضْرَةِ قَالَ فَذَهَبَ الغُلَامُ فَجَاءَ بِالبَقْلِ فَالقَاه عَلَى المَائِدَةِ فَمَدَّ يَدَه عليه السلام حِينَئِذٍ وأَكَلَ [2]. يفهم من الرواية أن الخضار لازم في مائدة المعصوم عليه السلام بما فيه من فوائد وهذه من السير العملية التي تكون حجة في بابها ويقتدى بها فلم نجد القرآن او سير المعصومين عليهم السلام تدعو الى هذا النحو من الاعراض عن الطيبات والاقتصار على أكل الملح والخبز او اللبن والخبز أو لا يجوز التعدد بالأنواع من الطيبات التي خلقها المولى سبحانه، حيث يلزم منه العقاب والاطالة بين يدي

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٣١٨
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٣٦٢

المولى سبحانه؟ مع أن كل الذين يستشهدون بها ويترنمون بأوتارها على الأعواد او غيرها، ولا يلتزمون ولا يتلبسون بها اطلاقاً، بل لا يخطر ببالهم ذلك (ان يفطر على الخبز والملح مع وجود ادام آخر) وانما هي فقط عبارة عن تسويق لما دخل وعشعش في ذهنه من دون بحث وتحقيق.

ضرورة تعدد الآدام

اوصى العلم القديم والحديث أضافة الى تأكيد الشريعة الاسلامية على تغذية الجسد بما يلائمه وينتفع به وهناك برنامج مفصل من قبل الشريعة الاسلامية في الاطعمة والاشربة وطالما نجد ان الشريعة الاسلامية والعلم يؤكدون على تناول الاطعمة التي ينتفع بها الجسد ويطيب لها لذلك المولى عبر عنها بالطيبات في آيات كثيرة منها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله**﴾ أي ما يطيب لها الجسم وينتفع بها وهكذا جاءت الروايات الكثيرة تؤكد وتوصي بتناول الطعام المفيد الصالح للجسد، فلم نجد اهتمام في جوانب الذوق او التلذذ كما هو الحال في زماننا حيث عمدت الشركات لتسويق بضاعتها على حساب ارواح الناس بترويج موارد الطعم والنكهة والحلاوة مع غض النظر عن مدى الخطورة التي يحتويها هذا الطعام الذي اخذ به جانب الطعم والنكهة واغفلت فيه جوانب الصحة والانتفاع حتى ذكرت الدراسات والاحصائيات الحديثة ان نسبة الوفيات من اضرار اكل الحلوى المصنوعة تفوق بكثير نسبة الوفيات بسبب التدخين لا سيما مدى اضرارها على الاطفال. فلا يؤخذ الطيب هو من جانب الذوق والتلذذ فقط،

بل هو ما يطيب له الجسم وينتفع به ولذلك نجد اصرار أهل البيت عليهم السلام وتوصياتهم وتأكيدهم على تعدد الأطعمة التي تحوي فيتامينات وبروتينات ليكون مساعد بدرجة عالية لتغذية الجسم مثلا يؤكدون على أكل الخضار وايضا الفواكه ويبينون مدى فوائدها وايضا يؤكدون على اكل بعض الاطعمة كاللحوم وغيرها لما فيها منافع مفيدة للجسد، كما جاء في المحاس عن أبي عبد الله عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: كلوا اللحم فإن اللحم من اللحم، واللحم ينبت اللحم، ومن لم يأكل اللحم أربعين يوما ساء خلقه[1]. وهذا الحديث يعطي الفوائد الايجابية المادية من أكل اللحم ويبين الآثار السلبية في الجوانب المعنوية من أعراض عنه وعدم تناوله، نعم الكلام عام ربما هناك من لا يستطيع أكل اللحم؛ لعاهة معينة أو غيرها فلم يكن له طيبا وصالحا ولكن هذا لا يعنى ابطال فوائد اكله او عدم سريان الحكم اليه ولذلك توصيات الحكماء في هذا المجال عليه ان يعوضه في جانب جنس آخر سواء بطريقة علاجية مكملة ام طيب آخر. ومن التوصيات في مزج ادامين في طبخة واحدة لرفع الضعف هو الحليب واللحم كما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا ضعف المسلم فليأكل اللحم واللبن[2]. وايضا التوصية في أكل رؤوس الانعام وبيان افضليتها من باقي الاعضاء لكونها أقرب للمرعى أي تحوي على الفوائد المباشرة وابعد من مواطن الفضلات كما جاء عن واصل بن سليمان قال: ذكرنا الرؤوس عند أبي عبد الله عليه السلام والرأس من الشاة، فقال: الرأس موضع الزكاة،

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٦٦
(٢) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٦٨

وأقرب من المرعى، وأبعد من الأذى[1]. وبعض توصيات أهل البيت عليهم السلام في علاج قلة النسل اكل في مائدة واحدة إدامين وهما البيض واللحم كما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله قلة النسل، فقال له: كل اللحم بالبيض[2]. وغيرها من التوصيات في ضرورة الجمع بين الإدامين او الثلاث لا سيما لدفع الأضرار او جلب المنافع.

معالجة الاجسام بالاجسام

من الامور التي تحتم على اكل ادامين أو أكثر هي التوازن بين الاطعمة المأكولة حيث هناك اطعمة بطبيعتها باردة فتحتاج الى اكل طعام حار بطبيعته. وايضا هناك أطعمة رطبة بطبيعتها فتحتاج الى أكل أطعمة يابسة والعكس ايضا وذلك لحصول التوازن والانسجام وعدم انعكاس الاضرار على الجسد وهذا ما أوصى به أهل البيت عليهم السلام وأكدوا عليه كما جاء في الخصال عن الربيع صاحب المنصور قال: حضر أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام مجلس المنصور يوما وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب، فجعل أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله: أتريد مما معي شيئا؟ قال: لا، فإن ما معي خير مما معك، قال: وما هو؟ قال: أداوي الحار بالبارد، والبارد بالحار، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأرد الامر كله إلى الله عز وجل، وأستعمل ما قاله رسوله صلى الله عليه وآله وأعلم أن المعدة

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٦٩

(٢) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٤٨١

بيت الداء والحمية هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد، فقال الهندي: وهل الطب إلا هذا، فقال الصادق عليه السلام: أفتراني عن كتب الطب أخذت؟ قال: نعم، قال: لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه[1]. وفي هذا الحديث اشارة الى معالجة الاطعمة المتباينة في طبعها ومزاجها فيتحتم ان يجمع بين صنفين لإيجاد الموازنة والتخلص من الأضرار الناجمة من بعضها لا سيما الاطعمة التي تحمل ذات طابع بارد اضافة الى ان بعض اجسام الناس باردة والاخرى حارة فيكون الطعام المخالف لها لتحقق التوازن والاعتدال مثلا الذي يحتوي على جسم بارد فالأصلح له ان يأكل الاطعمة الحارة بطبعها وكذا العكس. ولذلك المعصوم عليه السلام احيانا يطلب طعام اضافي معين مع طعام آخر ويوصي به وذلك لإيجاد التوازن والتخلص من الأضرار. فقد ورد عَنْ مَوْلًى لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ دَعَا بِتَمْرٍ فَأَكَلَه ثُمَّ قَالَ مَا بِي شَهْوَةٌ ولَكِنِّي أَكَلْتُ سَمَكاً ثُمَّ قَالَ مَنْ بَاتَ وفِي جَوْفِه سَمَكٌ لَمْ يُتْبِعْه بِتَمَرَاتٍ أَوْ عَسَلٍ لَمْ يَزَلْ عِرْقُ الفَالِجِ يَضْرِبُ عَلَيْه حَتَّى يُصْبِحَ[2]. وقد اشتهر بين الناس ضرورة اكل التمر بعد أكل السمك حتى اجريت قاعدة في هذا المجال (إذا اسمكتم فاتمروا) وليست حديثا كما يتصوره البعض وانما السمك يفتقر الى السكريات فينبغي اكل التمر أو العسل مع للتوازن. أو ان طبعه بارد فيحتاج الى طعام طبعه حار. وكيف كان ان بعض الاطعمة تحتاج الى ضم اطعمة معها اما لكونها باردة وتحتاج اطعمة حارة او يابسة تحتاج اطعمة رطبة او فاقدة لبعض الخصائص كالسكريات فتحتاج الى

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٥١٢

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦ ص٣٢٣

أطعمة مكملة. وفي كل الاحوال لا يوافق الحديث المبحوث من الاقتصار على ادام واحد، مع ان الملح لم يكن اداما في نظر العرف والشرع وانما هو مكمل للإدام ويؤكد الشرع على البدء به قبل الاكل والاختتام به عند الانتهاء من الاكل وعليه روايات كثيرة منها: عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ قَالَ النَّبِيُّ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَا عَلِيُّ افْتَتِحْ بِالمِلْحِ فِي طَعَامِكَ واخْتِمْ بِالمِلْحِ فَإِنَّه مَنِ افْتَتَحَ طَعَامَه بِالمِلْحِ وخَتَمَه بِالمِلْحِ دَفَعَ الله عَنْه سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ البَلَاءِ أَيْسَرُهَا الجُذَامُ[1].

ماذا يقول التأريخ؟

عندما نرجع الى التأريخ ونقرأ احداث هذه البرهة من الزمن لا سيما ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة اربعين للهجرة لم نر اثرا وذكرا مما جاء في المتن من الحديث المزبور نعم هناك اشارة ان الامام عليه السلام تلك الليلة قلل طعامه وسألوه عن سبب ذلك قال اريد ان القى ربي خميصا كما في النص الوارد في الارشاد وغيره عن عثمان بن المغيرة قال: لما دخل شهر رمضان، كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر (وقول آخر عبدالله بن عباس)، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك، فقال عليه السلام: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان فأصيب عليه السلام في آخر الليل[2]. مع ان النصوص التأريخية تشير ان

(١) المحاسن، احمد بن محمد البرقي، ج٢ ص٥٩٣

(٢) الارشاد، الشيخ المفيد، ج١ ص١٤. الخرائج والجرائح، القطب الرواندي، ج١ ص٢٠١.

الامام الحسين عليه السلام لم يكن في الكوفة وانما في المدائن متوجه مع عشرة آلاف مقاتل لقتال اهل الشام وقد أرسل له الامام الحسن عليه السلام يخبره عن جرح ابيه والرجوع الى الكوفة. كما جاء عن زحر بن قيس قال: بعثني الحسن بن عليّ عليهما السلام إلى المدائن وبها حسين بن عليّ، فلمّا انتهيت إليه قال: أَيْ زَحْرُ؟ ما لي أرى وَجْهَكَ مُتَغَيِّراً؟ قلت: تركت أمير المؤمنين عليه السلام في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، وهذا كتاب الحسن إليك، قال زحر: فلمّا ذكرت له أمر عليّ ومصابه، قال: وَيْحَكَ من قتله؟ قلت: رجل من مراد مارق فاسق، يقال له: عبد الرحمان بن ملجم[1].

زبدة المخاض

اتضح مما تقدم ان الحديث المنقول عن امير المؤمنين عليه السلام قبل استشهاده وهو في بيت ابنته ام كلثوم من أنه عليه السلام رفض اكل ادامين (اذا قلنا الملح ادام) في طبق واحد واكتفي في افطاره على القرص والملح الجريش، وارجع اللبن، ووبخ ابنته في ارتكابها هذا الفعل بقوله: (ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما قد أسأت أنت إلي) حيث قدمت له لبن وملح، وايضا أكد عليه السلام ان هذا اتباع للنبي صلى الله عليه وآله حيث لم يقدم له ادامين في طبق، وايضا فيه تحذير لكل من طاب مطعمه ومشربه حتى اذا كان من حلال وعرق جبين، وكل هذا لم يثبت لا من الناحية السندية صحيح، حيث ثبت انها مقولة وليدة القرون المتأخرة أي بينها وبين النص الف سنة ولم تسند الى كتاب او غيره.، اضافه الى متنها كما تقدم

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، ج٥ ص٤٢١

مخالف لسير النبي صلى الله عليه وآله والامام امير المؤمنين عليه السلام واهل البيت عليهم السلام اضاف الى مضامين القرآن الكريم، مع انه قراءة تخرج الفرد والمجتمع من الواقع المعاش على الصعيد الاجتماعي والاسري فقد يلزم منه المثاليات ومجرد تصورات خاطئة وازدواجيات باطلة حيث لم يلتزم بها الفرد كيف ما وصل في تقواه، فإن الاسلام يدعو الى التوسعة على العيال والنفس واكرام الضيف ويحبذ اظهار النعم على الفرد والاسرة والمجتمع كما تقدم، ومع كل ذلك لو تنزلنا وقلنا هناك من يلتزم به حتى اذا اضر بحاله، فهو أي الحديث لم يكن ثابتا كما اتضح من خلال بحثه بشكل موضوعي علمي لا من الناحية السندية ولا من الناحية المتنية. مع ذلك لو كان ثابتا ولو من الناحية المتنية ولم يعارض النصوص الصحيحة المسندة لغضضنا النظر عن سنده او بعده عن النص وما شاكل ذلك؛ لكونه من المسائل الاخلاقية التي لا تحتاج الى بحث سندي ولكنه في كل الموازين غير قابل للأخذ لما تقدم من مخالفته للنصوص الكثيرة الصحيحة.

فليس كل ما تداول في الالسن وانزرع وترسخ في الاذهان ومرّ عليه سنون يكون غير قابل للنقض والابطال فهذا يعرقل الحركة العلمية وتطورها وتقدمها رقيا، فاذا خضعنا وقبلنا بالمتناقضات لكونها عشعشت وتجذرت في الاذهان وأصبح في الواقع الاجتماعي واذهان حتى العوام فسيكون الحال كما استعرضه القرآن ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا الفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾. بل لابد ان يأخذ البحث العلمي والمعرفي دوره في مناقشة الافكار والآراء والروايات لإثبات صحتها فمن المسلم بعد الغيبة الصغرى حصل انسداد العلم وجاء دور القراءات والافهام الظنية فليس لاحد غير المعصوم عليه السلام ان يقطع بفكره ويمليه على

الغير، بل للطرف الاخر حق الفهم والقراءة ضمن الموازين العلمية، وهكذا جعلت الحياة في كل مؤسساتها.

تنويه

لا نريد ببحثنا هذا ومن خلال ما طرحناه المساس لا سامح الله بالعلامة الكبير المجلسي الابن فهو المرفد العظيم لهذه المؤسسة العريقة واوقف عمره لخدمة المذهب الحق وأثمرت جهوده المباركة واصبح تراثه بين ايدي العلماء والدارسين في مرّ العصور وكر الدهور في عصر لم تكن فيه التقنية وهذا التقدم المشاهد اليوم الذي يسهل للطلبة والعلماء الكثير من موارد البحث والتحقيق فجهود علمائنا القداما قدس الله اسرارهم لا تقدر بثمن ولا تنكر فهي عبارة عن جهاد ذو مشقة بالغة سواء بتوفير المصادر ام غيرها وكيف كان نحن عيال على ما أوجدوه من تراث وهم اللبنات الاولى والمهمة في المسير العلمي والتحقيقي، ولكن هذا لا يلزم منه الجمود على كل ما نقل عنهم او ما توصلوا اليه لا سيما في الموسوعات الحديثية وغيرها بل هكذا عودتنا المؤسسة منذ القدم على مناقشة الافكار والنصوص ودراستها وجعلت موازين في دراسة الأحاديث من قبيل علم الحديث والدراية ومسألة الاسانيد وهكذا في باقي العلوم حتى خلصوا بالقاعدة المعروفة عند أغلب العلماء ان لا يوجد كتاب غير القرآن الكريم كله صحيح من الفه الى يائه بل نصوصه ومتونه تخضع للموازين العلمية والبحثية، ولا اتصور ان العلامة المجلسي ﵀ وغير العلامة يقطع ان كل ما في موسوعته الحديثية (بحار الانوار) المؤلفة من اكثر من مئة مجلد كل ما

فيها صحيح، بل هي عبارة عن جمع الاحاديث مع غـض النظـر عـن صـحتها وسقمها ويبقى الميدان للباحثين والمحققين في هذا المجال.

من ثمار واهداف البحث

رب سائل يسأل عن مدى ثمرة هذا البحث والفوائد المرجوة منه مـع أنّـه يتحدث عن مرحلة تأريخية أكل عليها الدهر وشرب و لها ما سلفت، فلم يمت الى واقعنا بكل اصنافه الاجتماعي وغيره بصلة؟

قلنا: إنّ هناك جملة من الفوائد والآثـار الايجابيـة نـذكر أهمهـا عـلى سـبيل الاختصار:

الأول: تقديم دراسة علمية موضوعية ترشد القرّاء والمختـصين والمثقفـين الى مسألة التحري والتحقيق فيما جاء في التراث الاسلامي، وعدم الاعتماد على أخذ النقولات بدءاً حتى اصبحت من المـشهورات والمـسلمات بعـد انتـشارها وتواكب العصور عليها فينبغي أن يقدم البحث الموضـوعي العلمـي عـلى كـل الاعتبارات.

الثاني: ان الحديث والتاريخ لا سيما المرتبط بسيرة المعصوم عليه السلام هـو عبـارة عن مصباح تستنير به الأجيال وتقتدي به، حيث أنّ المعصوم عليه السلام قدوة وحجـة فلابد من تنقيح المعلومة التأريخية لثبات صحتها من عدمها لغرض التلبس بها.

الثالث: الابتعاد عن المثاليات والشعارات الفارغة التي لا يمكن تطبيقهـا؛ لكونها تعتمد على كلام منـسوب لم يحـظ بالـصحة ويـصعب تطبـق في الواقـع الخارجي إلا في الخيال الـذهني، وهـذا ممـا يـؤدي الى الازدواجيـة والتنـاقض الخلقي وينطبق على القائل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لِـمَ تَقُولُـونَ مَـا**

﴿لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

الرابع: تنقية التراث الاسلامي من الترهات والتناقضات فقد لاحظنا أن النص المذكور يناقض كل بعاد الشريعة سواء القرآن وسيرة المعصوم عليه السلام.

الخامس: الحفاظ على تغذية الأمة من النقولات الخاطئة الغير ثابتة التي تؤدي أدلجتها على الخطأ الذي يعطي أثره السلبي ويصعب علاجه فيما بعد.

(١) الصف: ٢ ـ ٣

المبحث الثاني

الامام الحسين عليه السلام يطلب مبايعة يزيد؟

تمهيد

لم يرحم التاريخ المزيف والاقلام المأجورة أحداث النهضة الحسينية الخالدة، فقد ملئتها ترهات وأكاذيب واهية وواحدة من تلك السفسطات والموروثات الباطلة هي ما ذكرها التاريخ من طلب الامام الحسين عليه السلام بيعة يزيد بن معاوية أو الرجوع الى المدينة او يلتحق بالجيش الاموي ليكون واحد من جنده له مالهم وعليه ما عليهم وهذا ما سنقف عنده ان شاء الله في هذا المبحث.

اجتماع الإمام الحسين عليه السلام مع ابن سعد

ذكر المؤرخون ان قبل يوم عاشوراء حصل لقاء خاص واجتماع سري بين الامام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد في ارض كربلاء وكان الهدف منه توخي الحرب وتفادي الدماء بين الطرفين وبعد انتهاء الاجتماع اعلن الناطق باسم الجيش الاموي ووثقها ضمن رسالة الى الجهات العلية السياسية المتواجدة في

الكوفة المتمثلة بابن زياد متضمنا ما توصلوا اليه في الاجتماع المبرم وهو ان تم الاتفاق مع الحسين عليه السلام بحسب ارادته ان نخيره واحدة من ثلاث اما الرجوع الى المدينة او الذهاب الى يزيد بن معاوية لإعطائه البيعة او التحاقه في ثغور المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وعندما وصل الكتاب الى ابن زياد رفض الطلب وامر بإنزال الامام عليه السلام على حكمه وهو ينظر ما يرى، وهذا النص الذي ينقل هذا الحدث لم يقتصر على تدوين المخالفين بل نقلته مصادرنا التاريخية القديمة والحديثة وعلى رأسهم الشيخ المفيد رحمه الله المتوفى سنة (٤١٣هـ) في كتابه الارشاد كما جاء فيه نصا: (ولما رأى الحسين نزول العساكر مع عمر بن سعد بنينوى ومددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد: إني أريد أن ألقاك فاجتمعا ليلا فتناجيا طويلا، ثم رجع عمر بن سعد إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد: فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلا من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا (لكم) رضى وللأمة صلاح. فلما قرأ، عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه. فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت (أولى بالعقوبة) وإن عفوت كان ذلك لك. قال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا

فليبعث بهم إلي سلما، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع لـه وأطـع، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش، واضرب عنقه وابعث إلي برأسـه... الـخ[1].

هذا نص ما ذكره جملة من المؤرخين عند الفريقين ومن الملفت للنظر لم نر تعليقا او توجيها او غير ذلك في نقل هذا الحدث من قبل مؤرخينا كالشيخ المفيـد ﵀ ومن تبعه حتى أخذ البعض من المناهضين والمتربصين يطبلـون ويعزفـون عـلى اوتـار هـذه الواقعـة المختلقـة ودخلـت مـن هـذه الثغـرة في بوتقـة الـسيناريو السياسي؛ بان حسينا ﵇ اراد مبايعة يزيـد بـن معاويـة إلّا ان حـال دون ذلـك خطأ عسكري ولبس من قبل ابن زياد وحصل ما حصل من مقتله. وسنقف ان شاء الله في الاجابة حول هذه الواقعة المفتعلة.

أول من نقل هذا النص

جذر هذا النص التاريخي ومصدره الأول هو ما ورد عن الطبري في تاريخه (نعم ذكره قبله البلاذري في كتابه انـساب الاشراف لكـن لـيس بهـذا الاسـناد والتعبير كما سيأتي ان شاء الله) مرفوعا عن ابي مخنـف كـما جـاء ذلـك في نـص عبارته: (قال أبو مخنف حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بـن زهـير أنهما كانا التقيا مرارا ثلاثا أو أربعا حسين وعمر بن سعد قال فكتـب عمـر بـن سعد إلى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصـلح أمر... الخ[2]. ولا يبعد ان من اتى بعده قد اخذ منه لا سيما الذين قاربوه زمانـا ومكانا كالشيخ المفيد ﵀.

(١) الارشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٧٨. بحار الانوار، المجلسي، ج٤٤ ص٣٨٩ وغيرهم
(٢) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج٤ ص٣١٣

نبذة عن الشيخ المفيد

هو ابو عبد الله محمّد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير البغداديّ المشهور بالشيخ المفيد وابن المعلم؛ لكون والده كان معلما في واسط. وقد ولد في اليوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ أو ٣٣٨هـ في شمال بغداد قرية سويقة ابن بصري التابعة لمنطقة عكبري في الجزء الشمالي من بغداد وتوفي ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ ، ودفن في بغداد بداره ومن ثم نقل الى مقبرة قريش ببغداد، أو قل حرم الامامين الكاظمين عليهما السلام، وذكروا أنّه كان تلميذ الشيخ الصدوق رحمه الله (الظاهر عند سفر الشيخ الصدوق الى بغداد تتلمذ على يده الشيخ المفيد واستقى من ورده حيث ذكر المؤرخون ان الشيخ الصدوق رحمه الله سافر الى بلدان متعددة داخل البلد كمشهد ونيسابور وغيرهما، وايضا بلاد ما وراء النهرين كبغداد والكوفة وايضا مكة والمدينة). وكان الشيخ المفيد أستاذا للسيدين الرضي والمرتضى وكذلك الشيخ الطوسي. وقد عرفه تلميذه الشيخ الطوسي بقوله: أن محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار[1]. اما كلام ابن النديم عنه قال: ابن المعلم أبو عبد الله.. في عصرنا انتهت رياسة متكلمي الشيعة إليه. مقدم في صناعة الكلام في مذاهب أصحابه، دقيق الفطنة. ماض الخاطر،

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٢٣٩

شاهدته فرأيته بارعا، وله من الكتب[1]. ومن أهم اثاره ﵀ كتاب الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، يتناول ترجمة حياة الائمة ﵈ ترجم الى لغاة عديدة. وكتاب المقنعة، يتناول فيها ابواب الفقه وهو من اقدم الكتب الفقهية الشيعية شرحه تلميذه الشيخ الطوسي ﵀ تحت عنوان تهذيب الاحكام الذي يعد من الكتب الاربعة. وكتاب المزار، والجمل، والافصاح في الامامة، والامالي، والاعتقاد بصواب الانتقاد؛ كتاب نقدي لاعتقاد استاذه الشيخ الصدوق ﵀، وغيرها من المؤلفات التي امتازت بموسوعيتها وشموليتها حيث كتب ﵀ في التأريخ والسيرة والكلام والفقه والاخلاق وما شاكله. فكان الشيخ المفيد ﵀ مقاربا من الناحية الزمانية والمكانية للطبري حيث ان الفترة الزمانية بين وفاة الطبري وولادة الشيخ المفيد ما يقارب نيف وعشرين سنة مع ان الطبري كان آخر حياته يسكن في بغداد ودفن بها.

كتاب الارشاد في سطور

بما ان النص المبحوث يذكره الشيخ المفيد ﵀ في كتابه الارشاد فمن الاجدر ان نقف على نحو الاختصار في ذكر اطلالة على ابعاد الكتاب الموسوم الإرشاد في معرفة حُجَج الله على العباد، المعروف بكتاب الإرشاد، كتاب كلامي، تاريخي، يتمحور حول تاريخ حياة الأئمة الأطهار ﵈ التي استقاها المؤلف من الروايات التي وصلت إليه بالإضافة إلى تعرضه للحديث عن فضائلهم ومناقبهم ﵈.

(١) فهرست ابن النديم، ابن النديم البغدادي، ص٢٢٦

والسبب الذي دفع الشيخ ﵀ لتدوين هذا الكتاب تكمن في الاستجابة لأحد المؤمنين الذي طلب منه ذلك كما ذكر ذلك نفسه في مقدمة كتابه قائلا: إني مثبت بتوفيق الله ومعونته، ما سألت إثباته من أسماء أئمة الهدى عليهم السلام، وتاريخ أعمارهم وذكر مشاهدهم وأسماء أولادهم وطرف من أخبارهم، المفيد لعلم أحوالهم، لتقف على ذلك وقوف العارف بهم، ويظهر لك فرق ما بين الدعاوى والإعتقادات فيهم فتميز بنظرك فيه ما بين الشبهات منه والبينات، وتعتمد الحق فيه اعتماد ذوي الإنصاف والديانات، وأنا مجيبك إلى ما سألت ومتحرّ فيه الإيجاز والإختصار حسب ما اثرت من ذلك والتمست، وبالله أثق وإياه استهدى إلى سبيل الرشاد[1]. وقد فرغ من تدوينه (كما ذكروا) قبل وفاته بسنتين ٤١١هـ.

واعتمد الشيخ منهج التدوين التاريخي السردي، مع الإشارة الى بعض عقائد الشيعة، الأمر الذي أضفى على الكتاب بعداً عقائدياً، كذلك اعتمد طريقة المحدثين في ذكر أسانيد الروايات مما أعطى الكتاب بعداً روائياً وجعله في مصاف الكتب الحديثية المعتمدة في مجالها. وقد وزّع الكتاب على مقدمة واثني عشر باباً بعدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. وقد احتل القسم الخاص بأمير المؤمنين عليه السلام القسم الأوفر من الكتاب، وقد عقد في ذيل كل باب مجموعة من الفصول تتراوح ما بين ثلاثة وثلاثة عشر فصلا تحت عناوين مختلفة تتعلق بقضايا تاريخية عامّة بالإضافة إلى قضايا تاريخية خاصة بالإمام الذي يريد البحث عنه كالولادة والوفاة والشهادة وفضائله وأصحابه وخطبه وأولاده

(١) مقدمة كتاب الارشاد، الشيخ المفيد، ج١ ص٤

وفضيلة زيارته والكرامات والمعاجز التي وقعت على يديه بالإضافة الى المناظرات والاحتجاجات التي قام بها.

النسخ المخطوطة لكتاب الإرشاد

اما نسخه المخطوطة المذكورة ثلاثة اهمها النسخة المحفوظة، في مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي العامّة في قم المقدسة برقم ١١٤٤، وقد وقع الفراغ من نسخها يوم الجمعة لأربع عشر بقين من شوال سنة خمس وستين وخمسمئة. وبهامشها كتب: قابلت نسختي هذه بنسخة مولانا الإمام الأجل الكبير العالم العابد السيد ضياء الدين تاج الإسلام فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني الراوندي (أدام الله ظله)، وتمت المقابلة ليلة الأحد سلخ ربيع الأول سنة ٥٦٦ هجرية.

النسخة الثانية هي المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي برقم ١٣١١٢، فرغ من نسخها يوم الجمعة الرابع عشر من محرم سنة خمس وسبعين وخمسمئة. وفي هامشها كتب: قوبل وصحح بنسخة مولانا الإمام ضياء الدين قدس الله روحه

والنسخة الثالثة هي المحفوظة في مكتبة السيد حسين الشيرازي، يعود تأريخ نسخها إلى القرن السابع أو الثامن.

مع ان كتاب الارشاد ترجم الى لغات متعددة منها الفارسية والانجليزية. اضافة الى الشروح والاختصارات.

وقد يكون بسبب الاسلوب السردي واخذ الاخبار مما وصل اليه من

نصوص ليس ببعيد ان يكون النص المبحوث اخذ من تـاريخ الطـبري الـسابق عليه او ممن نقل عنه حيث ان نفس كلامه ﷺ موجود في تاريخ الطبري.

من هو الطبري؟

بعدما ثبت ان اول من نقل هذه الحادثة (في طلب الامام الحسين عليه السلام لمبايعة يزيد وما شاكلها) الطبري في موسوعته التأريخية فمـن الاحـرى ان نقـف عنـد بيان ترجمته على سبيل الاختصار للطـبري وتأريخـه فـان التعـرف عـلى المـؤرخ الناقل للحدث ومعرفة ابعاده يضفي بشكل جلي الى بيان افـق الحقيقـة وجـلاء الغموض والزيف والتدليس. مع ان هناك عالمان يحملان نفس الاسم واللقـب ويختلفان بالمذهب والزمن الاول محمد بن جرير الامامي جده رستم من اهـالي آمل، طبرستان متوفى سنة ٤١١هـ من فقهاء ومحدثي ومشاهير الشيعة مـن أهـم مؤلفاته دلائل الامامة، والايضاح في الامامة، ومناقب فاطمة الزهراء وولدها، وغيرها. اما الطبري الثاني فهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بـن كثـير بـن غالب الطبري، وُلِد في طبَرِستان ايضا في مدينة آمل، وهناك مدينتين تحمل أسم آمل وهناك خلاف حول أي المدينتين التي ينتمي لهـا الطـبري ويـرجح بعـض الباحثين أن المقصودة التي في تركمانستان عام ٢٢٤هـ، ونسبه بعـض العلـماء إلى قبيلـة الأزد اليمنيـة والتـي أسـتوطن قـسم منهـا في المـشرق الإسـلامي وهـو الأرجح، وزعم المستشرق بروكلمان أنه من عنصر أعجمي، نشأ الطبري بآمل، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته.

قال عنه النجاشي: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: عامي، له كتاب الـرد

على الحرقوصية، ذكر طرق خبر يوم الغدير[1]. وقال عنه الشيخ الطوسي ﵀: محمد بن جرير الطبري: يكنى أبا جعفر، صاحب التاريخ، عامي المذهب، له كتاب خبر غدير خم تصنيفه[2].

وقال في ترجمته السيد الخوئي ﵀: أقول: لمحمد بن جرير، هذا، كتاب تفسير كبير، قد ذكر فيه الروايات الراجعة إلى التفسير، وتعرض فيه لأقوال المفسرين القدماء، ويظهر من تفسيره وتاريخه، أنه كان عاميا، كما صرح به النجاشي والشيخ، وحاول بعضهم إثبات تشيعه، لتصنيفه كتاب غدير خم، ومن الظاهر أنه لا دلالة فيه على ذلك، فإن حديث غدير خم، لم ينكره إلا المعاند المكابر، وروايات غدير خم كادت أن تكون متواترة، واعترف بها جمهور علماء العامة، وإن ناقش جماعة منهم في دلالتها[3].

وعن ابن النديم، أنه ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ)، ومات في شوال سنة (٣١٠هـ) وله سبع وثمانون سنة[4].

نبذة مختصرة عن تاريخ الطبري

واما الكتاب الموسوم باسم (تاريخ الرسل والملوك، او تاريخ الامم والملوك) المعروف بتاريخ الطبري، فهو يؤرخ من بدء الخلق الى سنة ٣٠٢هـ وقيل الى سنة ٣٠٩هـ. ويعترف الطبري ان تأريخه تجميع مما وصل اليه من أخبار

(١) رجال النجاشي، ص٣٢٢
(٢) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٢٢٩
(٣) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٦ ص١٥٧
(٤) فهرست ابن النديم، ابن النديم البغدادي، ص٢٩١

من دون تحقيق وتمحيص كما نراه جليا في مقدمة الكتاب حيث يقول: (في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الاخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا[1]. ومما يؤكد ذلك ان الخبر المبحوث عندما ذكره الطبري في تاريخه ايضا بعدها ذكر خبرا مناقضا ومنافيا لهذا الخبر كما سيأتي ان شاء الله بيانه.

مناقشات سندية

كما هو المعتاد في البحوث العلمية الموضوعية لاسيما في مثل هذه الابحاث الحديثية التأريخية ان تلاحظ بالوهلة الأولى من الجوانب السندية في مجال صحتها من سقمها أو ضعفها من قوتها وملاحظة رجال رواتها، مع التوسع في هذا المضمار وملاحظة البعد الزماني والمكاني وغيرهما بين الناقل والمنقول كما سيتضح إن شاء الله تعالى:

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج١ ص٥.

اولاً: فقدان النص للسند

لم تحظ الرواية بسند لا في نقل الشيخ المفيد في كتابه الارشاد لها ولا في نقل الطبري في تاريخة، نعم قد رفعها الطبري الى ابي مخنف عن المجالد والصقعب كما تقدم حيث قال: قال أبو مخنف حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير أنهما كانا التقيا مرارا ثلاثا أو أربعا حسين وعمر بن سعد... الخ. فتحصل ان الرواية منقوصة السند وفاقدة له وهذا يعد في الموازين العلمية انها فاقدة للاعتبار والقبول.

ثانياً: البعد الزماني بين الناقل والمنقول عنه

تقدم ان الطبري لم يكن معاصرا لابي مخنف او قريبا منه زمانا، بل الفترة الزمانية بينهما اكثر من قرن ونصف تقريبا كما هو ملحوظ في سيرهما حيث تقدم ان الطبري ولد في القرن الثالث وتوفي في بداية القرن الرابع الهجري، بينما ابو مخنف من اصحاب الامام الصادق عليه السلام وقيل من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وقيل من اصحاب الحسن والحسين عليهما السلام. كما ذكر ذلك المختصون في علم الرجال حيث قالوا: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم، توفي سنة ١٥٧هـ. يكنى أبا مخنف، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما قال الشيخ. ومن أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام، على ما زعم الكشي، والصحيح أن أباه كان من أصحاب علي عليه السلام، وهو لم يلقه، له كتب كثيرة في السير، منها: كتاب مقتل الحسين عليه السلام، وكتاب أخبار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكتاب مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه،

وكتاب مقتل عثمان، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وغيرها من الكتب[1]. فكيف كان فقد ثبت في كل التقادير انا با مخنف الذي يروي عنه الطبري من دون واسطة لم يكن معاصرا أو قريبا من الطبري زمانا وانما في اقل التقادير بينهما (١٥٠ سنة) وهو مما يصعب تصديق وتوثيق الكلام عنه من دون ذكر سلسلة رجال الحديث.

ثالثاً: البعد المكاني بين الناقل والمنقول عنه

ان الطبري يبعد أيضاً من أبي مخنف من الناحية المكانية كما هو واضح مما تقدم من ترجمة حياتهما: حيث ثبت ان محمد بن جرير الطبري انهى اكثر عمره في طبرستان، امل شمال ايران كما مرّ. وفي آخر حياته وفي فترة وجيزة من حياته استقر في بغداد وتوفي بها، بينما ابو مخنف كما تقدم من سكنت الكوفة واهلها وهذا مما يضفي بعدا للموثقين حيث يعتبر المشارك في البلد والموافق بين الناقل والمنقول عنه من اهل بلد واحد ولو بينهما بعدا زمانينا أولى وافضل من المخالف له في المكان والبعيد عنه مكانا لا سيما في الازمنة السالفة القديمة؛ وذلك لفقد وسائل التواصل الاجتماعي كما هو الحال اليوم، وايضا حال انتشار نسخ الكتب لم يكن رائجا وواسعا كما هو الحال اليوم وانما تكون نسخة او اثنين تكتب باليد وعادة ما تكون في بلد المؤلف وتداول في اجيال البلد، فمن الطبيعي القانط في نفس بلد الراوي يكون احتماله اقرب في حصوله على ما دون الناقل من تراث بخلاف البعيد مكانا. وايضا يسهل للموافق مكانا للمنقول

(١) راجع: معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٥ ص١٤١

عنه ان يأخذ هذه المعلومات وبعض النصوص من المعمرين الذين عاصروا المدون او من ابنائهم واحفادهم كما يقال: (اهل مكة ادرى بشعابها). وربما ينسخ وينعدم المخطوط لكن يبقى جله في اذهان المعاصرين او احفادهم فالقاطن في بلد النص اولى من الشخص البعيد مكاناً لا سيما في ذلك العصر المفتقر للتقنية الذي يتمتع بها هذا العصر؛ ولذلك كان بعض العلماء يسافر الى بلد المعصوم عليه السلام او بلد الرواة وقد يدون ما قد حفظوه منهم أبناء جلدتهم فهم أعلم واعرف بما صدر من علمائهم الماضين، فيكون المشارك له في البلد اولى من البعيد عنه. وعليه ان الطبري لم يكن مشاركا له في نفس البلد الكوفة بل كان بعيدا عنه مكانا حيث كان في طبرستان وآخر حياته استقر في بغداد بينما المنقول عنه ابو مخنف من أهالي وقطنة الكوفة.

رابعاً: المقتل المنسوب لابي مخنف ليس له

ان ما نقله الطبري ونسبه الى ابي مخنف حتى جمع بعنوان مقتل الامام الحسين عليه السلام باسم (مقتل ابي مخنف) هو في الواقع لم يكن لابي مخنف لوط بن يحيى المتقدم الذكر، ولا ينطبق مع ما ذكره ابن مخنف وتداوله علماء وافاضل عصره او القريبين منه، مع ان نسخة مقتل ابي مخنف الحقيقي قد تلفت وانعدمت ولم يحصل عليها كما ذكر ذلك جملة من العلماء المختصين منهم الشيخ عباس القمي حيث قال: وليعلم ان لأبي مخنف كتبا كثيرة في التأريخ والسير منها كتاب مقتل الحسين عليه السلام الذي نقل منه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه، ولكن الأسف انه فقد ولا يوجد منه نسخة، وما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين، ومن أراد تصديق

ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطبري وغيره عنه حتى يعلم ذلك[1]. فتحصل ان ما نقله الطبري وغيره عن ابي مخنف لم يثبت ولم يمت له بصلة وهذا ما يبطل اساس المسألة. وهذا يلزم أنّ الرواية التي نقلها عن أبي مخنف لم تكن صادرة عنه وثابتة له.

خامساً: تفرد الطبري بنقل النص

ان المؤرخين المعاصرين للطبري زمانا لم يذكروا هذا النص المبحوث بتعابيره وبمضمونه، بينما هم اقرب مكانا للحادثة ورواتها حيث هم من سكنة الكوفة أمثال المؤرخ الكبير أحمد بن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤هـ كما ذكره جملة من الاعلام المختصين: احمد بن أعثم الكوفي: أبو محمد الأخباري المؤرخ، له كتاب التاريخ إلى أيام المقتدر، وكان شيعيا، وله كتاب في كتاب الغارات، وكتابه المعروف المطبوع بين الدفتين باسم (الفتوح). وذكر انه كان ينقل من ابي مخنف وغيره من المدونين السابقين عليه فلم يذكر لما ذكره الشيخ المفيد والطبري ابدا ولو كان ما نقلاه لكان هو اولى بنقله واجدر.

سادساً: نصوص معارضة

الطبري نفسه وفي نفس تاريخه وفي نفس الصفحة يناقض ويعارض ما نقله برواية اخرى ويذكر ان الامام الحسين عليه السلام لم يقل اني ابايع يزيد بن معاوية وما شاكله، وهذا ما جاء بنص ما ذكره في تاريخه حيث يقول: (قال أبو مخنف) فأما

(١) الكنى والالقاب، الشيخ عباس القمي، ج١ ص١٥٥

عبد الرحمن ابن جندب فحدثني عن عقبة ابـن سـمعان قـال صـحبت حـسينا فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومـن مكـة إلى العـراق ولم أفارقـه حتـى قتـل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكـة ولا في الطريـق ولا بـالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقـد سـمعتها ألا والله مـا أعطـاهم مـا يتـذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بـن معاويـة ولا أن يـسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلا ذهـب في هـذه الأرض العريـضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس[1]. وهذا يبطل ما ذكر في الحديث المبحوث حيث ينفي بشكل جلي ما تداول ان الامام الحسين عليه السلام يطلب مبايعة يزيد بن معاوية.

سابعاً: اشاعات مغرضة

ان هذا الكلام المنسوب للامام الحسين عليه السلام كان مجرد شـائعات والاقـرب انها مغرضة من قبل السياسة الاموية؛ ولذلك كان الحدث بينهم وفي أوساطهم بين الرفض والتشكيك وتنقل ما يتداوله الناس بالسنتهم على سبيل الهـراء كـما ذكره البلاذري السابق على الشيخ المفيد والطبري المتوفى سـنة (٢٧٩هـ) حيـث يقول: قالوا: وتواقف الحسين وعمر بن سعد خلوين، فقال الحـسين: اختـاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في يد يزيـد فهـو ابـن عمي ليرى رأيه في وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلا من أهله لي ما له وعليّ ما عليه!!! ويقال انه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينـة فقـط[2].

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج٤ ص٣١٣

(٢) انساب الاشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج٣ ص١٨٢

ومن تعابيره وذكر التشكيك دلالة على رفض هذا الخبر في الاوساط العامة وانه مجرد قول واشاعة تترد في الالسن والافواه.

مناقشات دلالية

هنالك شواهد ونصوص كثيرة تناقض وتدحض هذا الخبر المكذوب سواء في التعابير التأريخية أو في النصوص الصادرة عن المعصوم عليه السلام او في المواقف والمبادئ الصادرة عن المولى ابي عبدالله عليه السلام وابنائه المعصومين عليهم السلام اضافة الى المناكفات والمكر الذي اعتاده الامويون في تغيير الحقائق وتزييف التاريخ، وهذا ما سنشير ان شاء الله اليه تباعا.

اولاً: لم يصدر النص من الامام عليه السلام

الكلام المذكور لم يكن صادرا من الامام الحسين عليه السلام ومن شخصه ولسانه عليه السلام أو من نائبه او احد أهل بيته وانما صدر بجملته من عمر بن سعد كما هو واضح في النص المتقدم في الارشاد والطبري حيث قال: ثم رجع عمر بن سعد إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد: فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلا من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه. فبالتالي هذا التعبير من عمر بن سعد مخاطبا به ابن زياد وهو لواحدة من اثنين اما مغرض في كلامه ويريد قلب الحقائق والتقول على الامام الحسين عليه السلام لتضعيف معنويات معسكر الامام عليه السلام وتشويه الحركة الحسينية

على الصعيد التـأريخي والـسياسي وهـذا مـا يحـصل عـادة في أروقـة الانظمـة السياسية لا سيما الفاقدة للقيم والمبـادئ. أو أنّ ابـن سـعد تقـول عـلى الامـام الحسين عليه السلام للمداهنة وتجنب الحرب لعلمـه في دقـات طبولهـا سيخـسر الـدنيا والاخرة بخلاف ما لو لم تحصل الحرب فقد سيحظى بملك الري وما شـاكله. فهـو حـاول تجنـب الحـرب لأغـراض شخـصية وطمـع دنيـوي فاتخـذ هـذا الاسلوب، وربما فهم ابن زياد ذلك تقولا من ابن سعد؛ لذلك جاء الرد موبخا له حيث راسله ابن زياد بقوله: إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتطاولـه ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتعتذر له ولا لتكون له عندي شافعا... الـخ[1]. وكيف كان ان هذا الكلام لم يصدر من الامام عليه السلام بل صدر من ابن سعد وباي الدوافع والاسباب هو باطل وَتَقُول على الامام عليه السلام.

ثانياً: الامام عليه السلام لن ينقض هدفة

لو كان الامام الحسين عليه السلام يريد الانسحاب او بيعة يزيد وعدم الاسـتمرار في تحقيق ثورته الخالدة لأعلنه قبل وصله الى كربلاء؟ وبعد ما علم بمقتـل ابـن عمه مسلم بن عقيل ومعرفته بانقلاب الامة عن قولهم ووعدهم لا سيما بعدما اخبره بعض الذين خرجوا من الكوفة التقى بهم في الطريق واخبره بـما حـصل والسيطرة التامة لبني امية كما ذكره جملة من المؤرخين، فقد جاء عـن الـبلاذري بإسناد قال: عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال: لقيت الحـسين بـن عـليّ عليهما السلام وأصحابه بالصّفاح، وقد ركبـوا الإبـل، وجنّبـوا الخيـل، متقلّـدين الـسيوف،

(١) الارشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٨٨.

متنكبين القسيّ، عليهم يلامق من الديباج، فسلمت عليه، وقلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركت الناس قلوبهم معك، وسيوفهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أيدي بني أمية، والأمر إلى الله عز وجل، والقضاء ينزل من السماء بما شاء[1]. فقد انكشفت الصورة تماما للمولى ابي عبد الله في انقلاب القول وهيمنة الامويون على الكوفة وهو عالم بذلك فلو كان يريد التراجع عن اهدافه عليه السلام لبدء به قبل وصوله كربلاء.

ثالثاً: خروج الامام عليه السلام بأمر إلهي

ثبت في محله أنّ خروج الامام الحسين عليه السلام ومن معه كان بأمر الهي غيبي وقد كشف عنه عليه السلام في اول حركته وخروجه خصوصا عندما اعترضه البعض من الشخصيات امثال ابن الحنفية فقال عليه السلام هذا امر وتكليف من الله ورسوله كما جاء في اللهوف: فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلا فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء ان يراك قتيلا، فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى[2]. وهذه ميزة خاصة بالإمام الحسين عليه السلام ولم نجدها في نبي

(١) الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني، ج٢١ ص٢٥٨

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ص٤٠

من الانبياء او وصي ان المولى سبحانه وتعالى شاء ان يراه قتيلا، فكيف يصح للإمام عليه السلام ان يخالف حكم السماء وامر النبي صلى الله عليه وآله ويخضع لمبايعة يزيد او الالتحاق في جيشه بل حتى رجوعه للمدينة؟

رابعاً: مخالفة مبادئ الثورة الحسينية

النص المذكور يخالف تماماً مبدئ الامام الحسين عليه السلام الذي طالما كان يؤكد عليه في كل المواطن وهو رفض بيعة يزيد وامثاله ورفض الذل والخنوع وسائر الى اتمام الحركة الالهية ومسيرة الانبياء عليهم السلام في الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلماته في هذا المجال ملأت الخافقين ونذكر هنا بعضا منها للاختصار، منها ما جاء في وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية المعروف ولد علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام... الخ[1]. وايضا قوله ما جاء في اللهوف في اعلان الرفض المطلق لبيعة يزيد ومن سار على نهج يزيد حيث قال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة

(١) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، ج٥ ص٢١.

ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله[1]. وهو القائل ايضاً: ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني! هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، الأواني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر... الخ[2]. وغيرها من النصوص الكثيرة التي يشير الامام عليه السلام بوضوح الى رفض حكومة يزيد وعدم الخضوع له وان كلفه الشهادة، فكيف نسمح بقبول الحديث المبحوث المناقض لكل اقوال ومبادئ الامام عليه السلام؟.

خامساً: اعلان الشهادة

الامام الحسين عليه السلام خرج وهو معلن شهادته ومن معه وهذا ما كرره مرارا واعلنه جهاراً بشكل صريح وقد تناقله المؤرخون والمحدثون من دون ريب وتشكيك كما جاء في بصائر الدرجات عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال ذكرنا خروج الحسين وتخلف ابن الحنفية عنه قال قال أبو عبد الله يا حمزة انى سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا ان الحسين لما فصل متوجها دعا بقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم اما بعد فإنه من الحق بي منكم استشهد معي ومن تخلف لم يبلغ

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ص١٤

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج٢ ص٢٥

الفتح والسلام[1]. وغيرها من النصوص التي تثبت عزم الامام عليه السلام على الشهادة والتضحية فيكيف ينئى بنفسه عن ذلك وهو عزم عليها وأعلنها مرارا وتكرارا وكشف ذلك لأصحابه ومن معه.

توظيف النص

قام بعض المعاصرين المعاندين لطريق الحق في توظيف هذا النص المذكور في الارشاد وغيره لصالح أهوائهم ومبانيهم الخاصة من ان الامام الحسين عليه السلام اراد البيعة ليزيد كما هو مذكور ولكن حصل خطأ عسكري بينه وبين ابن زياد وحال دون ذلك حتى قتل، وعليه ان الحسين عليه السلام بحكم المبايع ليزيد ولم يكن خلاف في ذلك. واخذ الاعلام يروج الى هذه الاوهام والترهات والتحاليل الباطلة، وتناسوا كل هذه النصوص وما عليه من سيرة الامام الحسين عليه السلام، مع ان لو ثبت ذلك لما أمر يزيد بحمل الرؤوس وجلب السبايا الى الشام والتشمت والتشفي برأس المولى ابي عبدالله، بل عند دخول الرؤوس والسبايا الشام جعلوا ذلك اليوم عيدا وزينوا الشوارع والازقة وضربوا الطبول والدفوف فقد ذكر ابن كثير وابن الجوزي وغيره عن مجاهد قال، لما جيئ برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج في وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا لي هنيا لا تسل

حين حكت بفناء بركها ... واستحر القتل في عبد الأسل

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ، ص٥٠٢

قد قتلنا الضعف من أشرافكم وعـدلنا ميـل بـدر فاعتـدل[1]

فلو كان الامام عليه السلام طلب بيعة يزيد وتراجع عـن ثورتـه لمـاذ يزيـد تـشفى وفعل كل ذلك في ظلم اهل البيت عليهم السلام واعلن عن ضغائنه وما يختلج في صدره من عداء فكل هذه الـشواهد والنـصوص والادلـة تبطـل مـا ورد في الحـديث الموضوع.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٨ ص٢٠٩. المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ابـن الجـوزي، ج٥ ص٣٤٣

المبحث الثالث

صعود الحسنين على ظهر النبي صلى الله عليه وآله؟

تمهيد

من المسائل الثابتة في مذهبنا الحق هو عصمة المعصوم عليه السلام من الأخطاء وتكامل صفاته في كل أطوار حياته بحسب المتبنيات العقدية التي سار عليها العلماء لا سيما اهل الاختصاص في هذا الفن والمجال وربما يرتطم هذا المعتقد مع بعض النصوص التأريخية في ظاهرها وباطنا حيث ان هناك نقولات تخالف المعتقدات المسلمة في الجملة عند أهل الكلام وقد تتناولتها الالسن والاقلام من حيث لا يشعرون من دواعي مستلزماتها وتبعاتها الاخلال في منزلة العصمة والتجرأ على قدسية المعصوم عليه السلام اضافة الى المتناقضات والمخالفات للقرآن وسيرة وسلوك الأئمة عليهم السلام.

وها نحن إن شاء الله تعالى نقف في هذا السفر امام واحدة من هذه المسائل التي يرددها الخطباء على منابرهم وينقلها العلماء في تراثهم وكتاباتهم، بل ربما أخذت بعدا في الاستنتاجات والاستنباطات الفقهية أو غيرها كما سيأتي ان شاء الله، الا وهي وثوب الامامين الحسنين عليهما السلام على ظهر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حال

صلاته وهو يؤم الجماعة في المسجد، حتى انه ﷺ اطال سجوده كما في بعضها لكي يتشبعا ويرتويا من هذه الوثبة على ظهر النبي ﷺ ومن ثم انزلهما برفق... ويأتي السؤال في هذا المضمار أليس أنّ الحسنين عليهما السلام معصومان منذ ولادتهما فكيف يصدر منهما هذا السلوك امام الملأ؟ والجواب يكون ان شاء الله تعالى محور البحث والتحقيق في هذه الاشكالية متبعين الضوابط العلمية والبحثية بالطريقة الموضوعية بعيدا عن التطرف والاملائات.

نص الروايتين

من المنصف ان نأتي بنص الروايات التي ذكرها العلماء القداما وسار عليها السلف، وايضا ذكر ما ورد في هذا المضمون بتعدد الطرق فيها وايضاً تعدد الألسن، وقد عثرنا على روايتين في هذا المضمون متقاربتين في المعنى والمضمون نقلاهما العلماء من الفريقين ونذكرهما نصا:

الأولى: عن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما من خلفه أخذا رفيقا ويضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاته، ثم أقعد أحدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله أردهما؟ فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما، فمكث ضوءها حتى دخلا[1]. هذا تمام الرواية الأولى وهي صريحة في متنها من صعود الحسنين عليهما السلام على ظهر جدهما وهو يصلي.

(١) مسند احمد، الامام أحمد بن حنبل، ج٢ ص٥١٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٣ ص٢٨٣

اما الرواية الثانية فنصها كالتالي: عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشى الظهر أو العصر وهو حامل حسن أو حسين فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها قال إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس يا رسول الله انك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا انه قد حدث أمر أو انه يوحى إليك قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته[1]. ومضمون هذا النص يشير الى ان وثبت احدهما عليه السلام على ظهر جده وهو ساجد في صلاة الجماعة وقد اربكت هذه الوثبة المصلين مما جعلهم يسألون النبي ﷺ عن هذا التأخير.

فتحصل ان خلاصة مضمون هذين النصين هو ليس ان الحسنين عليهما السلام لم يلتزما باقامة الصلاة مع جدهما فقط، بل كانا عليهما السلام يعرقلان ذلك بصعودهما على ظهر النبي ﷺ في وقت صلاة الجماعة امام الملأ كما هو اضح من ظاهر الروايتين.

المناقشات السندية

من ضمن الآلية العلمية التحقيقية البحثية في الوهلة الأولى في مناقشة نص من النصوص الحديثية أو التأريخية مراجعة الجانب السندي سواء في رجال ناقليه او في جوانبه التوثيقية كما أشرنا إليه في البحوث السابقة.

(١) مسند احمد، الامام أحمد بن حنبل، ج٦ ص٤٦٧. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٧٤

أولاً: جذوره أجنبية عن تراثنا

من المتفق عليه بين علماء الفريقين ان هـذين النـصين اجنبيـان عـن تراثنـا ورجالنا كما هو واضح، بل جاء في تراث القوم وأول من نقلهما الامام أحمد بـن حنبل في مسنده وكل من جاء من الفريقين مـن بعـده نقلـه عنـه ولم ينـسب الى رجالنا او الى احد المعصومين عليهم السلام، وهذا ما يغنينا من متابعة الجوانب الـسندية وملاحظة توثيقاتهم، حيـث انهـا تنـسجم مـع معتقـدات القـوم في أئمـة أهـل البيت عليهم السلام فلم يعتقدوا بعصمتهم ومستلزماتها.

ثانياً: تفرد الامام ابن حنبل بنقله

من خلال مراجعة النصوص وتراث المؤرخين والمحدثين القـداما لم نجـد من ذكره غير احمد بن حنبل ولم يذكر في تراث العلـماء والأئمـة الـسابقين عـلى عصره حيث ان الامام احمد بن حنبل يعد من علماء القرن الثالث الهجـري كـما هو ثابت في ترجمته فقد توفي أواخر النصف الاول من القـرن الثالـث الهجـري المصادف سنة (٢٤١هـ) وهو آخر الأئمـة الأربعـة عنـد أهـل الـسنة والجماعـة وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الاسلامي، فلم يُذكر النص من قبـل العلـماء السابقين على عصره امثال الشافعي او المالكي او غيرهما فقد تفرد هو في نقلهما.

ثالثاً: البعد الزماني والمكاني بين الناقل والمنقول

مع ملاحظة البعد الزماني وايضاً المكاني بين الناقل وهو الامام ابـن حنبـل وبين المنقول (الروايتين) كما هو واضح ما فيه من بعد زمني بينه وبين النص مـا يقارب أكثر من قرنين من الزمن، اضافة الى البعد المكاني حيث ان ابن حنبل من

قطنت وسكنت بغداد الأم التي ولد فيها وترعرع في اجوائها فلم يكن من سكنة المدينة؛ ليكون على اقل تقدير ان عثر على تراث من اهلها او وصله من خلال تعاقب الاجيال مع ان كل هذا لا يعد الدليل والبرهان. فتحصل ان هذين النصين حتى في أروقة تراث القوم يعد من الآحاد ولم يحظ بالنقل في اوساط علمائهم. اضافة الى رجاله وما عليه من مؤاخذات واتهامات في كثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وما شابهه. مع كل ذلك أنّ الناقل يبعد عن النص زماناً وايضاً مكاناً.

المناقشات الدلالية

بعد ما ثبت ان هذه المقطوعة التاريخية لم تكن صادرة من احد المعصومين عليهم السلام ولا من رجال تراثنا وانما هي واردة في أروقة تراث القوم ننتقل الى ملاحظة الجوانب الدلالية في هذا المجال فهناك مؤاخذات عديدة واردة على النصين لا تنسجم مع مستلزمات العصمة وابعادها ناهيك عن المؤاخذات في مضمون الرواية من قبيل رجوع بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الى السجود بعد ما احس باحد الحسنين عليهما السلام على ظهر النبى الاكرم صلى الله عليه وآله كما تقدم: (... إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد فرجعت في سجودي...) كما سيتضح ان شاء الله تعالى.

أولاً: مخالفة فقهية

نلاحظ في النص الثاني المذكور أنّ بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وآله قد كرر سجوده حيث رجع الى السجود بعد ما احس بالصبي على ظهر النبي صلى الله عليه وآله من

دون ان يقرّ ببطلان صلاته أو يُعترض عليه من قبل النبي ﷺ أو أحد اصحابه مع انّ مقتضى الفتوى عند كل الفقهاء بعدم جواز الرجوع الى السجود؛ لكونها تحسب سجدة ثالثة لا سيما مع القصد كما جاء في الجواهر مثلاً: هما جزءان لو تركت إحداهما عمدا اختيارا في فرض أو نفل بطلت الصلاة، وبقيد الاجتماع إيجادا وتركا ركن تفسد الصلاة بهما زيادة ونقصا عمدا وسهوا[1]. وايضا ما جاء في العروة حيث قال: أما سجود الصلاة، فيجب في كلّ ركعة من الفريضة والنافلة سجدتان وهما معا من الأركان، فتبطل بالإخلال بهما معا، وكذا بزيادتهما معا في الفريضة عمدا كان، أو سهوا أو جهلا. كما أنّها تبطل بالإخلال بإحداهما عمدا، وكذا بزيادتها[2]. وقد علق بعض الاساطين في ذكر دليل هذا الافتاء بقوله: لقاعدة: ألّا أن الركن ما كانت زيادته مطلقا ونقيصته كذلك موجبة للبطلان. وعمدة مدرك هذه القاعدة ظهور التسالم عليها. (الى أن يقول): أما الأول، فلقاعدة: إنّ الواجب ما كان تركه العمدي موجبا للبطلان إلا مع الدليل على الخلاف وهو مفقود في المقام. وأما الثاني، فللإجماع عليه[3]. وكما عن بعض المعاصرين حيث قال: وهما معا ركن تبطل الصلاة بنقصانهما معا عمدا أو سهوا وكذا بزيادتهما عمدا بل وسهوا أيضا على الأحوط[4]. ولو كان ذلك صادر عن امضاء النبي ﷺ وثابت عندهم؛ لكان دليلا على جوازه،

(١) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ج١٠ ص١٣٥
(٢) العروة الوثقى، السيد اليزدي، ج٢ ص٥٥٤
(٣) مهذب الاحكام، السيد عبد الاعلى السبزواري، ج٦ ص٤١٨
(٤) منهاج الصالحين، السيد السيستاني، ج١ ص٢١٨

بل ربما يكون مستحباً في حال كان الصبي على ظهر ابيه أو امه. بل ثبت عند العلماء من الدليل الصادر عن المعصوم عليه السلام عدم تكرار السجود حيث يلزم بطلان الصلاة فلا مجال اذا لهذا النص الوارد؛ لكونه غير صادر عن المعصوم عليه السلام بل اجنبي عن مواطن الاستدلال وغيره.

ثانياً: ابعاد العصمة

ضرب الله لنا مثلا لمساحة وابعاد المعصوم عليه السلام من انه لا يقيد بزمان معين او مكان سواء كان صغيرا أو شيخنا فهو يتمتع بابعاد العصمة والتكامل فهو معصوم ومتكامل منذ ولادته حتى آخر حياته وما جاء في الايات بخصوص عيسى عليه السلام او يحيى عليه السلام الا مثالا فقد قال سبحانه بحق عيسى عليه السلام: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾. وهذا يعطينا اشعارا بأن عيسى عليه السلام بعث بالنبوة والرسالة قبل ولادته في الدنيا حيث قال آتاني الكتاب وجعلني نبيا، والتعبير بصيغ الماضي ومفروغ عنها وليس في المستقبل ان الله سيجعله كذلك ولم يبين سبحانه متى جعله لهذا المنصب حين الولادة ام في بطن امه ام في عالم الذر، وهذه عينه يجري في حال نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله حيث اشار سبحانه انه انزل القرآن على قلبه في شهر رمضان لكن لم يبين سبحانه أي زمن هل في عالم الذر كما قال صلى الله عليه وآله: (كنت نبيا وآدم بين

الماء والطين)[1]. ام غيره. وكيف كان ان نبي الله عيسى عليه السلام يتمتع بصفاة الانسان الكامل منذ ولادته وهكذا حال الأئمة عليهم السلام فهم أفضل منه عليه السلام مكانة. وهذا ما نجد بيانه في ادبيات المعصوم عليه السلام وكيف استشهد لذلك في حال عيسى عليه السلام فقد جاء في الكافي باسناده عن عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام قَدْ كُنَّا نَسْأَلُكَ قَبْلَ أَنْ يَهَبَ الله لَكَ ـ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَكُنْتَ تَقُولُ يَهَبُ الله لِي غُلَاماً فَقَدْ وَهَبَ الله لَكَ فَقَرَّ عُيُونُنَا فَلَا أَرَانَا الله يَوْمَكَ فَإِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ فَأَشَارَ بِيَدِه إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْه فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ قَالَ ومَا يَضُرُّه مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَدْ قَامَ عِيسَى عليه السلام بِالحُجَّةِ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ[2]. وغيرها من الروايات في هذا المجال. فانها تطبق الآية الكريمة على مورد النبوة والإمامة في كونهما غير خاضعين الى قانون الزمانية والعمرية والتكاملات التدريجية الكسبية، بل كونهما جعل الهي سواء كان عمره يوم أو الف سنة وهذا ما كان في افهام اصحاب أهل البيت عليهم السلام والمقربين لهم كما تشير بعض النصوص عندما شكك البعض في جدارة الامام الجواد عليه السلام بعد شهادة ابيه الرضا عليه السلام فعذلوه ووبخوه وبينوا له هذا المضمون كما نقله الطبري الشيعي وايضا الشيخ المفيد. فلما مضى الرضا عليه السلام، وذلك في سنة اثنتين ومائتين، وسن أبي جعفر عليه السلام ست سنين وشهور، واختلف الناس في جميع الأمصار، واجتمع الريان ابن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم،

(١) عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي، ج٤ ص١٢١

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٣٨٣

وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه العصابة في دار عبد الرحمن بن الحجاج، في بركة زلزل، يبكون ويتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس: دعوا البكاء، من لهذا الأمر يفتي بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي؟ يعني أبا جعفر عليه السلام، وكان له ست سنين وشهور، ثم قا: أنا ومن مثلي! فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده فيحلقه، ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه، ثم قال له: يا بن الفاعلة، إن كان أمر من الله جل وعلا فابن يومين مثل ابن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة عليهم السلام أو ببعضه، أو هذا مما ينبغي أن ينظر فيه؟ وأقبلت العصابة على يونس تعذله...[1]. فتحصل ان العصمة غير خاضعة للموازين العمرية فهي تحصل في الارتباطات المعنوية والروحانية من اول يوم في الدنيا كما هو واضح من الآية واستنتاج المعصوم عليه السلام وفهم بعض اصحابه. فكيف نتصور ان الحسنين عليهما السلام يعبثان ويصعدان على ظهر النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وهو في امامة جماعة عامة لاصحابه ومرتبط بالله وهما يتمتعان بهذه الخصوصية من العصمة والادراك الكامل.

ثالثاً: عبادة المعصوم عليه السلام

عند قراءة سيرة المعصومين عليهم السلام لاسيما حين ولاداتهم وفي اوائل ايام حياتهم نجد انها مرتبطة في عبادة الله وتحوي على التهليل والتسبيح وما سواهما

(١) دلائل الأئمة، محمد بن جرير الطبري الشيعي، ص٣٨٩

وهذا ما اشارت له جملة من النصوص، منها ما تتحدث عن الامام الجـواد عليه السلام فقد جاء في الخبر: عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى عليه السلام، قالـت: كتبـت لمـا علقت أم أبي جعفر عليه السلام به: خادمتك قد علقت. فكتب إلي: إنها علقـت سـاعة كذا، من يوم كذا، من شهر كذا، فإذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام. قالت: فلما ولدته قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فلما كان اليوم الثالث عطـس فقـال: الحمـد لله، وصلى الله على محمد وعلى الأئمة الراشدين[1]. وفي رواية ابن شهر اشـوب: قالت (السيدة حكيمة): فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثـم نظـر يمينه ويساره ثم قـال: أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأشـهد أن محمـدا رسـول الله، فقمت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الـصبي عجبا، فقال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر فقال: يا حكيمـة مـا تـرون مـن عجائبـه أكثر[2]. فهذا حال المعصوم صلى الله عليه وآله عند ولادته فكيف في صباه وهـم في بيـت الله وفي عبادة الله يصدر من الحسنين عليهما السلام، بل ما رأينا ذلك حتى من ابنـاء المراجـع طول التأريخ وهم يصطحبون ابنائهم لصلوات الجماعة فكيـف بالمعـصوم عليه السلام وهو بهذا المستوى من المعرفة.

رابعاً: وأوصاني بالصلاة

من الملفت في الآية المتقدمة الذكر ان نبي الله عيسى عليه السلام وهو في المهد اخبر عن نبوته ورسـالته واشـارة الى وجـوب الـصلاة عليـة كـما في صريـح الآيـة:

(١) دلائل الأئمة، محمد بن جرير الطبري الشيعي، ص٣٨٤

(٢) مناقب ال ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص٤٩٩.

﴿... وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا...﴾. والملاحظ من التعبير انه لم يقيد الزمن، بل اطلقه مادام على قيد الحياة والادراك سواءكان صغيرا ام كبيرا تصدر منه عبادة الرحمن مع انه أقر بالعبودية وقال اني عبد الله هكذا يستعرض لنا المولى ابعاد المعصوم عليه السلام وارتباطه بالله فكيف نعقل الحسنين عليهما السلام او احدهما في المسجد وبيت الله وهو يعزف ويعرض عن الصلاة ويعبث ويلعب ويعمل في عرقلتها ويثب على ظهر جده وكأنه لا يفرق عن أقرانه، مع ان اقرانه في هذا الحال وهم في المسجد لا يصدر منهم في الاعم الأغلب.

خامساً: تكامل المعصوم عليه السلام منذ ولادته

من المؤسف جدا ان هذا النص المبحوث عندما دخل في تراثنا وفُعل في الاذهان والانظار وانتشر في ربوع الفكر والمجتمع حتى أخذ اثره السلبي في المجال العقدي والفقهي وغيرهما وصار مقدمة وطريق لاستنتاجات بعض العلماء حتى اضطر البعض ان يقول بالتكامل التدريجي للمعصوم عليه السلام وعدم تكامله بزمن الصبى أو الطفولة مع ان بطلان المقدمات يستلزم بالضرورة بطلان النتائج كما هو ثابت في محله. مثلا ذكر بعض اعلام الفقه بقوله: ولا بأس بالصّلاة في ثياب الصّبيان. وهو قول أهل العلم، لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله حمل أمامة بنت أبي العاص بن الرّبيع وهو في الصّلاة. وكان يصلّي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين عليهما السلام على ظهره[1]. فكان دليلهم على جواز الوثب على ظهر

(١) منتهى المطلب، العلامة الحلي، ج٣ ص٣٢٠

المصلي هذه الرواية وجعل الحسنين عليهما السلام حالهم حال الصبية العاديين، مع ان العصمة وابعادها غير خاضعة الى العمرية او التكليف وما شاكله بل هو جعل إلهي وأمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون، من هنا ضرب سبحانه أمثلة واقعية لرفع هذا الايهام في نبي الله عيسى عليه السلام كما تقدم، وايضا نبي الله يحيى حيث آتاه الله الحكمة والرسالة وهو صبي ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾. وقد ارشد الأئمة عليهم السلام الى هذه الشعيرة في موارد كثيرة وقد حصلت ايضا في أئمتنا عليهم السلام حيث عندنا أئمة كالجواد عليه السلام والهادي عليه السلام والقائم عجل الله فرجه الشريف، واضافة الى كل ذلك يحدثنا التأريخ والسير تكامل المعصوم عليه السلام منذ طفولته وكيف يجيب على التسائلات ومدى ارتباطه بالله وبعده الايماني كما سنذكر ان شاء الله جملة مختصرة من الشواهد.

سادساً: فصاحة المعصوم عليه السلام في طفولته

من المسائل المسلم بها والمتفق عليها في المتبنيات العقدية هي تمتع المعصوم عليه السلام بمساحة مطلقة في العلم والمعرفة في كل الازمنة والامكنة ولم ينتظر ان يكتسب علماً وفهماً من اساتذة، كما هو الحال في امثالنا او ينتظر تكامل ذهنه وعقله لبوغ اشده وانما العلم والفكر والنطق بكل مستلزماته حاضر عنده ولدني منذ ولادته. ولتأكيد هذا الاعتقاد نذكر هنا نموذجا في بعد علم ومعرفة وفصاحة المعصوم عليه السلام في اوائل طفولته وهو عندما شكك القوم بنسب الامام الجواد عليه السلام واتهموا امه حتى اتوا بالقافة وحكموا برجوع الامام عليه السلام لابيه وكل ما تصوروه باطل انبرى الامام الجواد عليه السلام حينذاك بكل شجاعة وفصاحة

وبلاغة وكان في ذلك الوقت عمر الامام الجواد عليه السلام خمسة وعشرين شهرا، (أي سنتان وشهرا) كما جاء ذلك مفصلا ومسندا عند المحدثين، حيث قالوا: كان عليه السلام شديد الأدمة فشك فيه المرتابون وهو بمكة فعرضوه على القافة فلما نظروا إليه خروا لوجوههم سجدا ثم قاموا فقالوا: يا ويحكم أمثل هذا الكوكب الدري والنور الزاهر تعرضون على مثلنا وهذا والله الحسب الزكي والنسب المهذب الطاهر ولدته النجوم الزواهر والأرحام الطواهر والله ما هو إلا من ذرية النبي وأمير المؤمنين وهو في ذلك الوقت ابن خمس وعشرين شهرا، فنطق بلسان أرهف من السيف، وأفصح من الفصاحة يقول: الحمد لله الذي خلقنا من نوره بيده، واصطفانا من بريته، وجعلنا أمناءه على خلقه ووحيه. معاشر الناس، أنا محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء، وابن محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ففي مثلي يشك! وعلى أبوي يفترى! واعرض على القافة! وقال: والله، إنني لأعلم بأنسابهم من آبائهم، إني والله لأعلم بواطنهم وظواهرهم، وإني لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون، أقوله حقا، وأظهره صدقا، علما ورثناه الله قبل الخلق أجمعين، وبعد بناء السماوات والأرضين. وأيم الله، لولا تظاهر الباطل علينا، وغلبة دولة الكفر، وتوثب أهل الشكوك والشرك والشقاق علينا، لقلت قولا يتعجب منه الأولون والآخرون. ثم وضع يده على فيه، ثم قال: يا محمد، اصمت كما صمت آباؤك: (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) إلى آخر الآية. ثم تولى لرجل إلى جانبه، فقبض على يده ومشى

يتخطى رقاب الناس، والناس يفرجون له. قال: فرأيت مشيخة ينظرون إليه ويقولون: الله أعلم حيث يجعل رسالته. فسألت عن المشيخة، قيل: هؤلاء قوم من حي بني هاشم، من أولاد عبد المطلب. قال: وبلغ الخبر الرضا علي بن موسى عليه السلام، وما صنع بابنه محمد عليه السلام، فقال: الحمد لله... الخ[1]. فهذا يعبر بوضوح مدى علم المعصوم عليه السلام ولم يقيد بزمن او تترتب عليه آثار الطفولة من القصور الذهني وعدم الادراك كما هو الحال عند البشر العاديين، بل يتمتع بالكمال المطلق منذ نعومة اظفاره، فكيف نتصور حال الحسنين عليهما السلام بصباهم وما يتمتعون به من علم ومعرفة وتكامل يثبون على ظهر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في وقت العبادة امام الملاء في الجماعة.

سابعاً: علم المعصوم عليه السلام في صباه

عند الاعتقاد بعصمة المعصوم عليه السلام ضمن الادلة والبراهين الثابتة في محلها النقلية كانت ام العقلية، ليس من الصحيح ان نقيد ذلك في فترات زمنية ونذكر ما يناقض ذلك المعتقد في صدور تصرفات تنافي العصمة والتكامل في صغره ونعزوا ذلك الى احكام الطفولة وتبعاتها وكأنه عليه السلام لا يُميز عن اقرانه ولم نعطه وسام العصمة حيث تناسينا ذلك وناقضنا انفسنا من حيث لا نشعر، بينما الثابت والمسلم ان المعصوم عليه السلام يتمتع بكامل العلم والمعرفة والعبادة منذ ولادته وحال صباه مع حضور الحجة السابق عليه ام عدمه، فهو متكامل بكل

(١) دلائل الأئمة، محمد بن جرير الطبري، ص٣٨٥. و مناقب ال ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص٤٩٣.

ابعاد المعرفة وهناك جملة من الروايات تشير الى ذلك، نذكر واحدة منها كيف كان الامام الحسن عليه السلام في طفولته كان يتمتع بكامل ابعاد المعرفة وليس ببعيد ان النبي صلى الله عليه وآله تعمد ان يكشف ذلك للملأ والتاريخ ويرفع كل الايهامات والسذاجات الواردة في اذهان الناس فقد روى بعض العلماء المحدثين القداما وغيرهم من المحدثين عن الباقر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن حذيفة، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله على جبل أحد في جماعة من المهاجرين والأنصار إذ أقبل الحسن بن علي عليه السلام يمشي على هدوء ووقار، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فرمقه من كان معه، فقال له بلال: يا رسول الله، ما ترى أحدا بأحد؟! فقال صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل عليه السلام يهديه، وميكائيل يسدده، وهو ولدي والطاهر من نفسي، وضلع من أضلاعي، هذا سبطي وقرة عيني بأبي هو. وقام، وقمنا معه، وهو يقول: أنت تفاحى وأنت حبيبي وبهجة قلبي وأخذ بيده، [فمشى معه] ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله، فنظرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: إنه سيكون بعدي هاديا مهديا، هدية من رب العالمين لي، ينبئ عني، ويعرف الناس آثاري ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، وينظر الله تعالى إليه، ويرحمه، رحم الله من عرف له ذلك وبرني فيه، وأكرمني فيه. فما قطع صلوات الله عليه وآله كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له، فلما نظر إليه صلى الله عليه وآله قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم عن أمور، ألا إن لكلامه جفوة فجاء الاعرابي فلم يسلم، فقال: أيكم محمد؟ قلنا: ما تريد؟ فقال صلى الله عليه وآله: مهلا، فقال: يا محمد، قد كنت أبغضك ولم أرك، والآن قد ازددت لك بغضا. فتبسم رسول الله عليه السلام وغضبنا لذلك، فأردنا للاعرابي إرادة، فأومأ إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أن امسكوا،

فقال الاعرابي: يا محمد، إنك تزعم أنك نبي، وأنك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من دلائلهم شئ. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أعرابي، وما يدريك؟ قال: فخبرني ببراهينك. قال صلى الله عليه وآله: إن أحببت أخبرتك كيف خرجت من منزلك، وكيف كنت في نادي قومك، وإن أردت أخبرك عضو من أعضائي، فيكون ذلك أوكد لبرهاني، قال: أو يتكلم العضو؟! قال: نعم، يا حسن قم. فازدرى الاعرابي نفسه وقال: هو لا يأتي ويأمر صبيا يكلمني؟! قال صلى الله عليه وآله: إنك ستجده عالما بما تريد فابتدر الحسن عليه السلام فقال: مهلا يا أعرابي:

ما غبيا سألت وابن غبي ... بل فقيها اذن وأنت الجهول
فإن تك قد جهلت فإن عندي ... شفاء الجهل ما سأل السؤول
وبحرا لا تقسمه الدوالي ... تراثا كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعتك نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله تعالى، فتبسم الاعرابي وقال: هيهات.

فقال له الحسن عليه السلام: قد اجتمعتم في نادي قومك، وقد تذاكرتم ما جرى بينكم على جهل، وخرق منكم، فزعمتم أن محمدا صنبور (أي ابتر لا عقب ولا اخ له)، والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنك قاتله وكاف قومك مؤونته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قضاتك بيدك تؤمه وتريد قتله، تعسر عليك مسلكك، وعمى عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفا من أن يستهزئوا بك، وإنما جئت لخير يراد بك. أنبئك عن سفرك: خرجت في ليلة ضحياء (مضيئة لا غيم فيها)، إذ عصفت ريح شديدة اشتد منها ظلماؤها، وأطبقت سماؤها، وأعصر سحابها، وبقيت محرنجما (انطويت على نفسك) كالأشقر إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر، لا تسمع لواطئ حسا، ولا

لنافخ خرسا، تدالت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها، فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجة وتهبط لجة بعد لجة، في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مجحفة بالسفر، إذا علوت مصعدا وأرادت الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف وبرق خاطف، قد أوحشتك قفارها، وقطعتك سلامها، فانصرفت فإذا أنت عندنا، فقرت عينك وظهر زينك، وذهب أنينك. قال: من أين قلت (يا غلام) هذا؟! كأنك قد كشفت عن سويداء قلبي، وكأنك كنت شاهدي، وما خفي عليك شئ من أمري، وكأنك عالم الغيب، يا غلام، لقني الاسلام.

فقال الحسن عليه السلام: الله أكبر، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله.

فأسلم الرجل وحسن إسلامه، وسر رسول الله صلى الله عليه وآله، وسر المسلمون وعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا من القرآن، فقال: يا رسول الله، أرجع إلى قومي وأعرفهم ذلك. فأذن له، فانصرف، ثم رجع ومعه جماعة من قومه، فدخلوا في الاسلام وكان الحسن عليه السلام إذا نظر إليه الناس قالوا: لقد أعطي هذا ما لم يعط أحد من العالمين[1]. وهذا يعطينا تفسيرا جلياً عن البعد الاكمل للمعصوم عليه السلام وانه يتمتع بكامل ابعاد المعرفة وجامع لكل الصفاة سواء كان صغيرا ام كبيرا على حد سواء ولذلك النبي صلى الله عليه وآله كشف ذلك للملأ بشكل عملي وايضا اشار الى انهم عليهم السلام عبارة عن اعضائة أي يحملون كل صفاته؛ لان العضو يحمل كل مواصفاة صاحبه المادية والمعنوية، فارجع النبي صلى الله عليه وآله الاعرابي الى احدهما بكل

(١) النجم الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص٣١٨

يقين ووثوق لعلمه التام بعصمتهم ومستلزماتها. وزبدة الكلام هـذا مـا ينقلـه المعصوم عليه السلام في تعريف الامامين الحسنين عليهما السلام ومدى مكانتهما ليس كما يتسرب الينا من القوم ويعشش في أذهاننا ليحط من فهم مرات وعلو أئمتنا عليهم السلام.

ثامناً: فقاهة المعصوم عليه السلام في طفولته

من المسائل الثابتة في اروقة اهل الاختصاص ان المعصوم عليه السلام سواء في فترة امامته او قبلها في أي مرحلة من العمر كان صغيرا ام كبيرا هو عـالم ومتفقـه في كـل المـسائل الدينيـة فقهيـة كانـت ام عقديـة ام غيرهـا وقـد ذكـر المؤرخـون والمحدثون جملة من الشواهد نكتفي بذكر واحدة منها هنا فقـد جـاء في تـراث جملة من المؤرخين بيان تصدي الامام الكاظم عليه السلام وهو في طفولته وبداية صـباه لأسئلة عالم القوم في عصره الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المولـود في الكوفة سنة (٨٠هـ) والمتوفى في بغداد سنة (١٥٠هـ) وكـان فقيهـا وعالمـا وأول الأئمة الاربعة عند أهل الـسنة والجماعـة وصـاحب المـذهب الحنفـي في الفقـه الاسلامي وكان عادة عندما يذهب الى الحج أو العمرة يعرج الى زيـارة الامـام الصادق عليه السلام وهو يروي كيف دخل دار الامـام عليه السلام وخـرج اليـه الكـاظم عليه السلام وهو صغير في أوائل صباه كـان بدايـة مـشيه كـما يظهـر في الـنص لان الامـام الكاظم عليه السلام ولد سنة (١٢٨هـ) بينما ابو حنيفة كان في العقدين الاخيرين تقريبـا من عمره وكان عـالم القـوم وصـاحب المـذهب حينـذاك، وقـد اجابـه الامـام الكاظم عليه السلام على صغر سنه عن كل مسائله الفقهيـة والعقديـة باسـلوب كـاف وجذاب وجلي حتى جعل السائل مستغنياً عن لقاء الامام الـصادق عليه السلام واخـذ

الإجابة عنه، كما جاء في تحف العقول وغيره حيث قالوا: وقال أبو حنيفة حججت في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه إذ خرج صبي يدرج، (اول ما يمشي الطفل) فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: على رسلك. ثم جلس مستندا إلى الحائط. ثم قال: توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية المساجد وقارعة الطريق. وتوار خلف جدار وشل ثوبك. ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها. وضع حيث شئت.

فأعجبني ما سمعت من الصبي، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقلت له: يا غلام ممن المعصية؟ فقال عليه السلام: إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إما أن تكون من الله وليست منه فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب. وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف. وإما أن تكون من العبد وهي منه، فإن عفا [فـ] بكرمه وجوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته. قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله عليه السلام واستغنيت بما سمعت[1]. ونفهم من هذا النص بوضوح ان المعصوم عليه السلام في صغره يتمتع بالفقاهة والجدارة لان يكون استاذا لغيره من عموم الناس سواء كان عالما او غيره وكل من كان هذا شأنه وديدنه كيف نتصوره امام الملأ يثب على ظهر جده في وقت الصلاة والعبادة؟ مالكم كيف تحكمون؟.

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص٤١١.

تاسعاً: عبادة المعصوم عليه السلام في صغره

تذكر لنا النصوص المدعومة بالايات الكريمة ان المعصوم عليه السلام لم يضيع وقتا باللهو او اللعب حتى في حال صغره، بل قد كلف بحمل رسالة وكان مجدا للعلم والعبادة ويرفض ان يقضي طورا مع الصبيان في مزاولة الالعاب وما شاكلها كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا يَحْيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْناه الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾. روي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام، وروى صاحب المجمع ايضا عن مجاهد ومعمر قال: ومن ذلك الحكم أنه كان صبيا فقال له الصبيان: هلم نلعب. فقال: اوه والله ما للعب خلقنا، وإنما خلقنا للجد لأمر عظيم[1]. وهذا يهدف ان بمنطلق تكامل المعصوم في كل اطوار حياته يوجب عليه العبادة والجد بها وهو من ابعاد المعرفة التي يتمتع بها. وعلى غرار هذا ايضا ورد عن الأئمة عليهم السلام وهم في صباهم كما ذكر بعض الاعلام نصا عن حال الامام العسكري عليه السلام حينما كان صبيا وكيف كان يتمتع بالسلوك والعرفان ويعرض عن اللهو والعب مع الصبية ويعلل كل ذلك اننا لم نخلق للعب بل خلقنا للعبادة ثم يستدل ويستشهد على ذلك باية من الذكر الحكيم، بل وتجلت في نفحات المعرفة والذوبان بالعبادة والانقطاع وهو في تلك البرهة الزمنية كما هو واضح في مضمون النص التالي حيث قال: ونقل في روض الرياحين للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي عن بهلول قال: بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٦ ص٤٠٨. والميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج١٤ ص٢٥

المدينة وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكي فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شئ معه، فقلت: أي بني ما يبكيك؟ اشتر لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل، ما للّعب خلقنا، فقلت: فلم إذاً خلقنا؟ قال: قال للعلم والعبادة، قلته: من اين لك ذاك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ**﴾ فقلت: يا بنيّ أراك حكيماً فعظني وأوجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهّز بانطلاق ... مشمّرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحيٍّ ... ولا حيّ على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها ... إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق إلى السماء بعينيه وأشار بكفّيه ودموعه تتحدّر على خدّيه وأشار بقوله: يا من اليه المبتهل، يا من عليه المتكل، يا من إذا ما آملٌ يرجوه لم يخط الأمل... قال: فلما أتم كلامه خرّ مغشياً عليه فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه، فلما أفاق، قلت: أيً بني ما أنزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟ قال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتّقد إلاّ بالصغار وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم فقلت له: أي بني أراك حكيماً فعظني فأنشأ يقول:

غفلت وحادي الموت في أثري يحدو ... وإن لم أرح يوماً فلا بدّ أن أغدو
أنعّم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من لباس البلى بدٌّ
كأني به قد مرّ في برزخ البلا ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد

وقد ذهبت عني المحاسن وانمحت ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصياً وأحدثت أحداثاً وليس لها ردّ
وأرخيت دون الناس ستراً من الحيا وما خفت من سريّ غداً عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه وأن ليس يعفو غيره فله الحمد

الى اخر الأبيات...

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي فلما أفقت ونظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟ قلت: لا، قالوا: ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: فقلت: قد عجبت من أمره وما تكون هذه الثمرة إلاّ من تلك الشجرة[1]. مع الغض عن مراجعة السند او وضعها في ميزان علم الرجال فانها توافق المتبنيات الاعتقادية وما نفهمه ونعلمه عن المعصوم عليه السلام كما اوضحت ذلك الايات والروايات الكثيرة، حيث ان التكامل الذي يتمتع به المعصوم عليه السلام منذ بداية ولادته وصباه تنبثق منه بالضرورة هذه النفحاة والسلوكيات الايمانية العلمية العبادية. ولا مجال لان نقول انه لا يختلف عن الصبية الاخرين ويلعب ويلهو كما يلعبون ومن ثم يثبون الحسنان على ظهر النبي صلى الله عليه وآله ويلعبون لا سيما هو في حال صلاة الجماعة في بيت الله حتى اربك المصلين واشغلهم وكل ذلك اعتمادا على نقل من تراث بعض العامة ولم تصدر عن معصوم او تحضى بتأييد او موافقة للاعتقادات المسلمة.

(١) قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد هادي الميلاني، ج٤ ص٣٧٠

فذلكة البحث

تحصل مما ذكرناه مجملاً حول الابعاد التكاملية التي يتمتع بها المعصوم عليه السلام في كل اطوار ومراحل حياته في المجالات المادية والمعنوية ان هذه الحكاية والسيناريو الحاصل والمقحم في التراث لا يمكن القبول به ولا يصح النطق به بعدما ثبت انه يصطدم بالمتبنيات الثابتة والاعتقادات الحقة، وليس من الصحيح ان نستصغر امثال ذلك ونتركها تأخذ دورها في تراثنا وتعشعش في اذهان امتنا مع هزالتها السندية واجنبيتها عن تراثنا ومخالفتها لمعتقداتنا، بل وصلت مرحلة الى ترتب آثار وأخذ نتائج من خلالها مع انها اسطورة اوجدها التاريخ وفعلتها الصدف فعند وضعها تحت مجهر البحث والتحقيق ثبت انها مجرد حكاية نطق بها المخالفون في القرون المتأخرة على عصرها ونقلوها بهشاشة سندها وفضاعة متنها، فلم تتوافق مع كتاب الله او متبنيات الشريعة واعتقادات الطائفة الحقة، حيث ثبت رفضها في كل الموازين العلمية الموضوعية والسماح لها يولد لنا عواقب غير محمودة وتنقاضات مع ثوابت مسلمة، وعليه بعد هذا التحقيق في جوانب هذه الحكاية المتداولة في الألسن والاقلام تشخص لنا انها واحدة من الاساطير التي جالت وصالت في تراثنا وقدحت في متبنياتنا العلمية الرصينة. فمن الضروري ان نطهر تراثنا من هكذا خزعبلات وترهات ولا نسمح لها بالوغول في موروثاتنا المبتنية على البرهان والدليل ومن ثم الولوج في قدح المسلمات، حيث طالما كررها الخطباء ومثل بها العلماء واستنتج منها المختصون مسائل في مجالات متعددة ولم يلتفت الى واقعها واصلها اعتمادا على شهرتها وتداولها حتى اصبحت من المشهورات الثابتات. وقد اعاننا ووفقنا

المولى على ايضاح حقيقتها وبيان منبعها فانها لم تمت الى تراثنا او رجالنا بصلة بل هي حكاية اثبتها القوم بتفرد بعضهم بها ولم تحضى بتأييد وامضاء واستقبال من قبل أئمتنا عليهم السلام اضافة الى انها تخالف في متنها ومضمونها الكتاب المجيد والمتبنيات الثابتة في عقيدتنا بالمعصوم عليه السلام كما هو ثابت عنهم عليهم السلام وقد ذكرنا نماذج للاستدلال على نحو الاختصار بما ينسجم مع هذا السفر.

المبحث الرابع

(تسبيح الزهراء عليها السلام وطلب الخادم)

الزهراء عليها السلام تطلب خادما؟

تمهيد

من الوسائل التي يتبعها المغرضون ويعتنقها البسطاء والبلداء، (بل بعضهم على بساطته ينسبها الى المعصوم عليه السلام من حيث لا يشعر حتى تصبح من المسلمات عند عموم الناس)، هي تكليل الحوادث الحقّة والفضائل الثابتة بما يشينها ويشوه جوهرتها وواقعها وهذا ما نلمسه في غياهب التأريخ بكل اشكاله، فقد ثبتت هناك فضائل لأهل البيت عليهم السلام ومحبيهم بشكل يصعب اعفائها ودثرها حيث اصبح بعضها جزء من سلوكيات المجتمع وبعضها متداولة في الالسن ومترسخة في الاذهان على مر العصور وكر الدهور مما يصعب على المناوئين والحاقدين النيل منها وحذفها فيلجأون بمكرهم الى تشويهها ولصق الشبه والخرافات وما شاكلها في جنب هذه الفضيلة اما من خلال منشؤها او ما يقارنها، وهذا مما نجده على نحو المصداق والمثال في فضيلة شعيرة تسبيح الزهراء عليها السلام الثابتة والتي ارتقت الى سلوك اجتماعي عام بين

المؤمنين فعمدوا الى جعل ما يشينها من وضع ترهات لا يقبلها الشرع والعقل والعرف، وهذا ان شاء الله ما نسلط عنه الكلام في هذا البحث.

تسبيح الزهراء عليها السلام في القرآن

من تلك المسائل والفضائل التي ثبتت بالأدلة القطعية على اختصاص الزهراء عليها السلام بشعيرة التسبيح المعبر عنه (بتسبيح الزهراء عليها السلام) ولقد ثبت في محله من قبل المعصوم عليه السلام مدى أهمية وعظمة هذه الشعيرة وما تترتب عليها من آثار ايجابية سواء مادية كانت أم معنوية، بل قد اشار اليها القرآن في بعض الآيات ضمنا وكما فسرها المعصوم عليه السلام بذلك منها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ فقد جاء عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام مِنَ الذِّكْرِ الكَثِيرِ الَّذِي قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾[1]. نعم عموم الذكر حسن وممدوح ولم يكن له حد زماني أو مكاني بل في كل الأحوال يستحب الذكر وقد تلبس به المعصوم عليه السلام واوصى به كما في جملة من الروايات منها عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ولَه حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْه إِلَّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَه حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْه فَرَضَ الله عَزَّ وجَلَّ الفَرَائِضَ فَمَنْ أَدَّاهُنَّ فَهُوَ حَدُّهُنَّ وشَهْرَ رَمَضَانَ فَمَنْ صَامَه فَهُوَ حَدُّه والحَجَّ فَمَنْ حَجَّ فَهُوَ حَدُّه إِلَّا الذِّكْرَ فَإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَرْضَ مِنْه بِالقَلِيلِ ولَمْ يَجْعَلْ لَه حَدّاً يَنْتَهِي إِلَيْه ثُمَّ تَلَا هَذِه الآيَةَ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وسَبِّحُوه بُكْرَةً وأَصِيلاً**﴾ فَقَالَ لَمْ يَجْعَلِ الله عَزَّ وجَلَّ لَه حَدّاً يَنْتَهِي إِلَيْه قَالَ وكَانَ أَبِي عليه السلام كَثِيرَ

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٥٠٠

الذِّكْرِ لَقَدْ كُنْتُ أَمْشِي مَعَه وإِنَّه لَيَذْكُرُ الله وآكُلُ مَعَه الطَّعَامَ وإِنَّه لَيَذْكُرُ الله ولَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُ القَوْمَ ومَا يَشْغَلُه ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ الله وكُنْتُ أَرَى لِسَانَه لَازِقاً بِحَنَكِه يَقُولُ لَا إِلَه إِلَّا الله وكَانَ يَجْمَعُنَا فَيَأْمُرُنَا بِالذِّكْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ... الخ[1].

وكان من أكمل مصاديق الذكر هو تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام كما اشار اليه المعصوم عليه السلام من جملة ما اختزلته الآية الكريمة. وايضا جاء في آية اخرى كما في قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ تشير الى تسبيح الزهراء بشكل ضمنى، فقد ورد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير الذي قال: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[2].

شعيرة تسبيح الزهراء عليها السلام في الروايات

استفاضت الروايات المؤكدة على اهمية واستحباب تسبيح الزهراء عليها السلام ومنها ما تؤكد على التلبس بها وتقرنها بمنزلة الواجبات، بل تعادل الف ركعة كما جاء في الكافي عنْ أَبِي خَالِدٍ القَمَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ الفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ[3]. وهذا الحديث يعطي بعدا آخر حيث اشار الى زمان معين يتأكد فيه الاستحباب وهو في دبر كل الصلاة وما يفهم منه ملتصق بها بشكل متوالى ومن دون فاصل كما ذكره بعض العلماء لا سيما العرفاء كما عن الشيخ البهائي قال: وليكن في جميع ذلك جالسا متوركا مستقبلا للقبلة ملازما لمصلاه مستديما

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٤٩٩
(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج١ ص٩٨
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣ ص٣٤٣

طهارته مجتنبا كل ما يبطل الصلاة أو ينقص ثوابها فقد ورد ان كل ما يضر بالصلاة يضر بالتعقيب... الخ[1]. وفي موضع اخر قال: وليكن جلوسك في التعقيب متصلا بجلوسك في التشهد وعلى تلك الهيئة من الاستقبال والتورك واترك في أثنائه الكلام والتلفت فإذا سلمت فكبر التكبيرات الثلث رافعا بها كفيك حيال وجهك مستقلا بظهرهما وجهك وببطنهما القبلة[2].

ومن العلماء من جعل شروطا لتسبيح الزهراء عليها السلام مادية ومعنوية من التوجه والخشوع كما هو الحال في العبادات المفروضة حيث قال ان يكون بتبتل وتضرع وانقطاع وتذلل في القلب حتى يتعود القلب على هذا وايصال الذكر من اللسان الى القلب حتى يذوب القلب في الذكر والتوجه[3]. وهذا يعبر عن مدى واهمية هذه الشعيرة وما تحويه من آثار كبيرة وعليه كان الأئمة يامرون في التلبس بهذه الشعيرة ويؤكدون عليها كما جاء في بعض الروايات منها: عَنْ أَبِي هَارُونَ المَكْفُوفِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ يَا أَبَا هَارُونَ إِنَّا نَأْمُرُ صِبْيَانَنَا بِتَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام كَمَا نَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ فَالزِمْه فَإِنَّه لَمْ يُلْزِمْه عَبْدٌ فَشَقِيَ[4]. ومن الرواية تؤكد على مجيئها بالشكل المطلوب منها: عنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ رَفَعَه قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام إِذَا شَكَكْتَ فِي تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فَأَعِدْ[5]. ومنها ما جاء عن القطب الراوندي قال بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام: شكوت إليه ثقلا في اذني، فقال عليه السلام: عليك بتسبيح فاطمة عليها السلام[6]. فكل هذه النصوص سواء

(١) الحبل المتين، الشيخ البهائي العاملي، ص٢٦٢
(٢) مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي العاملي، ص٤٩
(٣) الآداب المعنوية للصلاة، الامام الخميني، ص٤٠٨.
(٤)و(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣ ص٣٤٣
(٦) الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص١٧٦

كانت قرآنية أم حديثية تعطي جانبا مهما في اهمية شعيرة تسبيح الزهـراء عليها السلام في أروقة العبادات.

التهمة الملصقة في التسبيح

بعد مـا ثبـت وتبـين أهميـة تـسبيح الزهـراء عليها السلام وثبـوت ذلـك مـن قبـل المعصوم عليه السلام بالروايات المستفيضة بالطرق المتعددة والألـسن المختلفـة وأيـضا التأكيد من قبل الشريعة وما يحتويه من اجر عظيم، حاول البعض التنقيص من هذه الفضيلة بطريقة وضع المانع والمشين الملاصق وما يلزم منـه التنقـيص مـن أهل البيت عليهم السلام والتقليل بشأنهم. حيث ذكروا أن علة تشريع اعطـاء التـسبيح للسيدة الزهراء عليها السلام هو انها عليها السلام بعدما عانـت مـن متاعـب الحيـاة ومتطلبـات العيش ومستلزمات الاسرة مـن كـنس وطـبخ وطحـن ارشـدها الامـام امـير المؤمنين عليه السلام ان تذهب للنبي صلى الله عليه وآله وتطلب منه خادما يعينها على متاعب الحياة، وذهبت الزهراء عليها السلام الى ابيها صلى الله عليه وآله لهذا الغرض فانحلها بـدل الخـادم التـسبيح المعروف. والنصوص في هذا المجال مختلفة في مضامينها وبعـضا مـا يلـزم منـه المنافاة تماما لسيرة الزهراء وبعلها عليهما السلام فقد جاء في كتاب مـن لا يحـضره الفقيـه قال: وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بنـي سـعد: ألا أحـدثك عنـي وعن فاطمة الزهراء أنها كانت عندي فاستقت بالقربـة حتـى أثـر في صـدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت (أي كنست البيت) حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القـدر حتـى دكنـت ثيابهـا (أي اسـودت ثيابهـا) فأصابها من ذلك ضر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنـده حـداثا فاسـتحيت

فانصرفت، فعلم ﷺ أنها قد جاءت لحاجة فغدا علينا ونحن في لحافنا (تحت الملحف والكساء) فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف، فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله أدخل، فدخل وجلس عند رؤوسنا ثم قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله انها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل، قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبرا أربعا وثلاثين تكبيرة، وسبحا ثلاثا وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثا وثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله رضيت عن الله وعن رسوله[1].

وهناك روايات تختلف عن هذا المضمون في الجملة منها مختصرة كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ان فاطمة أتت النبي ﷺ تسأله خادما وشكت العمل فقال ما ألفيتيه عندنا قال الا أدلك على ما هو خير لك من خادم تسبحين ثلاثا وثلاثين وتحمدين ثلاثا وثلاثين وتكبرين أربعا وثلاثين حين تأخذين مضجعك[2].

وايضا جاء في مسند أحمد: عن علي رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج١ ص٣٢٠
(٢) صحيح مسلم، ج٨ ص٨٥

بعث معه بخميلة ووسادة من ادم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين فقال على لفاطمة رضي الله عنهما ذات يوم والله لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري قال وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي فاتت النبي ﷺ فقال ما جاء بك أي بنية قالت جئت لاسلم عليك واستحيت ان تسأله ورجعت فقال ما فعلت قالت استحييت ان أسأله فاتيناه جميعا فقال علي ﷺ يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة ﷺ قد طحنت قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة فاخدمنا فقال رسول الله ﷺ لا أعطيكما وادع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال الا أخبركما بخير مما سألتماني قالا بلى فقال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام فقال تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين قال فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ قال فقال له ابن الكواء ولا ليلة صفين فقال قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفين[1].

وهناك رواية قريبة من هذا المضمون تذكر ان جيئ للنبي ﷺ بسبي فذهبت فاطمة عليها السلام تطلب من ابيها خادما كما جاءت في صحيح البخاري حيث قال: حدثنا على أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها ان رسول الله ﷺ أتى بسبي فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١ ص١٠٧. شرح احقاق الحق، السيد المرعشي، ج٢٥، ص٣١٩

لعائشة فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة لـه فأتانـا وقـد دخلنـا مـضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صـدري فقـال الا أدلكما على خير مما سألتماه إذا اخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فان ذلك خير لكما مما سألتماه[1].

هذا ما جاء في تراث القوم وتسرى الى تراثنا ومن ثـم عـشعش في اذهاننـا وكان اللقمة السائغة للخطباء والمحاضرين لا سيما في الموسم التبليغي الفاطمي حتى اصبح الرجل عند سماع تسبيح الزهراء عليها السلام يتبادر الى ذهنه مـسألة طلـب الخادم وكأنهما عنصرنان متطابقان وممتزجان لا ينفك احـدهما عـن الآخـر وان شاء الله سنقف في مناقشة هذه النصوص وما تحويه من ترهات ومغالطات.

مناقشات سندية

كما هو المعتاد في اسلوب البحوث ان نقف في الوهلة الأولى عـلى الجوانـب السندية لهذه النصوص وبيان منابعها وجذورها والتحقيق في رجالها وصحة أو سقم سندها ومن ثم نتحول الى جوانب المناقشات المتنية والدلالية.

أجنبية النصوص عن تراثنا

كل هذه الروايات التي لصقت في شـعيرة تـسبيح الزهـراء عليها السلام مـصدرها التراث المخالف لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولم يكن فيها ما هو صادر عـن أئمتنـا وتراثنا، نعم دخلت في تراثنا من خلال كتب القوم وحتى الرواية التي يـذكرها الشيخ الصدوق رحمه الله انفة الذكر في كتابه من لا يحضره الفقيـه انهـا اخـذت مـن

(١) صحيح البخاري، ج٤ ص٤٨

كتب وتراث المخالفين كما اشار الى ذلك المعلق والمصحح لكتاب من (لا يحضره الفقيه الطبعة الثانية) الشيخ علي أكبر غفاري بقوله: رواه الصدوق ﵀ مسندا في كتبه عن رجال العامة واعتمد عليه في الترتيب وعلى تقدير صحته يمكن القول به عند النوم لا مطلقا والظاهر الترتيب المشهور[1]. نعم الشيخ الصدوق ﵀ في العلل ذكره مسندا معتمدا على رجال القوم تحت عنوانة علة تسبيح الزهراء ﵄ وهو اول من فتح الباب لادخال هذه النصوص في تراثنا ولم يسبقه احد من علمائنا فقد جاء ايضا شبيه ما ذكره في الفقيه مع اختلاف بعض الكلمات حيث قال: علة تسبيح فاطمة ﵄: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي بن الحسين السكري قال حدثنا الحكم بن أسلم قال حدثنا ابن علية عن الحريري، عن أبي الورد بن ثمامة عن علي ﵇ أنه قال لرجل من بنى سعد الا أحدثك عنى وعن فاطمة انها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وانها استقت بالقربة حتى اثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكسحت البيت حتى غبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك حرما أنت فيه من هذا العمل فاتت النبي ﷺ فوجدت عنده حداثا فاستحت وانصرفت قال فعلم النبي ﷺ انها جاءت لحاجة قال فغدا علينا ونحن في لفاعنا فقال السلام عليكم يا أهل اللفاع (اللحاف) فسكتنا واستحيينا لمكاننا ثم قال السلام عليكم فسكتنا ثم قال السلام عليكم فخشينا إن لم نرد عليه ان ينصرف وقد كان يفعل ذلك يسلم

(١) حاشية كتاب من لا يحضره الفقيه، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ج١ ص٣٢١

ثلاثا فان اذن له وإلا انصرف فقلت وعليك السلام يا رسول الله ادخل فلم يعد ان جلس عند رؤوسنا فقال يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد قال فخشيت إن لم نجبه ان يقوم قال فأخرجت رأسي فقلت انا والله أخبرك يا رسول الله انها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها وجرت بالرحا حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فقلت لها لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك حرما أنت فيه من هذا العمل قال أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين قال فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها فقالت رضيت عن الله ورسوله ورضيت عن الله ورسوله ورضيت عن الله ورسوله[1].

ضعف رجال رواتها

ذكر المختصون من علماء الجرح والتعديل ان الرجل الأول الذي ذكر عنه الشيخ الصدوق ﵀ مجهول وعامي كما جاء في مختصر معجم السيد الخوئي ﵀ بقوله: حمد بن الحسن القطان: المعروف بابي علي بن عبد ربه (عبدويه) من مشايخ الصدوق، ـ مجهول ـ لا يبعد ان يكون عاميا[2]. واما الحكم بن أسلم لم يذكره علمائنا لكونه لا ينتمي الى المدرسة الحقة. وايضا الحال في ابي الورد بن ثمامة لم يذكروه لكونهم من عضادة القوم في الحديث.

---

(١) علل الشرايع، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٣٣٦

(٢) المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، ٢٥

البعد الزماني والمكاني بين الناقلين والنص

الملاحظ أن هذا النص التأريخي المذكور على سبيل الحكاية والقصة لم يحظ بقرب الناقل إليه لا من الناحية الزمانية حيث نجد بينهم قرون من الزمن سواء من الشيخ الصدوق ﵀ أو غيره من علماء ابناء العامة الناقلين له، اضافة الى ذلك البعد المكاني لا سيما في تلك العصور المنصرمة فالثابت أنّ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشهور بـ(الشيخ الصدوق) من علماء القرن الرابع الهجري. ولد تقريبا سنة ٣٠٥هـ ، وتوفي ٣٨١هـ . ودفن في مدينة الرّي، فهو ليس من قطنت المدينة المنورة. والحال أيضا في أغلب رواة هذه الحادثة كالامام أحمد بن حنبل والترمذي وغيرهما من علماء القرن الثالث الهجري.

وايضا الفارق الزمني بين الشيخ الصدوق ﵀ وممن نقل الرواية قبله من علماء القوم فقد ذكر شبيه ما جاء به الشيخ الصدوق ﵀ ابو داود المتوفى سنة (٢٧٥هـ) في سننه والذي يسبق الشيخ الصدوق بأكثر من مئة سنة كما هو واضح مما تقدم آنفا، فقد قال: قال على لابن أعبد: ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت أحب أهله إليه، وكانت عندي فجرت بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها وأصابها من ذلك ضر، فسمعنا أن رقيقا أتى بهم إلى النبي ﷺ، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك... الخ[1].

(١) سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، ج٢ ص٤٨٩

وقد تقدم ايضا ان شبيه الرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق ذكرها الامـام احمد بن حنبل وغيره وهم يبعدون الشيخ زمانا بنفس المقدار. فهـذا وغـيره ممـا يثبت للجميع وباليقين ان هذه الرواية الملصقة في شعيرة تسبيح الزهراء اجنبيـة عن مدرسة اهل البيت عليهم السلام. اضافة عن بُعد ناقلها عنها زماناً ومكاناً.

نبذة عن ابي داود وسننه

لا بأس ان نقف بايجـاز عـلى ترجمـة ابي داود للمقايـسة بينـه وبـين الـشيخ الصدوق في التفاوت الزماني واضمحلال وذوبـان ابـو داود في مبـان المدرسـة المخالفة وكيف استقى حديثه وعلومه من اسلافه واساتذته مع انه كان معاصرا للمعصوم عليه السلام.

أبو داود سليمان بن الأشعث بـن إسـحاق بـن بـشير الأزدي السجـستاني المشهور بأبي داو إمام أهل الحديث في زمانـه، محـدث البـصرة، وهـو صـاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود، ولد أبو داود (٢٠٢هـ) في عهد المـأمون في إقلـيم صغير مجاور لمكران أرض البلوش الأزد يُدعي سجستان. طلب الحديث فـزار خراسان، والري، وهراة، وزار الكوفة في (٢٢١هـ)، وقدم بغداد عـدة مـرات، وأقام بطرطوس عشرين سنة، كما سمع الحـديث بدمـشق ومـصر، ثـم سـكن البصرة بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق الذي جاء إلى منزله في بغداد واسـتأذن عليه ورجاه أن يسكن البصرة ليرحل إليها طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه بعد أن خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لمـا جـرى عليهـا مـن فتنـة الزنج.

تتلمذ أبو داود على يد الإمام أحمد بن حنبل وتأثر به في منهجه في الحديث، كما تتلمذ على يد يحيى بن معين وعلي بن المديني وقتيبة بن سعيد، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. وتتلمذ عليه الترمذي والنسائي وغيرهم، صنف كتابه السنن، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه. وله مؤلفات أخرى في الفقه والعقيدة والجرح والتعديل والناسخ والمنسوخ وعلم الحديث مثل: مسائل الإمام أحمد، وسؤالات أبي عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري، وأسئلة لأحمد بن حنبل عن الرواة والثقات والضعفاء، والرد على أهل القدر، وكتاب البعث والنشور، وكتاب الزهد، ودلائل النبوة، وفضائل الأنصار، والتفرد في السنن، وغيرها، توفي أبو داود في ١٦ شوال سنة ٢٧٥هـ.

مناقشات دلالية

بعد ما ثبت بالقطع واليقين ان النصوص المذكورة في طلب الزهراء عليها السلام خادما من ابيها صلى الله عليه وآله مأخوذة من تراث القوم ورجالهم وليس لها نصيب وصلة في تراثنا ورجالنا وهذا مما يسقطها عن الاعتبار والثبوت ولو انهم تقولوه عن المعصوم عليه السلام.

عدم ذكره من قبل المعصوم عليه السلام

واضافة على كل ذلك مما تقدم نقول لو كان هذا حقا وثابتا لوجدناه قد صدر من أئمتنا او حضي بتأييد او اشارة من بعيد أو قريب خاصة وهم يتحدثون عن التسبيح وفضله ويؤكدون على استحبابه، بل لم نجد من ذلك شيء اطلاقا، نعم جاء في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نحل

الزهراء عليها السلام التسبيح، ولم يذكر عليه السلام انه نحلها بهذا الشكل في انه معاوضة وتبديل لما ارادت، حيث جاء: عَنْ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ مَا عُبِدَ الله بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام ولَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْه لَنَحَلَه رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ عليها السلام[1]. فلو كان الامر كما قاله القوم من سناريو طلب الخادم لذكره الامام عليه السلام وبين سبب تعلق التسبيح بالزهراء عليها السلام.

عدم خصوصية التسبيح بالزهراء عليها السلام

يظهر بشكل جلي انّ ما ذكره القوم ليس خاص بالزهراء عليها السلام بل لها وللإمام امير المؤمنين عليه السلام كما تقدم حيث قال: (أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبرا أربعا وثلاثين تكبيرة... الخ). فلم يكن التعليم والنحلة خاصة بالزهراء عليها السلام بل ايضا امير المؤمنين عليه السلام. مع أنّ المشهور انّه ورد وتسبيح خاص بالسيدة الزهراء عليها السلام.

تخصيص التسبيح في حال النوم

اضافة الى كل ذلك ان المورد خاص في حال الاضطجاع الى النوم كما ذكره القوم بعبائر غير مناسبة حيث جاء في السنن: ... اتقى الله يا فاطمة، وأدى فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثا وثلاثين، واحمدي ثلاثا وثلاثين، وكبرى أربعا وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم. قالت: رضيت عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وآله[2]. وهذا ليس

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣ ص٣٤٣
(٢) سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، ج٢ ص٣٠

كما جاء في الاحاديث الواردة الصحيحة عن أئمتنا دبر كل صلاة، كما في الكافي عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْقَمَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ[1]. وغيرها من الروايات الكثيرة التي تقدم بعضها مما يدل على ان النبي صلى الله عليه وآله قد نحل الزهراء عليها السلام بشكل خاص وافضلها عقيب الصلواة لم تكن فيه اسطورة طلب خادم وما شاكلها.

مخالفات أخلاقية

النصوص المذكورة على اختلاف السنتها تحتوي على مضامين لا يمكن ان يتلبس بها الاناس العاديون من المؤمنين فضلا عن المعصومين الاطهار عليهم السلام، منها: ان الزهراء عليها السلام جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله تطلب خادما ليعمل معها في شؤون البيت، وهذا لا يتناسب مع فاطمة عليها السلام وهي المصداق الأكمل والقدوة في العفة والحياء، وهي التي اجابت النبي صلى الله عليه وآله حيث عجز الناس عندما سأل عن شؤون المرأة فقالت ان لا يراها الرجل ولا تراه، كما جاء في نص الحديث المسند الوارد عن محمد بن سليمان الكوفي المتوفى (٣٠٠هـ) حيث قال: عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يجبه أحد قال: فرجعت فذكرت ذلك لفاطمة قالت: فما أجابه إنسان؟ قلت: لا. قالت: ليس شيء خيرا للمرأة [من] أن لا يراها الرجل ولا تراه؟ قال: [فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله] فأخبرته بما قالت فاطمة عليها السلام قال: فاطمة بضعة مني أو مضغة مني[2]. وليس

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣ ص٣٤٣

(٢) مناقب الإمام امير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ج٢ ص٢١١

ببعيد ان الامام امير المؤمنين عليه السلام اراد ان يسجل هذه المنقبة للزهراء عليها السلام مع انها من خواص وشؤون النساء فمنها يكون الجواب ابلغ وآثر في التبليغ والوعظ للنساء، والا الامام عليه السلام قادر على الاجابة لذلك الزهراء عليها السلام قالت لم يجبه انسانا ولم تقل له لم تجبه، وكيف كان ان فاطمة عليها السلام تعيش بهذا المستوى الرفيع من العفة، وليس مجرد بالكلام بل تطبقها وتترجمها على ارض الواقع والحقيقة حيث هي التي كانت تستر وجهها وتحجب نفسها من المكفوك الذي لا يرى لشدة عفافها وكمال مقامها كما جاء عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: لم تحجبينه وهو لا يراك؟ قالت: يا رسول الله: إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح. فقال رسول الله: أشهد أنك بضعة مني[1]. وغيرها من النصوص التي تشير الى حشمة وخدر وعفة سيدة نساء العالمين عليها السلام فكيف تذهب بنفسها تطلب خادما رجلاًيرافقها في عمل البيت؟

ربما يقال: المراد بالخادم ليس بالضرورة ان يكون ذكراً بل ممكن أن يكون انثى فإنّ لفظ الخادم يطلق على الجنسن كما هو ثابت في محله عند أهل اللغة؟

قلت: نعم في عرف اللغة يحمل المعنيين ولكن في الاستعمالات عند القدماء والمتأخرين يميزون بينهما ويعبرون عنها الخادمة وعن الذكر يُعبّرون الخادم كما هو في تراث المتقدمين من المؤرخين وغيرهم كما يقول شاعرهم:

وكأَنَّ رُمْحَكَ إِذْ طَعَنْتَ به العِدَا زُرْنُوكُ خادِمَةٍ تَسُوقُ حِمارَا

وغيرها من الشواهد الكثيرة، منها ما جاء في مناقب الخوارزمي: تزوجني ابن عم لي وأخدمني خادمة فوطأتها فأولدتها وانما جئتك لما أولدتها، فقام

(١) دعائم الاسلام، القاضي النعمان المغربي، ج٢ ص٢١٤

شريح عن مجلس القضاء فدخل على علي عليه السلام فأخبره بما قالت المرأة... الخ[1]. فلم يأتي التعبير بالخادم، بل بما أنّ المقصود إمرأة فجاء التعبير بالخادمة. اضافة الى ذلك انّ في تلك الحقبة وبداية تكوين الدولة الاسلامية احتمال وجود جوار وسبايا بعيد جداً.

مخالفات شرعية

عند مراجعة النصوص المذكورة المتقدمة لا سيما التي نقلها الشيخ الصدوق ﵀ سواء كان في العلل او في الفقيه نجد في مضمونها ودلالتها مخالفات على المستوى الشرعي والنطاق القرآني وحاشا للمعصوم ﵇ ان يرتكب مثل هكذا افعالا وهو المعلم والمرشد للخلق من قبيل عدم رد السلام الواجب الذي صدر من خير البشر وهم يسمعون ذلك كما في نص العبائر المتقدمة ولكن سكتوا مع ان النبي ﵇ وقف على رؤسهم وهم تحت اللحاف وقصدهم كما في العبارة: (... فغدا علينا ونحن في لفاعنا فقال السلام عليكم يا أهل اللفاع (اللحاف) فسكتنا واستحيينا لمكاننا ثم قال السلام عليكم فسكتنا ثم قال السلام عليكم فخشينا إن لم نرد عليه ان ينصرف... الخ)، مع ان اطلاق وجوب رد التحية يشمله كما في قوله: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ وليس هو نوع من الاستيذان كما أوله البعض، ولذلك عند العلماء يعد نوع من التحية واجب الرد، لكن نجد النبي ﷺ كرر السلام ثلاث مرات وهم يسمعون ولكن لم يصدر منهم الرد ﵇ وهذا بعيد جدا ومما يدل على بطلان هذا النص، كما استوضحت واستفتيت شفويا من احد مكاتب المراجع

(١) المناقب، الموفق الخوارزمي، ص١٠٢

العظام في وجوب الرد لمن كان تحت اللحاف وتلقى سلاما بهذا الشكل واما ما ورد في النص ليس ثابتا. وعليه ان هذا النص يحتوي في مضمونه على مخالفة لبديهية من بديهيات المسائل الفقهية وجوب رد السلام الذي اكد عليه الشرع الحنيف واوجبه حتى على المصلي في حال سلم عليه وهو يصلي فوجب عليه الرد بنفس الكيفية، فكيف برسول الانسانية وخير البرية يقف على رؤسهم عليهم السلام ويسلم ويكرر من دون رد؟.

مخالفات اخلاقية عرفية

من جملة ما جاء في مضمون النصوص المتقدمة في اسطورة طلب الزهراء عليها السلام خادما مخالفة للموازين الاخلاقية والعرفية لا سيما مع شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث صورت ان النبي صلى الله عليه وآله دخل على امير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وقد التحفا وناما تحت اللحاف وبعد ذلك اخرج الامام عليه السلام رأسه وخاطب النبي صلى الله عليه وآله ومن ثم الزهراء عليها السلام اخرجت فقط رأسها وهذا ما جاء بنص العبائر المتقدمة الدالة على ذلك حيث قال (... فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يارسول الله... (الى ان قال) فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله) مع ان امير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام هم اعلم الخلق معرفة بمقام ومكانة رسول الله صلى الله عليه وآله كما اخبر عن ذلك النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا[1]. فكيف صح للامام عليه السلام ان يضطجع تحت اللحاف ومعه الزهراء عليها السلام ولم يقم يستقبل النبي صلى الله عليه وآله وهو بهذه

(١) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، ص١٢٥

الدرجة القصوى من المعرفة، وقدا كان النبي ﷺ يترجمها مع الامام عليه السلام وابنته فاطمة عليها السلام حيث كانوا كلما دخل احدهما على رسول الله ﷺ قام اليه او اليها أي مستقبلا لهما ويعتنقهما ويجلسهما الى جنبه لكونه ﷺ على علم بمدى مكانتهم ومقامهم عند الله وهم كذلك. كما جاء عند الفريقين: (... فكانت إذا دخلت عليه، قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها[1]. هكذا كانت تتعامل مع ابيها وهو ما ينسجم مع العقل والفطرة والعرف، وايضا الحال مع امير المؤمنين عليه السلام حيث ورد عن عبد الله بن العباس قال: كنت أنا وأبي: العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه جالسين عند رسول الله ﷺ إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فسلم، فرد عليه رسول الله ﷺ السلام وبشر به، وقام إليه واعتنقه وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: أتحب هذا يا رسول الله؟ قال: يا عم رسول الله والله الله أشد حبا له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا[2]. هكذا كان النبي ﷺ والامام والزهراء عليهما السلام يتعاملون في الترحيب والاستقبال وكله ناشأ على البعد المعرفي كما اشار اليه النبي ﷺ ليس كما يتعامل الكثير من الناس فيما بينهم بداعي المجاملات والتشريفات.

فتحصل ان ما في النصوص المتقدمة اولا يخالف سيرة المعصومين عليهم السلام وتعاملهم واستقبالهم لسيد البرية وخير البشرية مع انه لا ينسجم مع

(١) سنن ابي داوود، ج٢ ص٥٢٢. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨ ص٢٥٠

(٢) بحار الانوار، المجلسي، ج٣٨ ص٣٠٧

اخلاقياتهم وسلوكياتهم البتة وهو ما لا يتصوره الناس العاديون ويعد مغاير للاعراف والسلوكيات الأخلاقية، ولم نسمع ان بنتا التحفت مع زوجها وتعلم بدخول ابيها عليهم وكلامه معهم؟ فكيف نتصوره مع الزهراء وبعلها عليهما السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهم خير خلق البرية وقدوته.

مطابقات تاريخية

لم يذكر المؤرخون والمحدثون تاريخ انحال النبي صلى الله عليه وآله شعيرة التسبيح للزهراء عليها السلام هل كان ذلك قبل زواجها او بعد زواجها وفي أي مرحلة من تلك الفترتين، نعم ذكرت بعض النصوص الروائية عن المعصوم عليه السلام ان الزهراء عليها السلام كانت تزاول شعيرة التسبيح بالكيفية المذكورة قبل استشهاد الحمزة بن عبد المطلب، كما جاء في الوسائل قال: روى إبراهيم بن محمد الثقفي أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيوط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات فكانت عليها السلام تديرها بيدها تكبر وتسبح إلى أن قتل حمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه سيد الشهداء فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس فلما قتل الحسين عليه السلام عدل إليه بالأمر فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية[1]. فهذا يدل على ان تاريخ التسبيح قديم وهو من خصائص الزهراء عليها السلام وحتى في صنع الوسيلة التي من خلالها يسبح المؤمن حيث كانت عليها السلام قد جعلتها من خيوط الصوف ومن ثم من بعد استشهاد الحمزة جعلتها من تربة قبره لتعطي صبغة اخرى الى اهمية التسبيح وأهمية وسيلته وكرامة وبركة دماء الشهداء حتى سار عليها الأئمة الأطهار عليهم السلام فعندما

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٦ ص٤٤٥

استشهاد الامام الحسين عليه السلام ارشدوا الى صنعها من تراب قبره الشريف وذكروا البعد المعنوي في هذا التسبيح المبارك كما ذكر الشيخ المفيد رحمه الله قال: وفي كتاب الحسن بن محبوب أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن استعمال التربتين من طين قبر حمزة وقبر الحسين عليهما السلام والتفاضل بينهما فقال عليه السلام المسبحة التي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبح[1].

تاريخ تسبيح الزهراء عليها السلام

يبقى الكلام هل ان التسبيح كان قبل اقترانها بالإمام امير المؤمنين عليه السلام او بعد ذلك مع ان الفترة بين زواج الزهراء عليها السلام بالامام امير المؤمنين عليه السلام مع استشهاد اسد الله واسد رسوله الحمزة اقل السنة، وذلك ان الامام عليه السلام تزوج بالسيدة الزهراء عليها السلام أواخر السنة الثانية بعد الهجرة في شهر ذي الحجة كما ذهب اليه الاغلب نعم اختلفوا في اليوم منهم من قال او الشهر ومنهم من قال أوسطه. اما استشهاد الحمزة رضوان الله عليه فكان في معركة احد في السادس أو السابع من شوال السنة الثالثة للهجرة، وهذا يعبر ان تسبيح الزهراء عليها السلام قبل اعباء الحياة من حصول الذرية وما شاكلها بل ربما قبل زواجها بحسب مفهوم وفحوى الرواية وهو مما لا ينطبق مع ما عليه النص المفبرك من انها كنست حتى دكنت ثيابها وطحنت حتى مجلت يديها كما جاء بهذا التعبير: (... وانها استقت بالقربة حتى اثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكسحت البيت حتى غبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرر شديد... الخ). حتى اذا قلنا تاريخ التسبيح بعد الزواج

(١) المزار، الشيخ المفيد، ص١٥١

فهو ايضا قبل تفاقم الكثافة الاسرية بـل بدايـة حياتهـا الزوجيـة، ولا نريـد ان نقول ان الزهراء عليها السلام لم تواكب الظروف الأليمة في الحياة وتحمّل المشاق ولكـن في مسألة التسبيح يفهم بعد حصول الابناء وتراكم اعبـاء ومـستلزمات الحيـاة والامتثال لمسؤوليات الاسرة وما شاكلها.

فتحصل: ان تسبيح الزهراء عليها السلام يحتمل بشكل كبير قبل زاجهـا أو لا أقـل في أيامه الأولى من زواجها وهذا مما يدل أنّ التسبيح من خصوصياتها وانّه غـير مرتبط بالخادم اطلاقاً.

الدولة الاسلامية الفتية

يتصور البعض كما هو يستقى من مفهوم النصوص المتقدمة ان تلك الفترة كان النبي صلى الله عليه وآله يعيش الامبراطورية والهيمنة على بقاع مـن العـالم وتجلـب اليـه السبايا والهدايا مع ان في تلـك الفـترة كـان الاسـلام في بدايـة تـشكيل الدولـة الاسلامية ولازال في تاسيس القواعد في المدينة وحصلت معركة بدر ومـن ثـم معركة احد والمسلمون في مرحلة الـدفاع عـلى منـازلهم وارضـهم بخـلاف مـا تصور النصوص ان سبايا جائت للنبي صلى الله عليه وآله كما في رواية الامام احمد بـن حنبـل (... قال وقد جاء الله أباك بسبي فـاذهبي فاسـتخدميه) حيـث لم تكـن معركـة حصلت حينذاك اما معركة بدر فقد كانت قبل زواج الزهراء عليها السلام حيث كانـت في السابع عشر من شـهر رمـضان الـسنة الثانيـة للهجـرة وقـد تقـدم ان زواج الزهراء عليها السلام في الاول من ذي الحجة او اوسطه للسنة الثانية للهجرة، اما معركة احد فبعد ثبوت التسبيح كما في الرواية مع ان هذه المعـارك لم يكـن فيهـا سـبايا ورقيق وما شاكله، بل كان الرقيق بعد فتح مكة وتوسع رقعة الاسلام حصلت

غزوات ومعارك على اليهود وغيرهم وتوفر حينها العبيد وما شاكلهم اما في بداية الدعوة لم يكن سبيا وتوفر رق عند النبي صلى الله عليه وآله كي تأتي فاطمة عليها السلام لتطلب خادما مما عند النبي صلى الله عليه وآله؟.

فضة خادمة الزهراء عليها السلام

كانت لفاطمة عليها السلام جارية اسمها (فضة) قد وهبها النبي صلى الله عليه وآله لها بعد ما كثرت الفتوح والمغانم من خيبر وبني قريظة وبني النضير وغيرهم، وارتفع الفقر والعناء عن أهل الصفة وضعفاء المدينة، ويستفاد من بعض الكتب أنها كانت بنت ملك الهند وكانت عالمة بالعلوم الغريبة.

وقد اختلف المؤرخون في اصلها و تسميتها فالبعض يقول انّ اسمها ميمونه وان رسول الله صلى الله عليه وآله سماها فضة خادمة الزهراء عليها السلام وان اصلها من الهند وإنها بنت احد الملوك كما ذكر ذلك العلامة المجلسي في بحار الانوار وانها من سبايا الحروب و الفتوح الاسلامية من خيبر و بني قريظة و بني النضير و غيرها اما العلامة النقدي والسابقي كما نقل فيقولون انها بنت ملك من ملوك الحبشة استنادا الى قول الصحابي بن عباس وما رواه الثعلبي في تفسيره وهناك من يقول انه عندما هاجر جماعة من المسلمين الى الحبشة يتقدمهم جعفر الطيار ونزلوا عند النجاشي وعندما ارادوا العودة ارسل النجاشي هدايا الى النبي صلى الله عليه وآله ومن ضمن ما اهدي اليه هذه المرأة الفاضلة بعد ان رأى فيها من حسن السيرة والخلق والعلم ما يليق بان تكون خادمة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وانها كانت من الغنائم التي حصل عليها النجاشي من حروبه مع ملك الهند فبقيت في بيت النبي صلى الله عليه وآله ومن ثم وهبها الى ابنته الزهراء عليها السلام.

وفي كل الاحوال ان مسألة سبيها او اهدائها كان متأخرا عن انتحال شعيرة التسبيح بكثير وذلك اما بعد الغزوات لليهود وغيرهم او الاصح والاقرب ارسلت مع المهاجرين الى الحبشة عند رجوعهم الى المدينة وذلك كان بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة أي بعد شهادة الحمزة باربع سنين تقريبا، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: ما أدري بأيهما أسر بقدوم جعفر أم بفتح خيبر[1].

فتحصل من كل ما تقدم ان اسطورة (الزهراء عليها السلام تطلب خادما) مجرد ضرب من الخيال اريد بها تلويث شعيرة التسبيح المقدسة، وضرب البيت الهاشمي من الداخل، والتستر على بعض السلوكيات التي يرتديها البعض واشراك الغير ليهون الخطب او من باب رمتني بدائها وانسلت. فشعيرة تسبيح الزهراء عليها السلام ثابتة وقديمة ومقدسة وما اعتراها من ترهات ليس الا هراء ليس له نصيب في واقع التراث الحق.

(١) مكارم الاخلاق، الشيخ الطبرسي، ص٢٦٢

المبحث الخامس

(عقيل والحديدة؟)
براءة عقيل بن ابي طالب من مصائد النصوص

تمهيد

في هذا المبحث ان شاء الله نسلط الاضواء الفكرية بمنهجية علمية تحقيقية بحثية على مسألة تأريخية قد اخذت حظا كبيرا في ادبيات العلوم التاريخية والاخلاقية. وهي انحراف عقيل بن ابي طالب وتجاوزه على بيت المال ومن ثم ذهابه وميلة الى معاوية بن ابي سفيان وهذ يعد في عصرنا الراهن في العرف السياسي والميداني وحتى الدبلماسي خيانة لا تغتفر تترتب عليها آثار وخيمة لا سيما مثل عقيل شخصية لها تأريخها الجهادي والريادي ومن رواد القيادة الاسلامية والشقيق الاكبر لخليفة المسلمين امير المؤمنين عليه السلام ولذلك يذكر التأريخ ان هذا الانشقاق وظّفه معاوية لصالحة. ولذي يلزم في البحث هنا: هل لهذه النصوص الواردة في اثبات هذه المسألة حظ في الواقع التأريخي ام هي مجرد اوهام موضوعة أو طرأ عليها نوع من التصحيف اخرجها عن محتواها ومعناها

الاصيل؟ هذا ما سيتضح بعد العون والتوكل على الحق عز اسمه في طيات البحث.

ذم عقيل في نهج البلاغة

جاء من دون ذكر السند والمصدر كما هو المعتاد في نهج البلاغة للشريف الرضي ﵀، وايضا لاخيه الشريف المرتضى ﵀ في رسائله من كلام لأمير المؤمنين ﵇ تحت عنوان علي ﵇ يتبرأ من الظلم، حيث قال:

والله لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى الله ورَسُولَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا ويَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا والله لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً ورَأَيْتُ صِبْيَانَه شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْه سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُه دِينِي وأَتَّبِعُ قِيَادَه مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَه حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِه لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَه ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِه وتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِه أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى ولَا أَئِنُّ مِنْ لَظًى... الخ[1].

هذا الكلام تفعل في اذهان العامة والخاصة ولا يخلو منبر في المناسبة أو غيرها الا وقد استشهد بهذا المقطع وجعل عقيل ابن ابي طالب ضحية الموقف

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج٣ ص١٣٩. ونهج البلاغة، الشريف الرضي، ص٣٤٦.

حتى تجاوز الامر الى المساس بشخصية عقيل والنيل من تاريخه وسلوكة واتهامه بالانحراف وما شاكله كما سيتضح من جملة من النصوص. وان شاء الله سنسلط الكلام على مناقشة هذا النص وما شاكلة ضمن الموازين العلمية التحقيقية البحثية الموضوعية.

وقفة مع كتاب نهج البلاغة

من قام بجمع خطب واقوال الامام أمير المؤمنين عليه السلام هوأبوالحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفرالصادق عليه السلام، الملقب بالشريف الرضي، المولود سنةتسع وخمسين وثلاثمائة، وقد قرأ الشريف القرآن على أبي إسحاق الطبري الفقيه المالكي، وقد توفى الرضى في شهرالمحرم من سنة ست وأربعمائة، وحضر الوزير فخر الملك وجميعا لأعيان والاشراف والقضاة جنازته، والصلاة عليه، ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ[1]. ولم يكن الشريف الرضي رحمه الله هو اول من كتب بعض خطب الامام عليه السلام ورسائل وحكم الامام امير المؤمنين عليه السلام بل سبقه جمع من العلماء بعشرات السنين وبادروا الى جمع بعض خطب الامام عليه السلام كما احصى بعضهم العلامة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة الى تصانيف الشيعة.

مع ان ما يحويه نهج البلاغة عبارة عن بعض خطب وحكم واقوال منسوبة الى الامام امير المؤمنين عليه السلام قد جمعت في كتاب وسميت بهذا الاسم (نهج

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتاب المجازات النبوية، الشريف الرضي، ص٧.

البلاغة) الا انها لم تكن جامعة لكل اقواله وخطبه عليه السلام ولذلك حاول البعض تكملته وذكر الخطب والرسائل التي لم يذكرها الشريف الرضي رحمه الله، منهم السيد محمد حسن المير جهاني الطباطبائي، المتوفى سنة ١٣٨٨هـ بكتابه الموسوم (بمصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، مستدرك على نهج البلاغة). حيث قال: «**فلما ظفرت بكتابه وأمعنت النظر في محتويات فصوله وأبوابه ووردت رياضة واتيت حياضه ورأيت أصناف مختاره سئلت الله عز وجل ان يوفقني لاقتفاء اثره في جمع ما تيسر لي من جوامع كلمه عليه السلام مما لم يجمعها أعلى الله مقامه على نهج النهج من الخطب والكلمات دون القصار من كلماته لأنها قد جمعها بعض المتتبعين من علماء الخاصة والعامة ولقد أشار الرضي رحمه الله في أواخر النهج**»[1]. والميزة في هذا الكتاب انه يذكر مصدر او سند الخطبة او الكتاب ولكن في بعض الاحيان يذكر من دون ذكر السند بل يكتفي بالمصدر المنقول عنه أو الخطبة.

وايضا كتاب مستدرك نهج البلاغة للشيخ هادي كاشف الغطاء، المتوفى سنة ١٣٦١هـ . وهذا المستدرك سار على طريقة الشريف الرضي من دون ذكر المصدر او السند.

وايضا كتاب نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة الشيخ محمد باقر المحمودي، وهو ايضا بعض خطبه مسندة وبعضها مرسلة ولكن اهون وطأة من غيره. ولذلك تصدى جملة من العلماء الى ذكر اسانيد ومصادر نهج البلاغة

(١) مصباح البلاغة مستدرك نج البلاغة، المير جهاني، ج١ ص٦.

في كتب مستقلة. من قبيل كتاب مصادر نهج البلاغة واسانيده لمؤلفه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

فتحصل ان الشريف الرضي ﵀ لم يكن هو اول من جمع هذا السفر أو آخر من احاط به، بل خطب واقوال الامام امير المؤمنين ﵇ ملأت الخافقين.

الملاحظات على نهج البلاغة

اهتم الأغلب من علمائنا الابرار منذ القدم الى يومنا هذا في مراعات بحث اسانيد الروايات وطرقها ومدى صحتها من سقمها وقد الفت كتب وموسوعات في هذا المجال بل اسست جامعات ومدارس في مجال علوم الحديث حتى انبثقت مناهج معينة في هذا المضمار، وهذا ما كان سائدا في ادبيات علمائنا منذ الخطوات الاولى حتى في الكتب التي كانت تملى من قبل العلماء كما في كتب الامالي للشيخ المفيد والمرتضى والطوسي وغيرهم نجد انهم يحرصون على عنعنة الرواية وذكر سندها وهذا ما يلفت الانظار ويجعلنا نقف عند كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي ﵀ حيث نقل كل خطب وحكم الامام ﵇ خالية من ذكر المصدر بل ارسلها من دون ذكر المأخذ او طرق الرواية، مع ان الفترة الزمنية بينه ﵀ وبين فترة حياة الامام امير المؤمنين ﵇ تتجاوز الثلاثمائة سنة حيث ولد في النصف الثاني من القرن الرابع كما تقدم، فهو لم يعاصر الامام ﵇ زمانا ولا قريب من زمان بل ولم يعاصر احدا من المعصومين ﵈. ومن جانب آخر هو بعيد ايضا من الامام امير المؤمنين ﵇ وايضا المعصومين ﵈ مكانا حيث لم يقطن الكوفة او المدينة المنورة لنقول ربما

وقع في يده احد المخطوطات او سمع من الاحفاد الذين عاصرو الامام بواسطة ام بالمباشرة وغير ذلك بل هو ﵀ عاش وترعرع في بغداد وسابقا لا يقاس باليوم في جملة من الموازين من قبيل التنقل بين البلدان فيصعب جدا حيث يستغرق ايام وربما اشهر اضافة الى اعداد الزاد زالراحلة وما شاكلها، وايضا من ناحيت نشر المؤلفات حيث عادة ما تكون نسخة واحدة او اثنين او ثلاث وقلما تخرج الى البلدان الاخرى كما هو الحال اليوم فكان القرب المكاني للمؤرخ له اهمية في ذلك الزمن من توثيق الاحداث والاخذ من موارد قريبة منها.

وكيف كان ان الشريف الرضي ﵀ لم يذكر مصادر واسانيد ما نقله في نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين ﵇ ولم يكن قريب منه زمانا ومكانا وهو ما يعد من اصول قراءة وفهم التاريخ كما فصلنا ذلك في منهجية قراءة التأريخ.

متن الرواية المسندة

بما ان الرواية لم يذكر لها سند في نهج البلاغة للشريف الرضي ﵀ ولا لاخيه المرتضى ﵀ في رسائله اقتفينا أثرها ومن ذكرها مسندة فوجدنا ان الشيخ الصدوق ﵀ المعاصر للشريف الرضي واخيه، ذكر الرواية طويلة ومسندة عن الامام الصادق ﵇ اخذنا منها موضع الحاجة كما جاء في نص عبارته: «حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق ﵁، قال: حدثنا محمد بن الحسن الطائي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الخشاب، قال: حدثنا محمد ابن محسن، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه ﵈، قال: قال

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب...(الى ان يقول) ولقد بلغني أن رجلا من قطان المدائن تبع بعد الحنيفية علوجه، ولبس من نالة دهقانه منسوجه، وتضمخ بمسك هذه النوافج صباحه، وتبخر بعود الهند رواحه، وحوله ريحان حديقة يشم نفاحه، وقد مد له مفروشات الروم على سرره، تعسا له بعد ما ناهز السبعين من عمره، وحوله شيخ يدب على أرضه من هرمه، وذو يتمة تضور من ضره ومن قرمه، فما واساهم بفاضلات من علقمة، لئن أمكنني الله منه لأخضمنه خضم البر، ولأقيمن عليه حد المرتد، ولأضربنه الثمانين بعد حد، ولأسدن من جهله كل مسد، تعسا له أفلا شعر، أفلا صوف، أفلا وبر، أفلا رغيف قفار الليل إفطار مقدم، أفلا عبرة على خد في ظلمة ليال تنحدر؟ ولو كان مؤمنا لاتسقت له الحجة إذا ضيع ما لا يملك. والله لقد رأيت عقيلا أخي وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعه، وعاودني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه، ويكاد يلوي ثالث أيامه خامصا ما استطاعه، ورأيت أطفاله شعث الألوان من ضرهم كأنما اشمأزت وجوههم من قرهم، فلما عاودني في قوله وكرره، أصغيت إليه سمعي فغره، وظنني أوتغ ديني فأتبع ما سره، أحميت له حديدة لينزجر، إذ لا يستطيع منها دنوا ولا يصبر، ثم أدنيتها من جسمه، فضج من ألمه، ضجيج ذي دنف يئن من سقمه، وكاد يسبني سفها من كظمه، ولحرقة في لظى أضنى له من عدمه، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه؟! أتئن من الأذى، ولا أئن من لظى؟! والله لو سقطت المكافاة عن الأمم، وتركت في مضاجعها باليات في الرمم، لاستحييت من مقت رقيب يكشف

فاضحات من الأوزار تنسخ، فصبرا على دنيا تمر بلأوائها كليلة بأحلامها تنسلخ، كم بين نفس في خيامها ناعمة، وبين أثيم في جحيم يصطرخ؟ ولا تعجب من هذا، واعجب بلا صنع منا، من طارق طرقنا بملفوفات زملها في وعائها، ومعجونة بسطها في إنائها، فقلت له أصدقة، أم نذر، أم زكاة؟ وكل ذلك يحرم علينا أهل بيت النبوة، ومعوضن منه خمس ذي القربى في الكتاب والسنة. فقال لي: لا ذاك ولا ذاك، ولكنه هدية. فقلت له: ثكلتك الثواكل، أفعن دين الله تخدعني بمعجونة غرقتموها بقندكم، وخبيصة صفراء أتيتموني بها بعصير تمركم؟ أمختبط، أم ذو جنة، أم تهجر؟ أليست النفوس عن مثقال حبة من خردل مسؤولة؟ فماذا أقول في معجونة أتزقمها معمولة؟... الخ[1].

مناقشة الرواية سندا

بعد الوقوف باختصار واطناب مع اصحاب سلسلة هذه الرواية والوقوف على توثيقهم من عدمه بحسب ما هو متبع في الاوساط العلمية البحثية وجدنا ان الطريق للمعصوم عليه السلام في سند الرواية لم يكن سليما في كل فقراته ورواته وصولا للناقل عن المعصوم عليه السلام بدء بشيخ واستاذ الصدوق رحمه الله علي بن أحمد بن موسى الدقاق الذي روي عنه الصدوق الرواية ويعد من اكابر مشايخه، حيث ذكر اصحاب الاختصاص لا يبعد اتحاده مع شيخ الصدوق في (العيون) المجهول وهوعلي بن احمد بن محمد بن عمران الدقاق[2]. وهذا يعد مشكلا في

(١) الامالي، الشيخ الصدوق، ص٧١٨.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ١٢ ص٢٧٩.

نظر علماء الحديث من الاخذ برواياته. واما محمد بن الحسن الطائي فهو لم يحظ بذكر في اوساط علماء الرجال لا في ترجمته ولا في ابعاده العلمية[1]، وايضا البعض عزا ذلك لاتحاده مع محمد بن الحسن الصفار[2]. وكيف ما كان فهو لم يحظ بالتأييد التام. ونفس المشكلة يواجهها الطريق الثالث محمد ابن الحسين الخشاب لم نجد له ترجمة وتوثيق وشرح لحاله في بوتقة علماء الحديث والرجال كما اشار لذلك بعض المختصين حيث قال: محمد بن الحسين الخشاب: لم يذكروه. وقع في طريق الصدوق في الأمالي[3]. والعجيب ان الطريق الرابع الذي ينتهي الى المفضل الراوي عن الامام عليه السلام ايضا مجهول الهوية ولم يذكر في ادبيات علم الرجال والحديث بعد البحث والتدقيق وكما اشار اليه نفس المصدر السابق بقوله: محمد بن محسن: لم يذكروه. روى عن المفضل، كما تقدم في محمد بن الحسين الخشاب[4]. اما المفضل ابن عمر الراوي المباشر عن المعصوم عليه السلام فقد كثر الكلام عنه فقال فيه الشيخ الطوسي في الفهرست انه ضعيف[5]. وقد نال منه كثيرا ابن الغضائري في رجاله وقدحه باشد العبارات حيث قال: الْمُفَضَّل بنُ عُمَر، الجُعْفيُّ، أَبُو عَبْد الله. ضَعِيْفٌ، مُتَهافِتٌ، مُرْتَفِع القول، خَطّابِيٌّ[6]. وقد زِيْدَ عليهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وحَمَلَ الغُلاةُ في حديثِهِ حَمْلا عَظِيْماً.

(١) انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي الشاهرودي، ج٧ ص٣٢.
(٢) انظر: الرسائل الرجالية، محمد ابراهيم الكلباسي، ج٣ ص٤٨٣.
(٣) انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي الشاهرودي، ج٧ ص٣٥.
(٤) انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي الشاهرودي، ج٧ ص٣٠٤.
(٥) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٣٣٤.
(٦) الخطابية: فرقة ضالة تنسب باسم مؤسسها ابي الخطاب من رؤساء الغلاة من بدعهم الحلول. انظر: قاموس الرجال التستريج٩ ص١١٧

ولا يَجُوزُ أنْ يُكْتَبَ حديثُهُ[1].

وشبيه هذه العبائرة ما قالها بحقه ابن داود الحلي في رجاله: المفضل بن عمر ضعيف متهافت خطابي، وقيل أبو محمد الجعفي كوفي فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعبأبه، وقيل كان خطابيا[2]. وغير هؤلاء من علماء الاختصاص، وغيرهم ضعفوا المفضل واتهموه بجملة من الاتهامات. اضافة الى ذلك انه متحد مع غيره حيث ورد عن المفضل بن عمر وهناك المفضل بن عمر الجعفي والمفضل بن عمر او عبدالله، وايضا ابو محمد، ولذلك ذكر البعض هذا التنويه في كتابه: المفضل بن عمر: روى ١٠٦ رواية، منهاعن أبي عبدالله، وأبي الحسن عليه السلام (وايضا) روى في تفسير القمي، متحد مع لاحقه الثقة، ومع المفضل الجعفي الآتي[3]. ولكن في قبال ذلك بعض علماء الاختصاص من المتأخرين وثقوه ودافعوا عنه واجابوا عن الاشكالات والتهم الواردة بحقه وذكروا بعض الكلام الموثق والمادح له من تراث المتقدمين امثال الشيخ المفيد والطوسي، ومن أولئك المدافعين السيد الخوئي رحمه الله فقد اسهب في ترجمته والدفاع عنه حتى استخلص ان المفضل بن عمر جليل وثقة، كما في معجمه قال: والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل، ثقة، والله العالم[4]. ولكن من الملفت للنظر والمريب انه في موضع آخر من معجمه رحمه الله اعتبر روايات المفضل ضعيفه ولا يؤخذ بها؛ لكونه مطعونا فيه كما كان يدافع عن بعض الرواة وقد ازاح

(١) رجال ابن الغضائري، احمد بن الحسين الغضائري، ص٨٧.
(٢) رجال ابن داود الحلي، ص٢٨٠.
(٣) المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، ص٦١٧.
(٤) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٩ ص٣٣٠.

الاشكال عنه بتضعيف الرواية المتضمنه ذما له بانها ضعيفه بسبب وجود المفضل في طريقها وهو مطعون فيه. حيث قال: ... مضافا إلى أن الرواية الثانية في سندها المفضل بن عمر، وهو مطعون[1]. الا ان نقول ليس المراد المفضل الذي ذهب الى توثيقه بل غيره بنفس الاسم كما ذكرنا انه يتحد مع غيره. وكيف كان ان الراوي المباشر لهذه الرواية مشبوه الحال ومختلف بين علماء الرجال بين التوثيق وعدمه اضافه الى اتحاده بغيره. وقد باحثت هذا السند الذي يذكر رواية ذم عقيل ورجاله الذين نقلوها مع بعض العلماء المختصين والضالعين بعلوم الرجال والحديث وخلص بالقول: انها مع هذه السلسلة من رجالها ليست ضعيفة بل فوق الضعيفة.

فتحصل ان الرواية الواردة في نهج البلاغة مرسلة وساقطه عن الاعتبار ومن ذكرها مع السند فايضا سلسلة السند ضعيفة بجملتها وغير قابلة للاخذ والاعتماد، هذا كله من لحاظ السند غير الاشكالات المتضافرة الواردة على صدورها ومتنها كما سنبينه ان شاء الله تعالى.

مناقشة المتن

بعد ما ثبت أنّ سندها لم يحظ بالصحة والقبول اما أنّه مرفوع وخالى من السند بحسب نقل الشريف الرضي ﵀ واما سندها المنقول عن طريق الشيخ الصدوق ﵀ فهو ضعيف فنقف ان شاء الله بملاحظة ومناقشة جملة من الموارد الواردة على المتن حيث نراه يخالف كل الموازين.

(١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٨ ص٤١.

الأول: اضطراب المتن

لم نجد سياقاً سليماً في الرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق ﵀ حيث في بدء الامر تتحدث عن رجل من سكنة المدائن ارتد وانحرف عن الاسلام ومال الى الدنيا وخزرفها وغصب حقوق الناس ومنع الزكوة وتوعده بالحد والعقاب وهكذا الى ان اورد قصة عقيل بمقطع ثم تغير السياق بعده، هذا من جانب.

ثانياً: اختلاف النسخ

ومن جانب آخر ان ما نقله الشريف الرضي لا ينطبق في الجمله عى ما نقله الصدوق سواء كان فيما يسبق المقطع الذي يتحدث عن عقيل او فيما بعده، بل حتى التعابير التي تتحدث عن عقيل في النسختين تختلف في كثير من الموارد وفيها حذف وتغيير وهو واضح لادنى مطابقة واطلاع، فقد نجد ان الشريف الرضي حذف ولم يذكر قصة الرجل المدائني الذي اسهب في نيله الامام ﵇ وتبرأ من سلوكه وافعاله الظالمة فهذا وغيره يشعر ان في الرواية نوع من التصحيف والاضافة وما شاكله، فلم تصدر على نسق معين او سياق متطابق وانما هناك اختلافات من اضافات وغيرها. الا ان نقول ان الشريف الرضي وجدها في نسخة غير ما هي عند الصدوق الذي يقدمه زمانا ولكن يبقى ذلك مجرد احتمال لا يرقى الى موارد العلم والاطمئنان.

ثالثاً: وصف عقيل بالظالم

اضافة الى ذلك ان الشريف الرضي ﵀ وأخاه الشريف المرتضى ﵀ جعلوها تحت عنوان: على ﵇ يتبرأ من الظلم؟ بنص قولهم (من كلام لعلي

عليه السلام يتبرأ من الظلم) واي ظلم ارتكبه عقيل في ذلك؟ حتى لو سلمنا صحت ما نقله فهو اقدم على سد رمقه ورمق اطفالة بصاع من شعير من طريق مشروع وطلب من خليفة المسلمين واقرب الناس اليه.

رابعاً: العقاب سبق الجناية؟

وهل يصح ان الامام عليه السلام يسبق الجناية في العقاب وهذا ما لا ترضاه الشريعة وما لا يسمح به الامام نفسه كما قيل له بالاقتصاص من ابن ملجم كما عن المجلسي «... ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلني ابن ملجم المرادي، فقلت له: يا أبتاه، إذا علمت منه ذلك فاقتله، قال: يا بني لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية والجناية لم تحصل منه... الخ[1]. مع ان الرواية تقول احما الحديدة وادناها من جسده. وفي رواية امسكه اياها حتى صرخ وضج ضجيج ذي دنف وكاد يسب الامام عليه السلام؟ حتى فهم ذلك بعض العلماء حيث قال: أنه طلب من أمير المؤمنين عليه السلام صاع بر فلم يعطه وحمى له حديدة وكواه بها وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين في كلام له فقال والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا[2].

خامساً: الفاظ غير مناسبة

يُفهم من ظاهر المتن المتقدم حصول افعال وألفاظ غير مناسبة في حق امير المؤمنين عليه السلام وعقيل من قبيل عزمه على السب وغيره كما قال: (... ضج

(١) البحار، العلامة المجلسي، ج٤٢ ص٢٧٩.
(٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان المدني، ص١٥٩.

ضجيج ذي دنف يئن من سقمه، وكاد يسبني سفها من كظمه، ولحرقة في لظى أضنى له من عدمه، فقلت لـه: ثكلتـك الثواكـل يـا عقيـل...)، وغيرهـا مـن الافعال والتعابير التي لا تنسجم مع الشريعة ومـع سـلوك الامـام عليه السلام وحتـى سلوك عقيل.

تناقض النصوص في هذا الشأن

هناك جملة من الروايات تختلف عن مضمون هذه الرواية حيث ذكر بعض المحدثين وغيرهم انه لم يطلب صاعا من البر وانما هو طلب من الخليفة الاتساع واعطاءه من بيت المال لما يجعله من الطبقات البرجوازية وقد اعطاه الامام امـير المؤمنين عليه السلام الكثير لكن عقيلا رفض ذلك واصر على ان يأخذ مـن بيـت المـال الكثر، فقد ذكر القاضي: وأتى عليا عليـه الـسلام وهـو في الكوفـة. فقـال لـه: اعطني من المال ما اتسع فيه كما اتسع الناس. فعرض عليه ما عنده، فلم يقبضه.

وقال: اعطني ما في يديك من مال المسلمين. فقال له: أما هذا فما إليـه مـن سبيل، ولكني أكتب لك إلى مالي [بينبع] فنأخذ منه. قال: ما يرضيني من ذلـك شيئا وسأذهب إلى رجل يعطيني. فأتى معاويـة، فـسر معاويـة بقدومـه عليـه، وجمع وجوه أهل الشام، وأحضره. وقال لهم: هذا أبو يزيد عقيل بن أبي طالـب قد اختارنا على أخيه علي ورآنا خيرا له منه... الخ[1].

وجاء في شرح النهج: أنه قـدم عـلى أمـير المـؤمنين عليه السلام فوجـده جالـسا في صحن المسجد بالكوفة فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمـة الله وبركاتـه

(١) شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي، ج٣ ص٢٤١.

وكان عقيل قد كف بصره فقال عليك السلام يا أبا يزيد ثم التفت أمير المؤمنين إلى ابنه الحسن فقال له قم وانزل عمك فقام فأنزله ثم عاد إليه فقال اذهب فاشتر لعمك قميصا جديدا ورداءا جديدا وإزارا جديدا فذهب فاشترى له ذلك فغدا عقيل على أمير المؤمنين في الثياب فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام يا أبا يزيد قال يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئا وأنى لا ترضى نفسي من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال يا أبا يزيد يخرج عطائي فادفعه إليك فلما ارتحل عن أمير المؤمنين اتى معاوية فنصب له كراسيه واجلس جلسائه حوله فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف درهم فقبضها[1].

وايضا جاء في بعض النصوص انه عليه السلام اعطاه اربعمائة درهم ليستعين بها في طريقه لمعاوية ليس صاعا من البر كما ذكر النهج؟ فقد جاء في المناقب حديث طويل...(الى ان قال) له أفتأذن لي ان اخرج إلى معاوية فقال له قد أذنت لك، قال فأعني على سفري هذا، قال ياحسن اعط عمك أربعمائة درهم فخرج عقيل[2].

وغيرها من النصوص الباطله والتي لا تتوافق ما في نهج البلاغة من طلب الصاع او طلب الالاف من بيت المال؟ من هذا الاضطراب والاختلاف في النصوص نعرف ان المسألة في شأن عقيل مفبركة ومغرضه من النظام الاموي للنيل من الاسرة الهاشمية.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي، ج٢ ص١٢٤.

(٢) مناقب ال ابي طالب، ابن شهر اشوب، ج١ ص٣٧٦.

التوظيف الاعلامي لفرية الحديدة

استغل الجهاز الاموي الاعلام المغرض ووضع النصوص والاحاديث التي تنال من اهل البيت عليهم السلام لتكون منفذا للدخول الى نيل الاسرة الهاشمية وشخص المعصوم عليه السلام لذلك نلاحظ الجهاز الاعلامي الاموي وسع من نطاق هذه الفرية حتى استطاع من خلالها ان يصل الى شخص المعصوم عليه السلام ليتهمه بخيانة بيت المال والعياذ بالله وفي نفس الوقت اعطى بعدا اخلاقيا لمعاوية في هذا الشأن والمؤلم في هذا ان هذا الترهات والافتراءات انطلت على الكثير حتى عصرنا واخترقت العقول ذات الشأن والعلم واصحاب القرار ومرجع للناس حيث استشهد بعض العلماء لعدالة الامام علي عليه السلام بهذا الكلام الباطل المفترى كما ستلاحظه فقد ذكر: أن معاوية سأل عقيلا عن قصة الحديدة المحماة المذكورة فبكى وقال انا أحدثك يامعاوية عما سألت نزل بالحسين عليه السلام ابنه ضيف (وبعض المؤرخين ذكر بدل الحسين عليه السلام الامام الحسن عليه السلام)[1]. فاستسلف درهما اشترى به خبزا واحتاج إلى الادام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن فاخذ منه رطلا فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث فأخبره فغضب عليه السلام وقال على بحسين فرفع عليه الدرة فقال بحق عمى جعفر (وكان إذا سئل بحق جعفر سكن) فقاله ما حملك أن اخذت منه قبل القسمة قال إن لنا فيه حقا فإذا أعطيناه رددناه قال فداك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن

(١) مناقب الامام امير المؤمنين عليه السلام، محمدبن سليمان الكوفي، ج٢ ص٥٧.

تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم اما لولا إني رأيت رسول الله ﷺ يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ردائه وقال اشتر به خير عسل تقدر عليه قال عقيل والله لكأني انظر إلى يدي على وهي على فم الزق وقنبر يقلب العسل فيه ثم شده وجعل يبكى ويقول اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم. فقال معاوية ذكرت من لا ينكر فضله رحم الله أبا حسن فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتي بعده هلم حديث الحديدة. قال نعم أقويت وأصابتني مخمصة شديدة فسألته فلم تند صفاته فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم فقال أئتني عشية لأدفع إليك شيئا فجئته يقودني أحد ولدى فأمره بالتنحي ثم قال الا فدونك فأوهيت حريصا (قد غلبني الجشع أظنها صرة) فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال لي ثكلتك أمك هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبي غدا إن سلكنا في سلاسل جهنم ثم قرا ﴿**إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون**﴾. ثم قال ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك الا ما ترى فانصرف إلى أهلك. فجعل معاوية يتعجب ويقول هيهات هيهات عقمت النساء أن يلدن مثله[1].

أقول: كيف صح للمعصوم عليه السلام ان يخون بيت المال؟ والامام الحسين عليه السلام في الكوفة قائد ومرجع للامة بعد ابيه وما نصبه الامام عليه السلام لذلك وقد ثبت بالادلة القاطعة عصمته من كل زلل فيكيف يصدق ان يحصل منه هذا الفعل

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي، ج١١ ص٢٥٣. دراسات في ولاية الفقيه، الشيخ منتظري، ج٢ ص٦٨٠. بحار الانوار، ج٤٢ ص١١٧. وغيرهم

الذي لا يصدر من الاولياء العاديين، ولاعجب من كل ذلك كيف قبل بعض الاعلام هذه الفرية المناقضة لادبيات وسلوكيات اهل البيت وللقرآن. هكذا استطاع الاعداء من اخترق متبنياتنا ومبادئنا وصولا الى التقليل من أئمتنا ومنارنا بهذه الاكاذيب والافتراءات. ولو كان معاوية بهذا الحب والمدح والاطراء لإمير المؤمنين عليه السلام لم سن لعنه على المنابر وجعلها سنة في الاقطار وشمر عن ساعديه جاهدا في النيل من الامام عليه السلام والتقليل من شأنه؟ اين العقول التي اكد عليها القرآن باكثر من تسع وتسعين اية_افلا يعقلون_ فعندما ينجح في تمرير الاكاذيب على شخصيات بني هاشم غير المعصومة قد استطاع الولوج في قدح المعصومين عليهم السلام وفرية الحديدة خير مثال جلي على ما يروم اليه الاعداء.

عقيل لم يسافر الى الكوفة

من الادلة الدامغة على هذه الفرية ما افرزه التاريخ من ان عقيلا لم يسافر الى الكوفة عند خلافة اخيه امير المؤمنين عليه السلام وذلك بعد ما استلم الامام عليه السلام مقاليد الخلافة بالحاح من الناس (بحديث مفصل موكول الى محله) حصلت فتنة البصرة حيث خرج عليه من بايعه واعطاه المواثيق طلحة والزبير ومن معهما واستقروا في البصرة والبوا اهلها ضد الحكومة الشرعية وطردوا الوالي في البصرة فخرج الامام عليه السلام بجيشه نحو البصرة ودقت طبول الحرب وراح ضحيتها الآلاف وما ان وضعت الحرب أوزارها اتجه الامام عليه السلام نحو الكوفة لمواجهة الزحف الاموي بقيادة معاوية بن ابي سفيان واستقر بالكوفة لفترة اربع سنوات الى حين شهادته حتى اصبحت الكوفة عاصمة المسلمين بعد

المدينة، وتدار القوانين الاسلامية من مسجد الكوفة. والى ان استشهد عليه السلام في الكوفة لم ياتي عقيل بن ابي طالب اليها وذلك بامر من الامام امير المؤمنين عليه السلام ان يمكث المدينة كما هو ثابت عند المؤرخين القداما وقد استدل ابن ابي الحديد وغيره على ابطال ترك عقيل لاخيه والتحاقه بمعاوية بما سنذكره من النصوص وهي ايضا تشمل ابطال فرية الحديدة. فقد جاء في الغارات عن زيد بن وهب قال: كتب عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه إلى علي أمير المؤمنين حين بلغه خذلان أهل الكوفة وعصيانهم إياه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله علي أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال، إني خرجت إلى مكة معتمرا فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في وجوههم فقلت لهم: إلى أين يا أبناء الشانئين؟ أبمعاوية تلحقون؟ عداوة والله منكم قديما غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم. فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالهم ما شاء ثم انكفأ راجعا سالما فأف لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك، وما الضحاك؟ فقع بقرقر وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إلي يا بن أمي برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحب أن أبقي في الدنيا بعدك فواقا، وواقسم بالأعز الأجل إن عيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنئ ولامرئ ولا نجيع والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فأجابه علي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد كلانا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد. فقد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيدالأزدي تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلا من قديد في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء متوجهين إلى المغرب وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها عوجا، فدع ابن أبي سرح ودع عنك قريشا، وخلهم وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، ألا وإن العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبي صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله، وبادوه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجروا عليه؟ جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشا عني الجوازي فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام، أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل وأذل من أن يلم بها أو يدنو منها ولكنه [قد كان] أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة فما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جندا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك فر هاربا فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان

ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلا كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية وولى هاربا، وقتل من أصحابه تسعة عشر رجلا ونجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخنق [ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا.

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأني محق والله مع الحق، ووالله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله بعد الموت إلا لمن كان محقا.

وأما ما عرضت به علي من مسيرك إلي ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشدا محمودا، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أمك ولو أسلمه الناس متخشعا ولا متضرعا... الخ[1].

وهذا ما جعل ابن ابي الحديد وغيره يستدل على عدم ذهاب عقيل الى معاوية في حياة امير المؤمنين لانه بحسب ما استقرأه من المؤرخين لم يسافر عقيل الى الكوفة حتى حركة الضحاك التي حصلت قبيل استشهاد الامام عليه السلام مع عبائر الطاعة والولاء لاخيه امير المؤمنين واستأذانه وزهده بالحياة دونه.

وايضا قد ذكر ابن ابي الحديد خبرا مشهورا يدل على مكوث عقيل في المدينة وعدم سفره الى الكوفة او غيرها حيث قال: «روى في خبر مشهور، أن معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه في صفين، فقالسعيد: لودعوتني لوجدتني قريبا، ولكني جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم، ولو أوعبنا

(١) الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، ج٢ ص٤٣٣

لأوعبوا»[1]. فهذه من النصوص التأريخية القديمة التي تؤكد وتثبت ان عقيلا لم يسافر الى الكوفة او يستقر بها وعنده صبية وجاء الى الامام يطلب صاعا من الشعير؟ فهذا كله نوع من الخيالات والاوهام المغرضة او الساذجة. نعم ربما يقال ان شخصا في الكوفة بهذا الاسم ويمر بحالة من العوز واراد من الامام عليه السلام مخالفة النظم الاسلامية فزجره الامام عليه السلام واجابه بشكل عملي ليعي الجواب جيدا وتقييد (اخي) في رواية الصدوق ربما نوع من اضافة النساخ. لكن هذا يبقى مجرد احتمال لم نجد له براهين.

مخالفتها لسيرة عقيل

عندما نرجع الى سيرة عقيل بن ابي طالب من جميع النواحي سواء كانت العمرية او الاقتصادية او الايمانية او غير ذلك نجد انها لا يمكن ان تتوافق مع ما نسب اليه من الجشع والطمع والعوز وما شاكله ليقدم على طلب صاع او غيره مع ان عقيلا عند خلافة امير المؤمنين عليه السلام قد تجاوز عمره الثمانين سنة تقريبا و وفحوى الرواية تتحدث عن شخص بالعقد الثالث او الرابع من العمر عنده صبيان واصابهم الاخماص وتغيرت الوانهم من ذلك، فكيف نتصور عقيل بهذا العمر حوله لفيف من الصبية ويلتمس لهم شيئا من البر، مع ان ابنائه ذوات اسر مستقلة واحفاد ولهم استقلالهم الاقتصادي والاجتماعي وكان بامكانه ان يأخذ منهم ما يريد من صاع أو غيره. اضافة الى ذلك ان بني هاشم أغنياء وعندهم املاكهم وضيعاتهم سواء في مكة او المدينة او غيرهما لا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١٠ ص٢٥٠.

سيما في خلافة امير المؤمنين عليه السلام لا تغتصب حقوق أحد وهم اهل هذه البلدان اب عن جد فيملكون بها ما يملك غيرهم حتى ان في التاريخ دار عقيل كانت رمز ومعلم لبني هاشم، ونلاحظ ان الامام السجاد عليه السلام حينما بعث اليه المختار اموال اول شيء قام به بناء دار عقيل، كما جاء في رجال الكشي للطوسي: «أن المختار أرسل إلى علي ابن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار، فقبلها وبنا بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت»[1]. وقد كانت تقصدهم الفقراء والمعوزون ويتزودون من عطاهم ويأكلون في مضايفهم فكيف بهذه الشخصية المرموقة اجتماعيا وسياسيا وايمانيا تتذلل لثلاثة كيلو من الشعير. والعجيب ان امير المؤمنين عليه السلام يتعامل مع اخيه الذي يكبره بعشرين سنة بهذا النحو من الافعال والالفاظ؟ ثكلت الثواكل وما شاكلها، ومنهم تعلما احترام الكبير وتوقيره لاسيما بعمر الثمانين مع ما له من مكانة اجتماعية وعلمية. ولذلك لم نجد في التاريخ ان امير المؤمنين عليه السلام يسميه باسمه وانما طالما يناديه بكنيته ابا يزيد.

مخالفتها لمواقف عقيل الايمانية

نشأ عقيل في احضان الاوصياء والكبار من بني هاشم وابوه ابو طالب وامه فاطمة بنت اسد وابن عمه النبي صلى الله عليه وآله وعمه العباس، ومنهم من قال ان اسلامه كان سابقا معركة بدر التي اخرج لها كرها كما هوا ثابت عند الفريقين فقد ذكر ابن سعد في طبقانه: قالوا وكان عقيل بن أبي طالب فيمن أخرج من

(١) اختيار معرفة الرجال (للكشي)، الشيخ الطوسي، ج١ ص٣٤٢.

بني هاشم كرها مع المشركين إلى بدر فشهدها وأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه العباس بن عبد المطلب[1]. وأيضا يفهم مما ذكره ابن سعد ان عقيلا كان في معركة بدر بمثابة المستشار العسكري للنبي ﷺ حيث يرض على قتل الشخصيات المشركة المعادية للاسلام والتي تعرقل سير الحركة الاسلامية كما روى عن معاوية بن عمار الذهبي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول قال رسول الله ﷺ يوم بدر انظروا من هاهنا من أهل بيتي من بني هاشم قال فجاء علي بن أبي طالب فنظر إلى العباس ونوفل وعقيل ثم رجع فناداه عقيل يا بن أم علي أما والله لقد رأتنا فجاء علي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله رأيت العباس ونوفلا وعقيلا فجاء رسول الله ﷺ حتى قام على رأس عقيل فقال أبا يزيد قتل أبو جهل قال إذا لا ينازعوا في تهامة إن كنت أثخنت القوم وإلا فاركب أكتافهم. (ثم) قال أخبرنا علي بن عيسى عن إسحاق بن الفضل عن أشياخه قال وقال عقيل بن أبي طالب للنبي ﷺ من قتلت من أشرافهم قال قتل أبو جهل قال الآن صفا لك الوادي[2].

وقد اشار النبي ﷺ اليهم وانهم جيء بهم كرها وقد اوصى بهم ولا يبعد انهم كانوا عيونا للنبي ﷺ في مكة كما هو مفصل في محله.

وقد شارك عقيل مع النبي ﷺ العديد من المعارك وقد ثبت معه في معركة حنين حين ادبر وفر القوم هو رابط مع النبي ونفر وهكذا كان يعيش روح الجهاد والنظال والدفاع عن العقيدة والدين وكان من المؤسسين الاوائل للدولة الاسلامية، ولا نريد ان نسهب في سيرته وابعاده وانما نذكر شاهد من

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٤ ص٣٤
(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٤ ص٤٣.

مواقفه الايمانية لادحاض وابطال ما نسب اليه زورا، فقد ذكر الفريقين: وكان عقيل بن أبي طالب دخل على زوجته وسيفه متلطخ دماً فقالت: إني قد علمت أنك قد قاتلت المشركين فماذا أصبت من غنائمهم قال: هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك فدفعها إليها وهي فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة. فسمع منادي رسول الله ﷺ يقول: من أصاب شيئاً من المغنم فليرده. فرجع عقيل فقال: والله ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت. فألقاها في الغنائم[1].

هكذا كان عقيل حريص على ايمانه والحفاظ على بيت المال ولم توسوس له نفسه يوما ان يجرأ على بيت المال وما قيمت الابرة لكن عدم ارجاعها يعبر عن مخالفة شرعية فكيف يصدر منه ما روي. وفي موقف وجد خاتما في معركة مؤته فجاء به للنبي ﷺ. وكثير من المواقف التي تعبر عن البعد الايماني الرفيع لعقيل وهي بذاتها تبطل ما نسب بحقه.

عقيل على لسان النبي ﷺ

خص النبي الاكرم ﷺ عقيلا بالمدح والتلميح الى بعد ايمانه ومكانته ومن الواضح ان النبي ﷺ ينطق عن الوحي وعن الغيب ولا يبالغ او يجامل في كل أقواله وافعاله، وانما يكشف عن حقيقة خارجية وهكذا ديدن المعصومين عليهم السلام ومن الجدير بالذكر ذكر الفريقان من المحدثين: ان النبي ﷺ خاطب عقيلا بخطاب لم نجد له شبيه في نضمه ومضمونه حيث قال: اني احبك حبين كما جاء في الطبقات: «عن عبدالرحمن السلمي عن أبي إسحاق أن رسولا لله ﷺ

(١) المغازي، للواقدي، ج٢ ص٩١٨. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٤ ص٤٣.

قال لعقيل بن أبي طالب يا أبا يزيد إني أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمي إياك[1].

وايضا في امالي الصدوق رحمه الله: قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلا؟ قال: إي والله إني لأحبه حبين: حبا له، وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي[2].

لو كان عقيل اقدم على الظلم لا سامح الله او انحرف عن طرق الهدى ومال الى الدنيا وزخرفها وترك طاعة امامه عليه السلام كيف يقلده النبي صلى الله عليه وآله بشكل مطلق وسام المحبه؟ ايعقل النبي صلى الله عليه وآله يطري ويحب الظالم؟ والله تعالى يقول: ﴿**ان الله لا يحب الظالمين**﴾، وعندما يطلق النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام بحق عقيل من دون ذكر قيد الزمان فيفهم ان عقيلا على الاستقامة والولاء الى حين وفاته والا لبين عاقبته كما حصل ذلك مع الزبير بن العوام. فهذا دليل قاطع على ابطال ما قيل بحقه من تهم وترهات، ومن انه يريد خيانة بيت المال ومعارضة المعصوم عليه السلام المفترض الطاعة، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: «من أطاع عليا فقد أطاعني ومن عصى عليا فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ومن أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر أو منافق»[3].

---

(١) الطبقات الكبرى، ان سعد، ج٤ ص٤٤

(٢) الامالي، الشيخ الصدوق، ص١٩١.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر،٤٢ ص٢٧٠.

أنا حرب لمن حاربكم

وهناك دليل آخر يشير الى مكانة عقيل عند الله وعند النبي صلى الله عليه وآله وبرائته من كل التهامات والافتراءات ما جاء في الرواية المسندة عن أبي محمّد الحسن بن عبدالله بن محمّد بن العبّاس الرازي التميمي قال: حدّثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والعباس بن عبد المطلب وعقيل: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم[1].

بحسب مضمون هذه الرواية قد قرن صلى الله عليه وآله عقيلا مع المعصومين عليهم السلام وان من حاربهم فقد حارب النبي صلى الله عليه وآله فكيف نصدق ما ذكر من اقدام عقيل على مخالفة اخيه الخليفة المفترض الطاعة حتى يقوم عليه السلام بعقوبته الردعية، الا يكون هذا الحديث دليلا على نزاهته وان ما ذكر بحقه ضرب من الوهم والخيال.

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٦٤.

المبحث السادس

براءة عبيد الله بن العباس من قضبان التأريخ

تمهيد

من الاحداث التي أثبتها التاريخ وتعد من الوقائع والحوادث التأريخية الكلية، هي صلح الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان، وهى من الاحداث العامة التي لا يختلف عليها اثنان، وقد تناولتها الاقلام والافهام وتناقلتها الاجيال الى عصرنا هذه ولا غبار عليه، ولكن هناك ثمة وقائع جزئية ذكرها المأرخون واصحاب السير تحت هذه الدائرة (صلح الامام الحسن عليه السلام) من قبيل الهجوم على الامام الحسن عليه السلام، ونهب متاعه من قبل بعض أصحابه حين سماعهم قصد الامام مصالحة معاوية بن ابي سفيان، او جرح الامام عليه السلام كما ذكر، او املاء شروط الصلح ثم نقضها من قبل معاوية، او خيانة قائد جيشه عبيدالله بن العباس والتحاقه بمعاوية برشوة مالية قدرها الف الف درهم (مليون درهم)، وغيرها من الحوادث الجزئية المنطوية تحت هذه الكلية المعنونة بصلح الامام الحسن عليه السلام. ونحن بعون الله تعالى وتسديده نريد ان نقف فى

هذاالمبحث عند جزئية واحدة من هذه الجزئيات المذكورة في دائرة صلح الامام الحسن عليه السلام ألا وهي تهمة خيانة عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب، ودراستها ضمن منهجية علمية موضوعية.

أمير المؤمنين عليه السلام وابناء العباس

بعدما بايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة حصلت انشقاقات في البصرة وعصيان في الشام، فخرج الإمام عليه السلام الى البصرة وحصلت معركة الجمل، ثم حول عليه السلام العاصمة الإسلامية الى الكوفة بحسب الظروف الراهنة حينذاك، وجعل ولاة من قبلة ثلاثة من ولد عمه العباس بن عبد المطلب[1]. فكان حبر الامة عبدالله بن عباس واليه على البصرة والأهواز وبلاد فارس. وعبيد الله ابن العباس كان واليه على اليمن وما حواليها (وقالوا قبل ذلك كان واليه على مكة)، وقُثم ابن العباس كان واليه على مكة والطائف، اما المدينة فكان واليه عليها سهل ابن حنيف، لكن بعد سنة وتوفي، وجعل الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصارى (خالد بن زيد بن كليب الانصاري) وهو معروف بالولاء، وقد نزل النبي صلى الله عليه وآله في داره عند الهجرة، وشارك فى الغزواة مع النبي صلى الله عليه وآله ومع الامام امير المؤمنين عليه السلام). اما واليه على مصر محمد بن ابي بكر وبعد شهادته ارسل مالك الاشتر وقد استشهد في الطريق مسموما، اما واليه على المدائن سعد بن مسعود الثقفي وقد اقره الحسن عليه السلام.

(١) العباس بن عبد المطلب ذلك الرجل المؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وتحمل معه المشاق وكان في الشعب حين الحصار حتى ان ابنه عبدالله ولد في الشعب له من الابناء عشر ومن البنات اربعة وله كلام مفصل مذكور في محله.

وما نروم إليه أنّ ثلاثة من أبناء العباس بن عبد المطلب قد تبوءوا مناصب سياسية عليا من قبل الامام امير المؤمنين عليه السلام ومن ضمنهم عبيدالله بن العباس. وكلامنا هنا سيكون بالخصوص حول الفرية التي اطلقها التاريخ على ابن عم الامام امير المؤمنين عليه السلام عبيد الله بن العباس وهي: هل ان عبيد الله ابن عباس خان الامام الحسن عليه السلام؟.

نبذة عن عبيدالله بن عباس

قبل الدخول في محاكمة هذا الموضوع وجعله في ميزان العدالة العلمية البحثية الموضوعية لا بأس أن نلقي نظرة مقتضبة حول ترجمة صاحب البحث ونقول: هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وهو شقيق عبد الله (ابن عباس) وأمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، تكنى ام الفضل قيل إنّها مرضعة للحسن عليه السلام كما جاء في النصوص: «أمه (أي قثم اخو عبيدالله بن عباس) أم الفضل، وهو رضيع الحسن بن علي عليه السلام كما في الدرجات الرفيعة وغيره: روى أنّ أمّ الفضل قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت عضواً من أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيته، تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم، فولد الحسن عليه السلام فأرضعته بلبن قثم، وكان قثم يشبه النبي»[1]. وكان عبيد الله أصغر سنا من أخيه عبد الله بسنة استعمله علي بن أبي طالب على اليمن وأمره على الموسم فحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٨ ص٢٧٩. ذخائر العقبى، احمد بن عبدالله الطبري، ص٢٣٨. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص١٥١.

وثلاثين، وكان عبيد الله أحد الأجواد فكان يقال من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس الجمال للفضل والفقه لعبد الله والسخاء لعبيد الله، وكان عبيد الله ينحر كل يوم جزور. وفي وفاته خلاف فقيل سنة ثمان وخمسين وقيل في أيام يزيد وقيل مات باليمن وقيل سنة سبع وثمانين في خلافة عبد الملك وأردفه النبي ﷺ وخلفه[1].

وجاء في طرائف المقال: عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، من أشراف الصحابة وسادات أصحاب علي عليه السلام وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة الا أنه بعد ما صار أميرا للعسكر من جانب الامام المجتبى عليه السلام التحق بعسكر معاوية بترغيبه بالدرهم، وقام قيس بن سعد بأمر الناس وقال: هذا وأباه لم يأتيا بخير قط[2].

نص الاتهام

نذكر نص التهمة التي الصقها التأريخ بحق عبيد الله بن عباس ليتسنى لنا نقاشها وبيان جوانبها فقد جاء في كتب التأريخ (... ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحيوضية بمسكن، فأقبل عبد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل ارسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس ان الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج١٩ ص٢٤٩.
(٢) طرائف المقال، السيد علي البروجردي، ج٢ ص٩٨.

الامر إلي فان دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع ولـك إن جئتني الآن ان أعطيك الف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النـصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله ليلا فدخل عسكر معاويـة فوفى له بما وعده فأصبح الناس ينتظرون ان يخرج فيصلي بهم فلـم يخـرج حتـى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فقال: أيها الناس: لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الـورع أي الجبان إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قـط، إن أبـاه عـم رسـول الله ﷺ خرج يقاتله ببدر فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنـصاري فـأتى بـه رسـول الله ﷺ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخـاه ولاه عـلي أمـير المـؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلـك له حلال وإن هذا ولاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطأة وتـرك ولـده حتـى قتلوا وصنع الآن هذا الذي صنع... الخ)[1].

مناقشة هذه التهمة

نقف في تطبيق خطوات مهجية قراءة التأريخ لتحريك البحث حول ابعـاد هذه الجزئية سواء في مجالتها السندية أم ابعادها الدلالية مـع ملاحظـة جوانـب الراوي والرواية من خلال زوايا أخرى.

(١) مقاتل الطالبيين، ابي الفرج الاصفهاني، ص٤٢. شرح نهـج البلاغـة، ابـن ابي الحديـد. ج١٦ ص٤٢. وغيرهما.

أولا: المؤرخ الذي ذكر التهمة بالتفصيل؟

أول من ذكر تهمة خيانة عبيدالله بن عباس وفصل فيها هو أبو الفرج الاصفهاني، في كتابه مقاتل الطالبين كما تقدم. ومما يؤيد ذلك ما ذكره بعض العلماء المعاصرين المتضلعين في التاريخ حيث قال: تحت عنوان (معاوية وابن عباس وابن سعد) ولا تاريخ لموافقة (في النسخة لمواقفة) ابن عباس لمعاوية، وانما روى ابو الفرج قال: لما كان مساء اليوم الاول من ذلك ارسل معاوية ليلا الى عبيدالله بن العباس... الخ[1]. نعم قد ذكر بعض المؤرخين قبله ولكن ليس بهذا التفصيل، بل اكتفوا باشارات على نحو الاجمال والاختصار. وعلى هذا ان هذه الحادثة وليدة القرن الرابع الهجري وبينها وبين ناقلها ما يقارب ثلاثمائة سنة فان زمانه بعيد عن الحادثة كثيرا حيث أنه توفي في النصف الثاني من القرن الرابع سنة ٣٥٦هـ كما سيأتي. مع انها لم تحض بتفصيل وتأييد من قبل المؤرخين او المحدثين المعاصرين للحادثة او القريبين منها.

ثانيا: ملاحظة الراوي لهذه الفرية

تقدم أنّ اول من ذكر هذه الحادثة بهذا التفصيل هو ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبدالرحمن بن مروان بن عبد الله بن الخليفة الاموي مروان بن الحكم بن ابي العاص. ولد في مدينة اصبهان ٢٨٤هـ وتوفى ٣٥٦هـ. فكما هو واضح من أنه أموي النسب من آل مروان، اما اعتقاده فقد قيل انه زيدي، واقد اطلقوا هذه العبارة عنه، انه أموي النسب

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، ج٥ ص٤٥٨

زيدي الهوى. ويتضح من هـذا ان صـاحب هـذه الروايـة لم يحـض بالـضوابط المطلوبة للنقل لا من الناحية النسبية ولا من الناحية العقدية، فهـو مـن ذراري الامويين الذين فعلو ما فعلو في تراثنا وتوغلوا في دمائنا، فقد تأثر بهذه الاهـواء والاجواء الى حد كبير كما سيأتي.

ثالثاً: البعد المكاني للراوي

ان الراوي لهذه الحادثة بعيد مكانا اضـافة الى بعـده الزمـاني؛ لأنـه ولـد في أصفهان ثم انتقل الى بغداد، ولم يكن له اطلاع في اجواء الكوفـة او تراثهـا ومـا شاكله، وهذا البعد المكاني لا سـيما سـابقا لـه أثـر كبـير في مطالعـة الأحـداث وتوثيقها كما تقدم.

وعليه ان هذا يضفي مرحلة اخرى من الضعف لهذه الحادثة؛ لكون ناقلها لم يترعرع في اجواء هذه المنطقة ولا اقل يسمع مـن الاحفـاد القـاطنين فيهـا او يطلع على بعض تراثها او غير ذلك.

رابعاً: البعد العقدي للراوي

ذكروا أن ابا الفرج الاصفهاني زيدي المذهب، كما جاء عن الشيخ الطوسي في الفهرست، حيث قال: (أبو الفـرج الأصـفهاني، زيـدي المـذهب لـه كتـاب الأغاني كبير، وكتاب مقاتل الطالبين، وغير ذلك من الكتب، وكتـاب مـا نـزل من القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيتـه عليهم السلام، وكتـاب فيـه كـلام فاطمـة عليهـا السلام في فد ك، وغير ذلك من الكتب)[1]. فهو من الفرقـة الزيديـة التـى لهـا

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٢٨٠.

اعتقاد معين كما جاء ترجمتها من قبل العلماء حيث قالوا: (الزيدية من الشيعة، فزعموا أن من دعا إلى طاعة الله عز وجل من آل محمد فهو إمام مفترض الطاعة. قالوا: وكان علي إماما حين دعا الناس إلى نفسه، ثم الحسن والحسين، ثم زين العابدين، ثم زيد بن علي، ثم يحيى بن زيد، ثم عيسى بن زيد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن [بن الحسن بن علي] بن أبي طالب. فهؤلاء عندهم أئمة قاموا، ودعوا الناس إلى أنفسهم. قالوا: وكل من قام من ولد الحسن أو ولد الحسين دون سائر الناس فهو إمام حق وجائز له أن يخرج ويقوم ويدعو إلى نفسه، ويدعي الإمامة... الخ)[1]. فنلاحظ اهتمامهم في الإسلام الجهادي الثورى وتغليبه على المعتقد الثابت المشرع، فعندهم المرجع من يحمل السيف، ولذلك يُخالفون التسليم كما انعكس ذلك في مسألة عبيدالله بن عباس حتى مع طاعته لامامه كما سيتضح ان شاء الله.

خامساً: ذكره روايات ونصوص مخالفة لسلوك اهل البيت عليهم السلام

عندما نرجع الى تراثه الذي خلفه سواء كتاب الأغاني ام غيره نجد كثيرا من الترهات التي لا تمت الى الواقع بصلة، كما فى ذكره عن السيده سكينة كيف كانت تجالس الشعراء وتعطيهم الهدايا والاف الدنانيير، وتتغازل في الابيات، ويذكر انها كثيرة المزاح وكيف تصف نفسها، وغير ذلك من الاباطيل الفارغة[2]. فاقل ما يقال عنه في نقل الاحداث انه لا يبالي اذا لم يكن مغرضا، فهناك مطالب بعيدة كل البعد عن الواقع لا يمكن ذكرها وتحملها وقد ابطلها

(١) شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي، ج٣ ص٣١٨.
(٢) راجع كتاب الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني، ج١٦ ص٣٦٣.

علمائنا ورفضوها جملة وتفصيلا.

والحاصل كيف يمكن الوثوق والاخذ في نقولات وردت من شخص يتعامل مع نقل الاحداث بمنطق الّا مبالات وعدم الدقة، واذا لزم ان نصدقه هنا في نقله لخيانه عبيد الله بن عباس للزم تصديقه بكل نقولاته او اعظمها، ولو على قاعدة الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد وهو ما لا يرضى به احد من المنصفين.

سادساً: ملاحظة المتن

عندما نرجع الى المتن الذي ذكره ابو الفرج الاصفهاني نفسه نفهم ان عبيد الله ابن عباس كان مطيعا لامامه ولم تصدر منه خيانة او تسليم وتخاذل ولكن بعدما صالح الامام الحسن عليه السلام معاوية وحصل ما حصل اغمد سيفه وتنصل عن القوم، ونذكر نص عبارته ونترك الحكم للقارئ الكريم، قال ابو الفرج الاصفهاني: (ثم إن الحسن بن علي سار في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى أتى دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

فقال له: يا بن عم إني باعث معك اثنا عشر ألفا من فرسان العرب وقراء المصر، الرجل منهم يزن الكتيبة فسر بهم وألن لهم جانبك وابسط وجهك وافرش لهم جناحك وأدنهم من مجلسك فأنهم بقية ثقة أمير المؤمنين عليه السلام وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير إلى مسكن ثم امض حتى تستقبل معاوية فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فانى في إثرك وشيكا وليكن خبرك عندي كل يوم وشاور هذين، يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس فإذا

لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فان فعل فقاتل فان أصبت فقيس بن سعد على الناس وإن أصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس ثم امره بما أراد.

وسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور حتى خرج إلى شاهى ثم لزم الفرات والفالوجة حتى اتى مسكن. واخذ الحسن على حمام عمر حتى اتى دير كعب ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فحمد الله فقال: الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي ﷺ. أما بعد، فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له سوءا ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، الا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا علي رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه، يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد ان يصالح معاوية ويسلم الامر إليه فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى اخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمان ابن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالسا متقلدا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من اراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له الجراح بن

سنان فلما مر في مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجام بغلته وبيده معول فقال: الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك من قبل ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقته حتى بلغت اربيته فسقط الحسن إلى الأرض بعد ان ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه وخرا جميعا إلى الأرض فوثب عبد الله بن الخطل فنزع المعول من يد الجراح بن سنان فخضخضه به واكب ظبيان ابن عمارة عليه فقطع انفه ثم اخذوا الآجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه. وحمل الحسن على سرير إلى المدائن وبها سعد بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله، وكان علي ولاه فأقره الحسن بن علي، فأقام عنده يعالج نفسه. قال: ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحيوضية بمسكن، فأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل ارسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس ان الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الامر إلي فان دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن ان أعطيك الف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده فأصبح الناس ينتظرون ان يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فقال: أيها الناس: لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع أي الجبان إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم رسول الله ﷺ خرج يقاتله ببدر فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به

رسول الله ﷺ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاه علي أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال وإن هذا ولاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولده حتى قتلوا وصنع الآن هذا الذي صنع. وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفا فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم. فقال لهم قيس بن سعد بن عبادة اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم)[1].

الشاهد الأول:

ونحن عندما ذكرنا هذا النص بتمامه لاثبات ما نروم اليه من براءة عبيد الله بن عباس مع غض النظر عن صحته من عدمه، بل لو سلمنا ثبوته وتنزلنا فهو ايضا يشير الى عدم خيانة عبيدالله ابن عباس، بل يدل على طاعته والرضوخ الى الاوامر السياسية الصادرة من الجهات العليا لاسيما المتمثلة بالمعصوم عليه السلام المفترض الطاعة، فالنص يشير الى صلح الامام الحسن عليه السلام حيث ذكر تسليم ابن عباس بعدما اعلن الامام عليه السلام الصلح. حيث قال قام الحسن عليه السلام وخطب في الناس وأشار الى صلح معاوية، حصل كلام بين الناس من اصحابه، واقتحموا الامام عليه السلام ونهبوا تراثه وتكلموا عليه، وضربوه وغير ذلك، حتى أُخذ الى مكان آمن. ثم جاء دور ابن عباس بعدما حصل صلح من قائده وامامه

(١) مقاتل الطالبيين، ابي الفرج الاصفهاني، ص٤٠ ـ ٤٢.

فالملزم له بكل القوانين والاعراف الساسية والعسكرية. فمن الطبيعي انه هو ايضاً يصالح ويسالم، وهذه فيها دلالة على البعد الايماني وطاعته للإمام عليه السلام، بخلاف قيس ابن سعد كما هو واضح فى النص المتقدم: (فقال لهم قيس بن سعد بن عبادة اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام... .

الشاهد الثاني:

قد ذكر في ذيل كلامه انه حينما افتقدوا ابن عباس، قام قيس بن سعد وصلى في الناس وخطب وذم العباس ابن عبد المطلب أنه قاتل؟ وذم عبدالله ابن العباس أنه السارق والخائن، وذم عبيد الله ابن العباس أنه الجبان، ثم قال: ـ وهنا الشاهد ـ (اى قيس ابن سعد ابن عبادة مخاطبا الجند من جيشه: اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم).

وهذه دلالة واضحة في ان عبيد الله بن عباس سالم بعد ما عقد الصلح سياسيا وهو يعبر على مدى ايمانه بالقيادة العليا المتمثلة بالامام المعصوم عليه السلام ولم يتصادم ميدانيا مع القوم ويخالف امامه عليه السلام ولم تهيمن عليه النزعة الفردية والنعرة الطائفية متناسيا ابعاد اتباع طاعة الامام المفترض الطاعة في كل الأحوال، كما حصل من قيس بن سعد كما هو جلي من كلامه واعترافة قتال مع غير امام. فلم يسمح لنفسه أن يقاتل بلا امام أو يتخذ طريقاً مخالفاً لنهج امامه وقائده.

ويؤيد هذا الاستدلال ما ذكره البلاذري في أنساب الأشراف، المتوفى في القرن الثالث (٢٧٩هـ) من أهالي بغداد، قال: إنما ارسل معاوية الى عبيد الله ابن عباس ألف ألف درهم ان صار اليه ـ فلما علم عبيد الله رأي الحسن عليه السلام انما يقصد الصلح وحقن الدماء صار الى معاوية[1]. اذن مسألة اللحوق بمعاوية من قبل ابن عباس بحسب كلامهم حصلت بعد الصلح فلم تعد خيانة بكل الموازين، بل تحسب مزية عظمى للرجل في الطاعة لمولاه وامام زمانه وعدم مخالفته له بحال من الاحوال ولو كلفه ثمن سمعته واعتباره وتأريخه، حيث في قيادته للجيش جنبتان بالنسبة الى قائده الأعلى، الاولى: اطاعته لكونه القائد العام والاعلى بحسب الانظمة والقوانين العسكرية. والثاني: كونه امام معصوم منصب من قبل السماء مفترض الطاعة مخالفته مخالفة للشريعة ولله.

سابعاً: مراجعة تراث المؤرخين القدامى

عندما نرجع الى مؤرخينا وهم ما قبل ابى الفرج الاصفهاني، من قبيل إبراهيم ابن محمد الكوفي المتوفي في القرن الثالث ٢٨٣هـ السائر على خط اهل البيت عليهم السلام وهو اقرب زمانا وأيضا مكانا؛ لأنه من أهالي الكوفة، (نعم في أواخر عمره اضطرته السلطات بعد المضايقات الى الهجرة نحو مدينة اصفهان لتبليغ علوم أهل البيت عليهم السلام).

فحين نرجع الى كتابه الغارات نجده عندما يستعرض هذه الحادثة والجزئية لم يذكر أن معاوية أر سل أموالاً وأنسل ابن عباس في الليل أو غير ذلك. بل

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٣/ ص٣٩.

قال: (ثم إن معاوية لما أقبل على الحسن بن علي عليهما السلام وصالحه، عبيد الله بن العباس بمسكن ودخل في طاعة معاوية فأكرمه معاوية وأدناه وأوفى له بصلحه وما ضمن له[1]. وهنا يعطي ربط بين الصلح وطاعة ابن عباس للقائد العام وهو الامام عليه السلام، ولم يذكر أن هناك دسائس وخيانة أو غير ذلك.

ثامناً: مواقف عبيد الله بن عباس الإيمانية

سيرة عبيد الله ابن العباس وقربه من الامام عليه السلام ومشاركته في الحروب مع النبي صلى الله عليه وآله، ومع الامام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان واليه فى مكة في اول الامر كما يشير النص الاتي ثم جعله الامام والياً على اليمن، فحياته حافلة بالجهاد. وهناك مدح لهذه الاسرة، وانه دفع ضريبة حيث قدم ابنيه وفلذة كبديه الإثنين شهداء، كما اتفق عليه المؤرخون، أن بسر ابن ارطأة أو أبي ارطأة عندما دخل مكة ثم المدينة ثم اليمن وقتل ثلاثين ألفاً من شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رأى صبيين كأنهما أقمار فأمر بهما وسألهما، قالا: نحن أبناء عبيد الله ابن العباس، فأمر بذبحهما؟، فكيف يخون لمن قتل ولده واضطهده، فهذا مما لا يقبل بكل الموازين حتى من الجانب العقلي أو القبلي.

تاسعاً: موقف عبيدالله بن العباس من معاوية

يكشف لنا التاريخ والمحدثون بروايات مسندة أنّ عبيدالله ابن عباس واجد على معاوية ومن معه الى آخر حياته فيتربص بهم الفرص والدواهي

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٣/ ص٣٩.

بدوافع ايمانية في مخالفة نهجه القويم. فكيف نفرض مداهنته لمعاوية وخيانته لامامه عليه السلام لذلك روى المفيد في أماليه باسناده، ونفس الرواية نقلها تلميذه الطوسي، (ولا يخفى أن الامالي مسندا الى عصر الواقعة) قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال: أخبرنا الحسن بنعبد الكريم الزعفراني قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثنا جعفر بن محمد الوراق قال: حدثنا عبد الله بن الأزرق الشيباني قال: حدثنا أبو الجحاف، عن معاوية بن ثعلبة قال: لما استوثق الأمر لمعاوية بن أبي سفيان أنفذ بسر بن أرطاة إلى الحجاز في طلب شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان على مكة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فطلبه فلم يقدر عليه، فأخبر أن له ولدين صبيين، فبحث عنهما فوجدهما وأخذهما فأخرجهما من الموضع الذي كانا فيه، ولهما ذؤابتان كأنهما درتان، فأمر بذبحهما، وبلغ أمهما الخبر، فكادت نفسها تخرج، ثم أنشأت تقول:

هما من أحس بنيي اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هما من أحس بنيي اللذين هما ... سمعي وعيني فقلبي اليوم مختطف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أضحت على ودجي طفلي مرهفة ... مشحوذة وكذاك الظلم والسرف
من دل والهة عبرى مفجعة ... على صبيين فاتا إذ مضى السلف

قال: ثم اجتمع عبيد الله بن العباس من بعد وبسر بن أرطاة عند معاوية، فقال معاوية لعبيد الله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيين؟ فقال بسر: نعم، أنا قاتلهما فمه؟ فقال عبيد الله: لو أن لي سيفا! قال بسر: فهاك سيفي وأومأ بيده إلى

سيفه فزبره معاوية وانتهره وقال: أف لك من شيخ، ما أحمقك؟ تعمد إلى رجل قد قتلت ابنيه، تعطيه سيفك؟ كأنك لا تعرف أكباد بني هاشم؟ والله لو دفعته إليه لبدأ بك وثنى بي. فقال عبيد الله: بل والله كنت أبدأ بك ثم أثني به[1].

فهذه الرواية تعطي صورة جهادية الى عبيد الله بن العباس وبعد ايماني في مواجهة ومخالفة اعداء اهل البيت عليهم السلام، وفي نفس الوقت تكون شاهدا على عدم مداهنته لمعاوية واصحابه بل يكن له العداء والبغض لما حصل منه من التجاوز على حقوق اهل البيت عليهم السلام.

عاشراً: خلو الذم والاتهام لابن عباس في لسان أهل البيت عليهم السلام

لم تُذكر هذه الخيانة على لسان أهل البيت عليهم السلام، ولم يوجد هناك ثمة نص في ذمه والنيل منه، حتى ولو كان مرسلا او ضعيفا، ولو كانت لوجدنا لها أثر وذم لابن عباس من قبل معصوم بينما لم نجد لذلك أي أثر اطلاقا، فكيف نرتب أثر على ذلك ونلصق تهمة كبيرة في شخصية جاهدت بين يدي النبى، واهل بيته عليهم السلام وضحت بالغالي والنفيس على ترهات نقلت من اناس غير معصومين بل وغير عادلين. وحتى كلام الامام الحسن عليه السلام في صلحه في كل خطبه لم يشر الى ان قائد جيشه عبيد الله بن عباس قد خان، ولذلك حينما ذكر الصدوق في علله عن الامام الحسن عليه السلام في بيان علة صلحه لمعاوية لم يشر الى وجود خيانة او ما شابه ذلك اطلاقا. حيث قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن موسى بن داود الدقاق قال حدثنا الحسن بن أحمد

(١) الامالي، الشيخ المفيد. ص٣٠٥. امالي الشيخ الطوسي، ص٧٧.

بن الليث قال: حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا أبو العلا الخفاف، عن أبي سعيد عقيصا قال قلت للحسن بن علي بن أبي طالب يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وان معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماما عليهم أبى عليه السلام؟ قلت بلى قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت بلى قال فانا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضى هكذا أنا، سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل[1].

فذكر الامام البعد العقدي، وان الامام عليه السلام يتحرك عن حكمة وعلم ودراية، وليس لاحد ان يجتهد مقابل النص، ولذلك قبل الصلح ضمن رؤية مسددة. كما قد ذكر المؤرخون انه ارسل على عبد الله بن جعفر، وعلى الامام الحسين عليه السلام واخبرهم في عزمه على صلح معاوية كما جاء في تأريخ ابن عساكر وغيره قال: «قال ابن جعفر والله أني لجالس عند الحسن إذا أخذت لاقوم

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١ / ص٢١١.

فجذب ثوبي وقال يا هناه اجلس فجلست قال أني قد رأيت رأيا واني أحب أن تتابعني عليه قال قلت ما هو قال رأيت أن اعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت فيها الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج يعني الثغور فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد خيرا فأنا معك على هذا الحديث»[1]. وايضا أرسل على اخيه الامام الحسين عليه السلام وقال له نفس الكلام فقال الامام الحسين عليه السلام: (أَنْتَ أَكْبَرُ وُلْدِ عَلِيٍّ، وَأَنْتَ خَليفَتُهُ، وَأَمْرُنا لِأَمْرِكَ تَبَعٌ فَافْعَلْ ما بَدا لَكَ)[2]. ونحن لا نريد ان نخرج من هذه الجزئية ونتكلم عن صلح الامام الحسن عليه السلام فانه كان انتصارا عظيما على خصمه، فلا يخفى على ادنى مطلع للتاريخ ان الأمور السياسية والميدانية أصبحت غير مؤاتية ومستوثقة لأهل البيت عليهم السلام بل كانت بصالح معاوية بن ابي سفيان حتى في زمن الامام عليه السلام، كما يحدث التاريخ، وايضا يستفاد من اقوال الامام امير المؤمنين عليه السلام وخطبه حيث ان اغلب الولايات الاسلامية سقطت بيد الامويين، فان بسر ابن ارطأة في عصر الامام احتل وغزا مكة ثم المدينة ثم اليمن ومن قبل كل ذلك مصر واخذ فيها البيعة لمعاوية فلم يبقى غير الكوفة والبصرة، مع ان هناك أناس كثر كانت تتعاطف مع معاوية، وكيف كان هناك دوافع لصلح الامام ذكر الامام عليه السلام بعضها. ولكن المراد هو ان هذه التهمة التي لصقت بعبيد الله ابن العباس بعد كل هذه التضحيات والجهود لم يكن لها أساس او مصدر، بل كل المعطيات والمؤشرات تشير الى خلاف ذلك.

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٣ ص٢٦٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٢ ص٣٦٠. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٣ ص٢٦٧.

وليت شعري هل توقف نصر جيش الامام الحسن عليه السلام على قيادة عبيد الله بن العباس وعقمت الامهات من ولادة القيادات؟ وهناك من هم أفضل منه في صفوف جيش الامام الحسن عليه السلام امثال الامام الحسين عليه السلام وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عباس وعقيل بن ابي طالب وغيرهم.

ما قاله علماء الرجال في عبيد الله بن العباس

لم يقدح احد بابن عباس من علماء الرجال في مثلبة غير هذه التهمة التي الصقت به وقد انعكس تاثيرها ولم يصرحوا بوثاقته ويكتفون بانه لحق بمعاوية بسبب اغراءه بدراهم وغير ذلك، واول من اسس لانتشار هذه التهمة في اوساط علماء الرجال هو معاصر لابي الفرج الاصفهاني، محمد بن عمر الكشي، حيث نقل عن ابن شاذان كما جاء في اختيار الطوسي في ترجمة عبيد الله بن عباس حيث قال: «ذكر الفضل بن شاذان في بعض كتبه: ان الحسن لما قتل أبوه عليه السلام خرج في شوال من الكوفة إلى قتال معاوية، فالتقوا بعسكر وحاربه ستة أشهر، وكان الحسن عليه السلام جعل ابن عمه عبيد الله بن العباس على مقدمته، فبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم فمر بالراية ولحق بمعاوية وبقي العسكر بلا قائد ولا رئيس. فقام قيس بن سعد بن عبادة فخطب الناس وقال: أيها الناس لا يهولنكم ذهاب عبيد الله هذا لكذا وكذا، فان هذا وأباه لم يأتيا قط بخير، وقام بأمر الناس. ووثب أهل عسكر الحسن عليه السلام بالحسن في شهر ربيع الأول فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته، فردوه جريحا إلى المدائن حتى تحصن فيها عند عم المختارين أبي عبيدة»[1].

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، ج١ ص٣٣٠.

المناقشة

قبل ان ندخل في مناقشة كتاب الكشي الذي املاه الشيخ الطوسي ﵀ على طلبته والذي يسمى اختيار معرفة الرجال كما تقدم، نشير الى جملة من النقاط التي تبين المفارقة وعدم صحة ما نقل في هذا الكتاب.

اولا: النص مرسل بكل جوانبه ولم يحظ بسند لا من الكشي ولا من ابن شاذان الذي نقل عنه الكشي، وانما اطلق الكلام على عنانه وهو ان الكشي سمع ابن شاذان يقول كذا وكذا...

ثانياً: لم يرد هذا النص من معصوم ولو كان مرسلا او مقطوعا او مجهولا او غير ذلك وانما هو كلام نقله الكشي عن ابن شاذان يقول كذا، ولم يذكر ان ابن شاذان نقل عن المعصوم وانما القول راجع له. هذا اذا سلمنا ان ابن شاذان قد قال هذا القول في حق عبيدالله بن العباس.

ثالثاً: لو سلمنا ان ابن شاذان قال هذا الكلام بحق عبيد الله بن عباس ومن دون اسنادها الى معصوم ﵇، فالفترة الزمنية الحاصلة بين ابي الفضل محمد ابن شاذان المتوفى سنة (٢٦٠هـ) وبين الحادثة الواقعة في صلح الامام الحسن ﵇ الواقعة سنة (٤٠هـ) ما يقارب مائتي سنة وهي فترة زمنية طويلة لم تكن معاصرة لها او قريبة منها.

رابعاً: البعد المكاني بين ابن شاذان وبين محل وقوع الحدث في صلح الامام الحسن ﵇ ايضا بعيد فلم يكن ابن شاذان من سكنة الكوفة حتى نقول ربما سمع من الاحفاد او ممن كان معاصر لها او قريب منها، بل الرجل كان من سكنة نيسابور القريب من طوس، كما له معلم الآن، ويقال انه ورد بغداد فترة

من الزمن، وربما الكوفة ولكن لم يكن من سكنتها ويصعب حصول معلومات عن حياته كما ذكر المترجمون.

خامساً: المعاصرون لابن شاذان والمختصون في هذا المجال من نقل الاحداث التأريخية وغيرها، والذين هم من سكنة الكوفة لم يذكروا هذا الكلام من لحوق ابن عباس بمعاوية وما شاكله، امثال ابراهيم بن محمد الكوفي المتوفى سنة (٢٨٣هـ) وغيره.

سادساً: المعاصرون ايضا لمحمد بن عمر الكشي المتوفى في نصف القرن الرابع سنة (٣٥٠هـ او ٣٨٢هـ) لم يذكروا ما ذكره الكشي من اتهام عبيدالله بن عباس، امثال الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ﵀ المتوفى في القرن الرابع سنة (٣٢٩هـ) وغيره.

سابعاً: يحتمل تأثير الكشي او الطوسي ﵀ بمؤسس هذا الاتهام والمروج له وهو ابو الفرج الاصفهاني المعاصر لهم، بل المتقدم عليهم لاسيما على الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ﵀ المتوفى في النصف الثاني من القرن الخامس سنة (٤٦٠هـ).

اقوال العلماء في تضعيف كتاب رجال الكشي

أضف إلى كل ذلك تصريح العلماء مدى القرون بعدم اعتمادهم على رجال الكشي وتضعيفهم لهذا الكتاب كما يلي:

قال النجاشي بترجمة الكشي من رجاله: الكشي أبو عمرو كان ثقة عينا. وروى عن الضعفاء كثيرا، وصحب العياشي وأخذ عنه وتخرج عليه، له كتاب

الرجال كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة[1].

وقد جاء في منتهى المقال واصفا كتاب الكشي: أقول: ذكر جملة من مشايخنا أنّ كتاب رجاله المذكور كان جامعاً لرواة العامّة والخاصّة خالطاً بعضهم ببعض، فعمد إليه شيخ الطائفة طاب مضجعه فلخّصه وأسقط منه الفضلات وسمّاه باختيار الرجال، والموجود في هذه الأزمان بل وزمان العلَّامة وما قاربه إنّما هو اختيار الشيخ لا الكشّي[2]..

ونقل عن صاحب قاموس الرجال: وأما رجال الكشي فلم تصل نسخته صحيحة إلى أحد حتى الشيخ والنجاشي وتصحيفاته أكثر من أن تحصى وإنما السالم منه معدود... (الى ان يقول) وقد تصدينا فيما سوى ذلك في كل ترجمة على تحريفاته، بل قل ما تسلم رواية من رواياته عن التصحيف، بل وقع في كثير من عناوينه، بل وقع فيه خلط اخبار ترجمة باخبار ترجمة أخرى، وخلط طبقة بأخرى... ثمّ ان الشيخ اختار مقداراً منه مع ما فيه من الخلط والتصحيف... وبعد ما قلنا من وقوع التحريفات في أصل الكشي بتلك المرتبة لا يمكن الاعتماد على ما فيه إذا لم تقم قرينة على صحة ما فيه... ثمّ أنه حدث في الاختيار من الكشي أيضاً تحريفات غير ما كان في أصله، فإنه شأن كل كتاب، إلا أنها لم تكن بقدر الأصل ولذا ترى نسخ الاختيار أيضاً مختلفة... الخ[3].

---

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة، النجاشي، ص٣٧٢. وتبعه جمع كثير: امثال ابن داوود الحلي في رجاله، والتفرشي، في نقد رجاله، والسيد الخوئي في معجمه، وغيرهم كثير.

(٢) منتهى المقال في أحوال الرجال، الشيخ محمد بن اسماعيل المازندراني، ج٦ ص١٤٤.

(٣) قواعد الحديث، محيي الدين الموسوي الغريفي، ص٥١. عبدالله بن سبأ، السيد مرتضى العسكري، ج٢ ص١٧٩.

الخاتمة

بعد دراسة هذه الجزئية التي الصقها التأريخ بحق عبيد الله بن عباس بتهمة خيانته لإمامه الحسن عليه السلام من كل جوانبها والوقوف على ابعادها ومحاكمة نصوصها بالادلة العلمية والدراسة الموضوعية تحصل لدينا ما يلي:

اولاً: ان ما تناقله التاريخ من خيانة عبيد الله بن عباس ليس إلا فرية محضة اوجدها البعض بقصد او من دون قصد وسار عليها الكثير حتى تحولت الى حقيقة واقعية، ودخلت تحت مضمون القاعدة المشهورة، رب مشهور لا أصل له.

ثانياً: لم تذكر هذه التهمة على لسان معصوم سواء في عصر الحادثة ام بعدها، مع ما لها من الاهمية الكبرى في انهيار البنية العسكرية لجيش الامام الحسن عليه السلام كما يصور البعض.

ثالثاً: لم يكن رواج لهذه الفرية في القرون الثلاثة المتقدمة سواء من الصحابة ام من التابعين من اهل الاختصاص في التاريخ والسير ولو كان لبان واستشرى.

رابعاً: رواة هذه الفرية من المدرسة المخالفة للمذهب الاثني عشري ولهم ترهات كثيرة في تواريخهم تخالف الضوابط والاسس التي قام عليها المذهب الحق، بل السلوكيات التي سار عليها المؤمنون ولو كان لزوما الاخذ بكلامهم هنا للزم الاخذ بغير هذا الموضع ايضا لوحدة المناط وبحسب ما يقوله المنطق؛ حكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد.

خامساً: بعد الدراسة لهذه الجزئية وتطبيق المنهجية العلمية لكيفية قراءة التأريخ اتضح لدينا ان عبيد الله بن عباس ضرب اروع مصاديق الطاعة لامامه وقائده الحسن عليه السلام، والتزم بكل اوامره مع ما هو متوقع من آثار ردة فعل القوم في التسليم لمعاوية ومصالحته، كما حصلت اثار ذلك للامام نفسه عليه السلام.

المبحث السابع

ويطعمون الطعام
(ثلاثة أيام بلياليها من دون طعام؟)

تمهيد

نقف مرة اخرى لنصطدم مع اشكالية افتعلها التاريخ البليد وعشعشت في ربوع اذهان المؤمنين حتى تسرت الى مكامن وقرائح كثير من العلماء وتحولت الى سيناريو واقعي مسلم. واخذت الاقلام والانظار تؤل له وتدافع عنه، بل ربما اصبح المساس به يعد انتهاك للاعراف العلمية والمسلمات الدينية وان كنت محقا ومنتهجا للدليل العلمي الموضوعي كما هو الحال في كثير من المواضيع؛ لكونها اصبحت من الموروثات الدينية العقدية التي تعاقبت عليها الاجيال وترعرت على سماعها الاذهان، وهذا ما تعاني منه الحركة العلمية والتوعوية كما عانا منها الانبياء عليهم السلام اشدّ العناء حيث واجهوا في حركاتهم الاصلاحية والتبليغية المنطبقة مع نظام الفطرة والعقل، الاعراف من المواريث الباطلة الفاسدة وقد اسهب القرآن الكريم عن مدى هذه المعانات بعدد من الايات سواء في تاريخ خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله ام القبله من الانبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا الفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. وهذا السلوك مما يؤدي الى تعطيل الحركة العلمية التوعوية والتصحوية ويزيد في مواطن الجهل والامية، فمن الضروري فتح الافاق للعقول ان تاخذ دورها ضمن الضوابط العلمية لتصل بالامة الى سواحل الخير والرفاه، من دون جعل الخطوط الحمراء التي ما انزل الله بها من سلطان ولم تكن في جذورها محقة وواقعة في اصلها كل ما هنالك فعلت في الاذهان وتكررت على الالسن واصبحت من مصاديق رب مشهور لا اصل له.

ومن المسائل التي اخذت بعدا في اروقة التاريخ والحديث وتحولت الى موروث مسلم وقرآن نازل مسألة صيام الامام امير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام وابنيها الصغار الحسن والحسين عليهما السلام والسيدة فضة حيث ذكروا كما سيأتي ان شاء الله مفصلا، انهم صاموا ثلاثة ايام الى اليوم الرابع لم يدخل في جوفهم غير الماء؛ لانهم كانوا يؤثرون بما عندهم لغيرهم، كما سنذكره ان شاء الله ويكون محور بحثنا بعون الله. فنضع هذه في بوصلة العدالة العلمية الموضوعية لنرى هل لهذا الحدث التأريخي واقع مسلم ضمن الضوابط البحثية العلمية ام انه اخذ شهرة من لا شيء واصبح مسلما في الاذهان؟

من اسباب الافتعالات التاريخية

عادة ما يكون من دور التأريخ هو ذكر الحوادث التأريخية كبيرة كانت ام صغيرة عسكرية ام غيرها وهو ما يعتمد بالدرجة الاولى على مؤرخين وناقلين للاحداث وهؤلاء يختلفون من الناحية الكيفية والكمية ومنهم من يكون

معاصرا للحدث زمانا أو مكانا ومنهم خلاف ذلك وتبقى الاجيال اللاحقة او البعيدة عن مواقع الاحدث عيال عليهم وما يغذونه اياهم فالمحنك واللبيب يطلب التحري والدليل والاكثر ممن يأخذه على ظاهره ويتناقله ليتحول الى حقائق. من هنا تدخلت السياسات والاحزاب والقوميات لتجير ذلك بما ينطبق مع اهدافها وابعادها واخذت تؤرخ بما ينفع مصالحها كما هو الحال في عصرنا الراهن مع ما يحتويه من تقنية ومصادر توثيق لا نظير لها مع كل ذلك يصعب علينا الوقوف على الحقيقة، فناهيك عن العصور المتقدمة في صدر الاسلام وما اعتراه من صراع مذهبي وسياسي مع كل ذلك تنقصه ادنى مقومات التوثيق حيث يصعب على المؤرخ والمدون ابسط امكانيات الكتابة من قبيل القرطاس والدوات ليضع ما سمعه ورآه للاجيال والامم. وعليه ان الاحداث تنقل من قبل اشخاص اما بعيدون عن الحدث زمانا او مكانا او لم يرو الحقيقة او يدونون افكارا تجول في خاطرهم وخيالهم يظنون انه الواقع، او هناك تحكم من جهات خارجية مدفوعة الثمن لاغراض سياسية ام غيرها، ولذلك قلما نجد حدث من الاحداث تجتمع عليه انظار المؤرخين او المحدثين بل تختلف فيه النقول وتتباين فيه الانظار، وهذا ما نجده حتى في نقل اساب النزول للايات او فهم بعض المسائل القرآنية التي تتحدث في ظاهرها عن وقائع تأريخية حيث نجد نقولات كثيرة من ذلك ما نحن بصدده في بحثنا حيث كان المنشأ في ذكر هذا النص التأريخي بعض الايات الواردة في ذكر بعض الاحداث التأريخية فتعددت فيها النقول وفعل احداهما من دون تحري وبحث وتحقيق واهمل الباقي وهذا له مصاديق كثيرة سواء منشأه آي الذكر الحكيم ام غيره من الاحداث التاريخية الكلية ام الجزئية.

الاختلاف في سبب نزول سورة الانسان

ذكر المفسرون وغيرهم في سبب نزول سورة الدهر لا سيما في الآيات الاوائل منها عدة سيناريوهات متقاربة في اصلها بعضها متشعبة في مضمونها حتى عدها البعض الى أكثر من عشرين موردا حيث قال: ما روته العامة والخاصة بروايات كثيرة تنيف على عشرين في سبب نزول سورة هل أتى[1].

وأول ما ذكرها من المفسيرين الطبرسي في سفره مجمع البيان حيث قال: جملتها أنهم قالوا: مرض الحسن والحسين عليهما السلام، فعادهما جدهما صلى الله عليه وآله، ووجوه العرب وقالوا: يا أبا الحسن! لو نذرت على ولديك نذرا. فنذر صوم ثلاثة أيام، إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك. وكذلك فضة فبرءا وليس عندهم شئ، فاستقرض علي عليه السلام! ثلاثة أصوع من شعير من يهودي، وروي أنه أخذها ليغزل له صوفا، وجاء به إلى فاطمة عليها السلام، فطحنت صاعا منها، فاختبزته، وصلى علي المغرب، وقربته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم، وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثاني، أخذت صاعا فطحنته وخبزته، وقدمته إلى علي عليه السلام فإذا يتيم في الباب يستطعم، فأعطوه، ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي، فطحنته واختبزته، وقدمته إلى علي عليه السلام، فإذا أسير بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الرابع، وقد قضوا نذورهم، أتى علي عليه السلام، ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، وبهما ضعف، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل جبرائيل بسورة ﴿**هل أتى**﴾[2].

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج٩ ص٣٨٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١٠ ص٢١٠

وفي رواية عطاء عن أبن عباس أن علي بن أبي طالب عليه السلام أجر نفسه ليستقي نخلا بشئ من شعير ليلة، حتى أصبح. فلما أصبح وقبض الشعير، طحن ثلثه، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، يقال له الحريرة. فلما تم إنضاجه، أتى مسكين، فأخرجوا إليه الطعام. ثم عمل الثلث الثاني. فلما تم إنضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الثالث، فلما تم إنضاجه، أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك[1].

وذكر علي بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمة شعير، فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم، جاء مسكين فقال المسكين: رحمكم الله فقام علي فأعطاه ثلثها. فلم يلبث أن جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم الله. فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث. ثم جاء أسير فقال الأسير: رحمكم الله. فأعطاه علي عليه السلام الثلث الباقي، وما ذاقوها.

فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم، وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل، وفي هذا دلالة على أن السورة مدنية[2]. هذا ما نقله جملة من المفسرين والرواية الاولى بدأت عند المفسيرين من القرن السادس حيث اول من ذكرها الشيخ الطبرسي في تفسيره كما تقدم ومن ثم نقلها جملة من المفسرين بعده اما المفسرون السابقون عليه لم يذكروها امثال الشيخ الطوسي والقمي وغيرهما بل حتى المخالفين.

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١٠ ص٢١٠. اسباب نزول الايات، الواحدي النيسابوري، ص٢٩٦.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١٠ ص٢١٠. تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج٢ ص٣٩٨

الرواية عند المحدثين

ذكر الشيخ الصدوق في اماليه باسهاب وتطويل رواية نذر الامام امير المؤمنين عليه السلام مع الزهراء وابنيهما عليهم السلام وجاريتهم وجعلها في طريقين الاول عن ابن عباس والثاني عن الامام الصادق عليه السلام في رواية واحدة كما سنذكرها نصا ان شاء الله ثم نذهب الى تمحيص اصلها وبيان ان سندها الثاني الذي سيتضح أنّه اجنبي عنها. بل هي كما عند المحدثين القداما بنصها عن ابن عباس فقط.

قال الصدوق: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيي الجلودي البصري، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا شعيب بن واقد، قال: حدثنا القاسم بن بهرام عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس. وحدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا الحسن بن مهران، قال: حدثنا سلمة بن خالد، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿**يوفون بالنذر**﴾، قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنيك نذرا إن الله عافاهما. فقال: أصوم ثلاثة أيام شكرا لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام، وقال الصبيان: ونحن أيضا نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام. فانطلق علي عليه السلام إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم. فأعطاه فجاء بالصوف والشعير، وأخبر فاطمة عليها السلام فقبلت

وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعا من الشعير، فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب، ثم أتى منزله، فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا مسكين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة. فوضع اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين

أما ترين البائس المسكين ... جاء إلى الباب له حنين

يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائعا حزين

كل امرئ بكسبه رهين ... من يفعل الخير يقف سمين

موعده في جنة رحيم ... حرمها الله على الضنين

وصاحب البخل يقف حزين ... تهوي به النار إلى سجين

شرابه الحميم والغسلين

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة ... ما بي من لؤم ولا وضاعة

غذيت باللب وبالبراعة ... أرجو إذا أشبعت من مجاعة

أن ألحق الأخيار والجماعة ... وأدخل الجنة في شفاعة

وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعا، وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح. ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته، وخبزت منه

خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم أتى منزله، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا يتيم من يتامى المسلمين، قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة. فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم ... بنت نبي ليس بالزنيم
قد جاءنا الله بذا اليتيم ... من يرحم اليوم فهو رحيم
موعده في جنة النعيم ... حرمها الله على اللئيم
وصاحب البخل يقف ذميم ... تهوي به النار إلى الجحيم

شرابها الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول:

فسوف أعطيه ولا أبالي ... وأؤثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهم أشبالي ... أصغرهما يقتل في القتال
بكربلاء يقتل باغتيال ... لقاتليه الويل مع وبال
يهوي في النار إلى سفال ... كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياما، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان، وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا أسير من أسراء

المشركين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا! فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد ... بنت النبي سيد مسود
قد جاءك الأسير ليس يهتد ... مكبلا في غله مقيد
يشكو إلينا الجوع قد تقدد ... من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ... ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأعطني لا تجعليه ينكد

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع ... قد دبرت كفي معه الذراع
شبلاي والله هما جياع ... يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع ... عبل الذراعين طويل الباع
وما على رأسي من قناع ... إلا عبا نسجتها بصاع

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه، وباتوا جياعا، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شئ.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن، شد ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة. فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ضمها إليه وقال: وا غوثاه بالله، أنتم منذ ثلاث فيما أرى! فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك. قال:

وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ هٰذا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوْراً﴾.

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم، ثم انكب عليهم يبكي ويقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى، وأنا غافل عنكم! فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآيات... الخ[1].

لم يختلف المحدثون عما نقله المفسرون في خصوص هذا النص في الجملة نعم المحدثون اسهبوا في النقل بخلاف ما رواه الطبرسي في تفسيرة ومن حذا حذوه. وكيف كان ان هذا النص في اروقة المحدثين جذوره ممتدة الى قريب عصر المعصوم عليه السلام بل معاصر له كما سنذكره ان شاء الله بخلاف المفسرين حيث ظهر عندهم في القرن السادس الهجري عن طريق الشيخ الطبرسي في تفسيره.

مناقشة سند الرواية

الخطوة الاولى في مناقشة هذه الرواية بالموازين البحثية العلمية ملاحظة سندها وجذور رواتها ومدى انتمائها الى المعصوم عليه السلام، وعليه أنّ الملاحظ هنا أمران. الأول: متابعة رجال رواتها من التوثيق وعدمه. والثاني وهو الأهم: هل أنها صادرة من المعصوم عليه السلام أم من غيره. فالنص الذي يحظى بأهمية واعتناء فيما لو كان صادراً من أهل بيت العترة والطهارة عليهم السلام بخلاف ما لو كان صادراً من غيرهم.

(١) الامالي، الشيخ الصدوق، ص٣٣١

ملاحظات على رجال الرواية

الوحيد الذي ذكر الرواية بطريقين ضمن متن واحد هو الشيخ الصدوق ﵀ مع ان العلماء من المحدثين والمفسرين السابقين عليه واللاحقين في نقولاتهم لها بطريق ابن عباس من دون ذكر طريق للامام الصادق ﵇ مما يعطي انطباعاً أنّ هذا الطريق الثاني اجنبي اما حصل فيه تصحيف من قبل النساخ او غير ذلك. **هذا أولاً**.

وثانياً: نلاحظ من خلال المتن يرجع الكلام الى رجال الطريق الاول من دون ذكر للطريق الثاني من قبيل قوله المتقدم في ذيلها (... قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين ﵇ نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفراخ...) ولا يخفى أنّ شعيبا من طريق رواية ابن عباس. نعم الحسن ابن مهران ربما كان ناقلاً لهذه الرواية بالطريق المؤدي لابن عباس كما جاء في البحار حيث قال: قال أبو الحسن بن مهران: وحدثني محمد بن زكريا البصري عن شعيب بن واقد المزني، عن القاسم بن مهران، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس مثل ما مر إلى قوله: ثم هبط جبرئيل بهذه الآيات[1]. والجدير بالذكر ان العلامة المجلسي ذكر طرقاً متعددة لهذه الرواية كلها مؤدية لمجاهد وابن عباس.

وثالثاً: طريقان ممزوجان على متن واحد من دون توضيح وفصل بينهما مما يوهم على القارئ في معرفة جذور الرواية خصوصاً مع حكايتها بعبائر ومضمون واحد.

---

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٣٥ ص٢٤٩

رابعاً: تقديم الطريق العامي على الطريق المؤدي لأهل البيت عليهم السلام مما يثير الشك في كونها صادرة منهم عليهم السلام، ولو كان النقل عن أهل البيت عليهم السلام لهذه الرواية ثابت عند الشيخ لقدمه أو أفرده بل ربما استغنى عن الطريق الآخر.

خامساً: مع كل ذلك لو سلمنا جدلاً بوجود هكذا نص بهذا الطريق الغريب فهو يتصف بالضعف ضمن موازين علم الرجال حيث طريقه يعتمد على مجاهيل بدءً بمشيخة الصدوق رحمه الله حيث نقل عن شيخه المسمى محمد بن ابراهيم بن اسحاق وهو ينطبق على شخصين الاول يلقب بالطالقاني لم تثبت وثاقته. والثاني بالفارسي ايضاً مجهول كما ورد عن بعض المختصين بقوله: محمد بن إبراهيم بن إسحاق: الطالقاني من مشايخ الصدوق شيعي حسن العقيدة، روى عنه الصدوق في كتبه كثيرا وكناه في بعضها بابي العباس وفي بعضها وصفه بالمؤدب تارة وبالمكتب أخرى، ـ لم تثبت وثاقة ـ روى في مشيخة الفقيه. والثاني قال عنه: محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي: الغرائمي أبو الحسين من مشايخ الصدوق، التوحيد ـ مجهول ـ[1]. واما الحسن بن مهران الأصبهاني فهو مجهول وضعيف كما جاء عنه بقوله: لم يذكروه. وقع في طريق الصدوق[2]. وربما المراد الحسين بن مهران فهو واقفي ضعيف. كما جاء في رجال الغضائري قال: الحُسَيْنُ بنُ مِهْران بن مُحَمَّد بن أبي نَصْر، أَبُو عَبْدِ الله. واقِفٌ ضَعِيْفٌ[3]. وايضاً سلمة بن خالد الكوفي (من أصحاب الصادق عليه السلام ـ مجهول)[4].

(١) المفيد في معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، ص٤٨٣

(٢) مستدركات علم رجال علم الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٣ ص٣٦

(٣) رجال ابن الغضائري، احمد ابن الحسين العضائري، ص٥١

(٤) المفيد في معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، ص٣٦٠

جذور الرواية من غير أهل البيت عليهم السلام

عند ملاحظة التراث العام عند الفريقين وايضا في بوتقة المفسرين أو المحدثين لم نجد أن هذه الرواية في جذورها صادرة عن لسان المعصوم عليه السلام البتة بل هي صادرة من غيرهم عليهم السلام كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

جذور الرواية عند المفسرين

المتفق عليه عند العلماء من المفسرين وغيرهم بل حتى علماء الفقه وهم احرص في نقل الرواية وملاحظة سندها، ان هذه النص وارد عن ابن عباس أو غيره ولم يكن عن المعصوم عليه السلام كما هو الحال في النص اما حشّر واقحام سند للمعصوم عليه السلام في هذا النص مع سند ابن عباس من العجائب والغرائب، ولذلك عندما ينقل المفسرون المعاصرون وغيرهم يرجعوه الى ابن عباس، مثلا قال بعض الاساطين المعاصرين في تفسيره قال: (قال ابن عباس: إن الحسن والحسين مرضا فعادهما الرسول صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما... الخ[1]. مع انّه من من الفقهاء والمدافعين بقوة عن اثبات هذا النص ومن المتصدين لتفنيد كل الاقوال التي تمس به ولكن لم نجده يعتمد على كونه نص من المعصوم عليه السلام بل لم يذكر لذلك اثرا او يتخذه دليلا ولو كان ثابتا لكان افضل عون له.

وايضا من اساطين الفقهاء اورده كذلك عن ابن عباس حيث قال: (وروي عن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في

(١) تفسير الامثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١٩ ص٢٥٠.

ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما... الخ)[1]. وغيرهم كثير. نعم بعض المحدثين والتفاسير الروائية ساروا على ظاهر ما نقله الشيخ الصدوق ﵀.

جذور الرواية عند المحدثين

نفس الرواية بأدبياتها والفاظها ذكرها المحدثون السابقون على زمان الشيخ الصدوق ﵀ والمعاصرون للمعصوم ﵇ ومن المقربين لهم لم يذكروها انها واردة عن المعصوم ﵇ بل نقلوها عن ابن عباس كما جاء في كتاب (مناقب الامام امير المؤمنين ﵇) لمؤلفه محمد بن سليمان الكوفي المتوفى سنة ثلاثمائة للهجرة الذي يُعدّ من علماء القرن الثالث الهجري السابق للشيخ الصدوق بعشرات السنين حيث أنّ الشيخ الصدوق المتوفى سنة (٣٨١) هجري يُعد من علماء القرن الرابع. ونذكر هنا نص روايته قال: قال أبو أحمد: وأخبرنا عبد الوهاب بن أحمد البصري عن شعيب بن واقد قال: حدثنا القاسم بن مهران عن الليث بن أبي سليم عن مجاهد: عن ابن عباس قال: مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنيك نذرا إن الله عافاهما. (فـ) قال (علي): إن عافي الله ولدي أصوم ثلاثة أيام شكرا لله. وكذلك قالت فاطمة فقال الصبيان: ونحن نصوم. وكذلك قالت جاريتهم فضة... الخ[2]. فهذا يثبت انّ الرواية عن ابن عباس وليس لها صلة بالمعصوم ﵇ اطلاقا.

---

(١) زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الاردبيلي، ص٤٢٢

(٢) مناقب الامام امير المؤمنين ﵇، محمد بن سليمان الكوفي، ج١ ص١٧٨.

ركاكة الاشعار الواردة في النص

ان الابيات الموجودة في الرواية المنسوبة للامام عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لا تتناسب مع عصمة أهل البيت عليهم السلام حيث انها ركيكة بادبياتها وبلاغتها حيث جعل بعض العلماء ان يعرض وينئى عنها وياخذ بغيرها كما جاء في صحيح السيد العاملي حيث قال: (وإن كنا نرى في بعض أبيات الشعر المذكور خللاً من ناحية الوزن. ومن ناحية العربية أيضاً. لكن سائر النصوص خالية من الشعر المذكور[1]. مما يفيد أنّه قد أعرض عن هذا النص، مع أنّ سائر النصوص لم يكن فيها سند عن الامام عليه السلام.

فتحصل أنّ هذه الأبيات ليست ركيكة في أدبياتها فقط، بل حتى في معانيها، لا سيما في بعض مضامينها مثلاً:

(فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم)

الزنيم كما في اللغة الدعي الذي لا والد معلوم له، او ابن العهيرة[2]. حاشا للامام امير المؤمنين ان يستخدم هذه التعابير بحق النبي صلى الله عليه وآله حتى لو كانت على سبيل السلب.

تحصل ان هذه الرواية بالذات لم تكن صادرة من قبل المعصومين عليهم السلام وانما وردت من طرق غيرنا أو غير المعصوم عليه السلام. وسنقف ان شاء الله في مناقشة المضمون العام في صيامهم ثلاثة ايام بدون طعام ونبيّن الرأي الاصح والمختار.

---

(١) الصحيح في سيرة الامام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج٨ ص١٠٥

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٢٧٧.

أسباب تفعيل النص

بعد ما ثبت ان هذا النص المُفَعّل والمتداول في الألسن لم يكن من مصادرنا الواردة عن المعصومين عليهم السلام، مع وجود النصوص الواردة عنهم عليهم السلام بهذا الشأن بما ينسجم مع العقل والفطرة والموازين العلمية والشرعية، فلماذا فعل هذا النص دون غيره مع ما فيه من مخالفات مضمونية وسندية وتعارض لكلام اهل العصمة؟ فلا يخفى ان هناك عدة اسباب تجعل كثير من الاحداث مفعلة في الاذهان دون غيرها نذكر أهمها:

الأول: التكريس الاعلامي

تسليط عدسة الاعلام عليه بكل أدواته الخطية واللفظية وتداولها في الالسن والمؤلفات من قبل الخطباء والمروجين والمؤلفين سواء كان عن قصد ام لا، بل ينظر لها من الفضائل دون التأمل في ابعادها، خصوصا اذا تعاقبت عليه العصور وانتشرت في الاذهان والانظار لاسيما الكتب الاكثر رواجا، حيث ان اغلب الناس تتعامل وتؤمن بالتلقي والسماع وحتى الشريحة المثقفة، بل حتى التي تصدت الى نشر المعارف الاسلامية والدينية سواء عبر الكتابات او المحاضرات من دون ان يتحرى فيما وصله او قرأه في الأعم الأغلب لا سيما اذا كان في بعض الكتب المرموقة.

الثاني: التعصب العام

الدفاع عن عموم ما يعتقد به وعدم السماح في ان يفتح ثغرة للمساس بما يؤمن به ولو كان على حساب بعض الاخطاء وهذا ما لاحظناه عند بعض

الاعلام المعاصرين عندما يدافع عن هذا النص ليس بدافع متانته العلمية او بالضوابط الموضوعية وانما بغرض الدفاع عن فضائل أهل البيت عليهم السلام بشكل عام سواء لها واقع أم لا او معارض للروايات الحقة الواردة عن المعصوم عليه السلام ام لا بل حتى مع الغض عن انها في واقعها فضيلة ام لا؟ ونأ خذ مثالا على ذلك حيث جاء عن بعض الاعلام المعاصرين عند ما اجاب على من شكك بسبب نزول هذه السورة بأهل البيت عليهم السلام بهذا المضمون حيث قال: (إن قلنا إن هذه السورة لم ترد في حق علي وفاطمة لم ينزل من قدرهم وشأنهم شيء، لأن اتصافهم بالأبرار أمر واضح للجميع (الى ان يقول...) ماذا يمكن أن يقوله الإنسان في حق هذين العظيمين غير أن عليا عليه السلام أمير المؤمنين ووصي رسول الله، وأن فاطمة بضعة رسول الله، وأنها جزء من الوجود المحمدي، وأن الحسنين روحه وريحانتاه وسيدا شباب أهل الجنة، ولكن لا يعني ذلك ترك الآخرين، ومن يتبع غير هذا فهو ضال.

(وقد رد عليه) ولكننا نقول: إننا إذا ما تغاضينا عن هذه الفضيلة، فإن عاقبة بقية الأحاديث ستكون بنفس المنوال، وربما يحين يوم ينكر فيه البعض جميع فضائل أمير المؤمنين وسيدة النساء والحسنين عليهم السلام[1]. فقد يظهر من هذا ان الدفاع عن حريم مطلق الفضائل من دون النظر الى المصاديق من حيث الانسجام والثبوت مع ان التنازل عن الالتزام بفضيلة ما مع ما فيها من شوائب يعد ثغرة للمساس بكل الفضائل كما هو المفهوم من ظاهر العبارة الواردة عن هذا العالم الجليل. وهذا مما يُعطي قدسية للنص الموروث ويجعله في

(١) تفسير الامثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١٩ ص٢٥٤

حصانة مما يفتح الابواب لانتشاره وترسيخه في أذهان الناس مع ما فيه من مؤاخذات ومخالفات.

عرض الرواية على القرآن

بعد انسداد العلم وغيبة الامام عليه السلام ترك الاسلام لنا مرجعين رئيسيين من خلالهما ننظم امورنا وافكارنا ونرجع اليهما في حال الاختلاف وغيره لتصحيح مسيرتنا العلمية والفكرية والعملية كما في الحديث المشهور المتواتر عند الفريقين بطرق وألسن متعددة، ان الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي)[1]. وخصوصا في مثل حال النصوص والاحاديث الوارد حيث امرنا سبحانه بعرضه على المرجع الاول في حال الغيبة وفقد المرجع الثاني من دون التأثر بالرواسب والافهام الاخرى او ما اشتهر بين الناس او حتى في اوساط العلماء. كما روي عنهم عليهم السلام ما أتاك عنا فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوا به وما خالفه فاطرحوه[2]. فعندما نرجع الى هذا النص لعرضه على القرآن الكريم نجده يخالفه ويعارضه حيث ان كثير من الآيات توصي وتؤكد على التدبير وعدم الاسراف والتبذير بالعطاء الى درجة تجعل نفسك والاسرة في حرج ومشقة كما هو الحال في الحديث اعطاء كل ما عندهم، مع انه ممكن اعطاء بعض الارغفة والاحتفاظ في الباقي لاسيما وهم عليهم السلام صيام ومعهم الحسنان عليهما السلام صبية صغار وتكرر الحال ثلاثة ليالي ما

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص٤٣٤

(٢) الاستبصار، الشيخ الطوسي، ج٣ ص١٥٨

دخل جوفهم إلا الماء؟ فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾. فمن اللازم على الانسان الحفاظ على نفسه وعلى من يعولهم، مع انها من المسائل الفطرية، خصوصا وانّ أهل البيت عليهم السلام القدوة الصالحة والقرءان المتحرك الناطق فكما لا يقبلوها على غيرهم لا تصدر منهم فانهم منهج لغيرهم ليس فقط ترجمان القرآن الكريم.

حرمة التبذير في القربات

ولذلك ذهب أكثر الفقهاء وطبقا للروايات الكثيرة الى ان صرف جميع الاموال في القربات سواء من التجار أو غيرهم يعد اسراف وتبذير واستشهد في الآية السابقة حيث قال: (لو بلغ وصرف أمواله في وجوه الخير كالصدقات وفكّ الرقاب وبناء المساجد والمدارس وأشباه ذلك [فذلك] ممّن لا يليق به ـ كالتاجر وشبهه ـ تبذير (الى أن قال) قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ وهو صريح في النهي عن هذه الأشياء[1]. وقال في موطن آخر (وإنّما ينبغي الصدقة من فاضل مئونة الرجل ومئونة عياله على الدوام، لأنّه تعالى نهى عن التبذير، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ**﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول»[2]. وفي عبارة أخرى يقول: «ولو قصّر في نفقته أو نفقة من يلزمه

(١) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، ج١٤ ص٢٠٨

(٢) منتهى المطلب، العلامة الحلي، ج٨ ص٥٠٣

مئونته أثم بالصدقة، لقول النبيّ ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»[1]. فتحصل ان القصة بهذا المضمون لا توافق مضامين القرآن ناهيك عن الروايات الكثيرة الصحيحة.

القرآن لجميع الخلق

من المسلم والثابت ان القرءان الكريم نزل على نحو القضية الحقيقية وهو هداية ودستور لكل البشر في كل مصر وعصر كما اشارت إليه جملة من الآيات الكريمة منها: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ**﴾. فلو أخذنا بان هذه الآيات نزلت بهذه الواقعة المذكورة وهي اعطاء ما عندهم من الافطار والبقاء ثلاثة أيام جياع فلا تتسنى لغيرهم، بل لا يجوز حيث يعد من الهلاك والاضرار بالنفس والاسرة، لا سيما في حال وجود صبية. وعليه فتكون هذه الآيات خاصة بزمن معين وبافراد خاصين لهم قوة معنوية إلهية وليس لها تطبيق آخر؛ لأنها غير مقدور عليها او تدخل في دائرة الحرج والضيق الشديد. وهذا ما أشار اليه الامام الصادق عليه السلام في الحديث الصحيح عندما اجاب عن نزول هذه الايات كما سياتي ان شاء الله، حيث قال في ذيل جوابه على سبب نزول الايات (... وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عز وجل)[2]. فاذا حصرنا الوارد بهذا المورد فلا يمكن تطبيقة، بل قد يتعذر اما من الناحية التكوينية، وايضا لا يجوز من الناحية

(١) منتهى المطلب، العلامة الحلي، ج٨ ص٥٠٣

(٢) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج٢ ص٣٩٩

الشرعية. حيث يبقى مع اسرته ثلاثة ايام بلياليها من دون طعام ويعطي كل ما عنده للفقراء فهذا غير ممكن بل يصل الى حد الضرر. او من الناحية الشرعية كما تقدم لا يجوز في مثل ذلك فيعد من التبذير أو الاضرار ويدخل في نطاق الاثم ودائرة المحرمات. ويلزم من كل ذلك جمود الآية في عصرها وموتها في موردها وقد تحولت الى قضية خارجية قد تصرمت بانصرام زمانها.

واما المورد لا يخصص الوارد هذا في حال ان المورد قابل لكل الافراد دون غيرها كما هو الحال في أكثر الآيات حيث تنطبق على الافراد المعاصرين ولو بدرجات متفاوتة وايضا تشمل كل من أتى بعدهم وتلبس بها. مثلا ما ورد في زوجات النبي صلى الله عليه وآله، صحيح أن الخطاب موجه لنساء النبي صلى الله عليه وآله هنا في قوله: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...**﴾. ولكن يشمل باقي النساء المؤمنات في كل عصر ومصر وهو ممكن. وهكذا باقي الآيات اما الحديث الوارد أن آيات هل اتى او بعضها نزلت بعدما حصل من اهل الكساء غير النبي صلى الله عليه وآله وخادمتهم الصيام ثلاثة ايام واعطاء كامل افطارهم للفقراء والاكتفاء بالماء فالوارد من هذه الآية ناظر الى هذا المورد ليس الى مطلق الإيثار بل الإيثار الخاص كما تقدم في الرواية: «... وا غوثاه بالله، أنتم منذ ثلاث فيما أرى! فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ**﴾ حتى إذا بلغ ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**﴾.

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم، ثم انكب عليهم يبكي ويقول: أنتم منذ

ثلاث فيما أرى، وأنا غافل عنكم! فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآيات... الخ[1].
ولذلك عندما فسرها الامام الصادق عليه السلام وبين شأن نزولها بشكل قابل ان تنطبق على كل من آثر من دون تعذر وما شابهه وليس خاصة بهذا الفرد المعجز، قال فهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عز وجل، فاصبح مصداقها الأكمل أهل البيت عليهم السلام والباب مفتوح لكل من تلبس بهذا الإيثار. وبقيت الآية عامة لكل البشر. ومن الشواهد ايضا من نفس الآية حيث جاءت مواردها نكرة هنا في قوله: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ لتشير الى عمومية تطبيق واردها على مواردها والتلبس بها، فلم يأتي التعبير بالمسكين واليتيم والأسير بلام المعرفة لتختص بمورها واصحاب عصرها. فتأمل.

مخالفة للمتبنيات

يفهم من ذيل القصة ان النبي صلى الله عليه وآله لم ير ابنته عليها السلام ولا الحسنين عليهما السلام كما جاء (وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم، ثم انكب عليهم يبكي ويقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى، وأنا غافل عنكم! فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآيات... الخ. مع ان التأريخ يحدثنا بعدم مفارقة النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام وايضاً العكس منهم، لاسيما هم مجاورون له صلى الله عليه وآله في المسكن. والادهى من ذلك تصف القصة انّ النبي صلى الله عليه وآله كان غافلاً عن حال أهل بيته عليهم السلام مع أنّه صلى الله عليه وآله كل شيء حاضر عنده ولا تعتريه الغفلة وغيرها ولا يتصف بها بحسب مقتضيات العصمة.

(١) الامالي، الشيخ الصدوق، ص٣٣١

اختلاف مضمون الرواية

تقدم ان الروايات النازلة في شأن هذه الآيات كثيرة جدا وقد اختلفت فيها الألسن كما وكيفا منهم من ادخل الحسنين عليهما السلام في صيام النذر وأنّهم ايضاً نذروا الصوم، ومنها لم تدخلهم واقتصرت على نذر علي وفاطمة عليها السلام وخادمتهم، واكثرها ايضا لم تجعلها ثلاثة أيام وانما يوما واحدا وهلم جرا... نذكر واحدة منها على سبيل المثال فقد جاء في مناقب ابن المغازلي المتوفى القرن الخامس الهجري مسندا قال: ... عن لَيْثِ بن أبي سُلَيْم عن طاوس في هذه الآية ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً ويَتِيماً وَأَسِيراً**﴾ الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب، وذلك أنّهم صاموا وفاطمة وخادمتُهم، فلمّا كان عند الافطار، وكانت عندهم ثلاثة أرْغِفَة قال: فجلسوا ليأكلوا فأتاهم سائل فقال: أطعِمُوني فانّي مِسكين! فقام عليّ عليه السلام فأعطاه رغيفَه، ثمَّ جاء سائل فقال: أطعِمُوا اليتيمَ! فأعْطَتْه فاطمة الرَّغيف، ثمَّ جاء سائل فقال: أطعِمُوا الأسير! فقامت الخادمة فأعْطَتْهُ الرَّغيف، وباتوا ليلتهم طاوِينَ، فشكر الله لهم فأنزل فيهم هذه الآيات[1]. وغيرها من النقولات المختلفة التي تجاوزت العشرين كما تقدم، ولكن مع الاسف اخذت هذه القصة من دون تلك النصوص وفعلت في الاوساط مع أنه يصعب تطبيقه وتقبله، وكأنه فقط بها تثبت الفضيلة دون غيرها من النصوص المشيرة الى فضائلهم من دون أي مؤاخذ، ولذلك بعض المحققين من العلماء المعاصرين عندما اعتمد واستفاد من هذا النص المبحوث

(١) مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام، ابن المغازلي، ص٢٢٢

وأُشكل عليه ببعض الاشكالات الحاصلة في مضمونه عدل الى غيره من النقولات وجعله احدى الاجوبة حيث قال: قد يقال: لماذا يبقى الصائمون ثلاثة أيام بلا طعام، مع أنه قد بقي عندهم في اليوم الأول صاعان من شعير، كان يمكنهما طحن صاع منه وخبزه، بعد تصدقهما بالأقراص مباشرة. فإن الوقت إلى طلوع الفجر يسع ذلك؟

ويمكن أن يجاب: أولاً: إن التصريح بالأيام الثلاثة قد ورد في بعض الروايات دون بعضها الآخر، إذ إن بعضها يقول: «فلما تم إنضاجه، أتى مسكين، فأخرجوا إليه الطعام.. ثم عمل الثلث الثاني. فلما تم إنضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الثالث، فلما تم إنضاجه، أتى أسير الخ..»[1]. واستشهد ايضا بنصوص ونقولات اخرى منها رواية الأرغفة آنفة الذكر حيث قال وفي نص آخر: كانت عندهم ثلاثة أرغفة... الخ. وهذا وغيره يدلل على ان اكثر النقولات ومنها وارد عن المعصوم عليه السلام جاءت مطابقة للعقل والمنطق وبعيدة عن رائحة الظلم والحرج. فلماذا التعصب في التمسك بهذه الرواية من غير المعصوم عليه السلام مع ما فيها.

التقسيم العادل

لو سلمنا جدلا بهذه الرواية ولكن يلزم منها مخالفة العدل في التقسيم وايضا الاجحاف بحق النفس والغير لا سيما من يعولهم مع ان بعضهم صغار كما هو واضح من منطوق الرواية ووجه التقريب هو ان المسكين واحد

(١) اسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري، ص٢٩٦

والافطار لخمسة اشخاص أي خمسة اقراص فممكن اعطائه بما يكفيه من قرص او اثنين والباقي لهم وبهذا يتحقق اطعام الطرفين من دون الاجحاف بطرف وبه تتم العدالة بالتوزيع وقد نال الاجرين، وهكذا الحال في الليلة الثانية والثالثة عندما جاء اليتيم والمسكين وهذا ما يوصي به القرآن الكريم والسنة الشريفة، لذلك نجد من الآيات إضافة إلى ما تقدم (من آية البسط)، قوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾، تأمر بأخذ بعض من أمواله للصدقة سواء كانت واجبة أو مستحبة ولم تحبذ او ترغب في اعطاء كل المال بل حتى القسم الأكبر وانما جاءت بحرف التبعيض (من) أي خذ بعض اموالهم للصدقة وبناء أخراهم مما يصدق على أقل القليل فالمسئلة راجعة لقدرة المعطي وجود نفسه بالتوازن. وايضا جاء في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾. وهذه الآية صريحة في عدم جواز الاسراف في الانفاق كما فسرها الامام الصادق عليه السلام باروع عبائر التبسيط والبيان حيث جاء في الكافي مسند عن عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عَمْرٍو الأَحْوَلِ قَالَ تَلَا أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام هَذِه الآيَةَ: ﴿**والَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً**﴾ قَالَ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ حَصًى وقَبَضَهَا بِيَدِه فَقَالَ هَذَا الإِقْتَارُ الَّذِي ذَكَرَه الله فِي كِتَابِه ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى فَأَرْخَى كَفَّه كُلَّهَا ثُمَّ قَالَ هَذَا الإِسْرَافُ ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً أُخْرَى فَأَرْخَى بَعْضَهَا وأَمْسَكَ بَعْضَهَا وقَالَ هَذَا القَوَامُ[1]. وهكذا القرآن يسير في تنظيم امور المجتمع بهذا النحو من العدالة واهل البيت عليهم السلام ترجمان للقرآن وعدل ناطق وقدوة واسوة لغيرهم فمن البعيد جدا ان يحصل مثل هذا،

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤ ص٥٥

فيمكن ان يقسم الافطار بينهم مع المحتاج من دون الاجحاف في طرف من الاطراف. ولذلك ذهب بعض العلماء الى تحميل المنفق والمتصدق على حساب من يعولهم الاثم كما قال: (ولو قصّر في نفقته أو نفقة من يلزمه مئونته أثم بالصدقة، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت». ولأنّ في ذلك تقديم النفل على الواجب، وهو غير جائز[1]. وغيرها من الروايات التي تشير الى هذا المعنى بل بعضها تشير الى حرمانه من قبول الدعاء كما جاء في الرواية، وروي عن الوليد بن صبيح قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه، ثم جاءه آخر فإعطاه، ثم جاءه آخر فأعطاه، ثم جاءه آخر فقال: وسع الله، عليك ثم قال: إن رجلا لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم ثم شاء أن لا يبقي منها شيئا إلا وضعه في حق لفعل فيبقى لا مال له، فيكون من الثلاثة الذين يرد دعاؤهم[2]. فتحصل ان الشريعة الاسلامية قرآنا وسنة عندما توصي وتحث على التصدق ليس على حساب مؤونة اسرته وقوت نفسه بل لابد ان يؤخذ فيه جانب التدبير والعدالة.

التقتير على العيال

وهناك اشكالية أخرى تطرح على مضمون هذه القصة وهي التقتير والشح بالنفس والاسرة؛ وذلك لما جاء فيها انهم عليهم السلام باتوا جياعا مع وجود صاعين كان يمكن ان يستخدموها ولا يعرضوا انفسهم لهذه الشدة والحرج من الجوع

(١) منتهى المطلب، العلامة الحلي، ج٨ ص٥٠٣

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٦٩

ومن البعيد ان يخصص لليوم الثاني والثالث مع حاجتهم له لا سيما ومعهم صبية يصعب عليهم الجوع فيلزم من ذلك الظلم والتقتير وهذا ما حذر منه أهل البيت عليهم السلام فكيف يصدر منهم ذلك فقد جاء عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبَانٍ قَالَ سَالتُ أَبَا الحَسَنِ الأَوَّلَ عليه السلام عَنِ النَّفَقَةِ عَلَى العِيَالِ فَقَالَ مَا بَيْنَ المَكْرُوهَيْنِ الإِسْرَافِ والإِقْتَارِ[1]. والمراد بالاقتار الشح والبخل على العيال في تضييق النفقة كما تقدم من قوله: ﴿**والَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواما**﴾. فكيف لنا ان نفرض ان امير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وهم قدوة الخلق عندهم القوت ويدخرونه الى الايام الآتية وبقائهم وصبيتهم جياعا؟ مع انه كان يمكن للزهراء عليها السلام أو السيدة فضة تخبز من الصاعين الباقيين، وغد وما بعده الله الرازق. وأيضاً للامام عليه السلام ان يعمل او يتخذ امرا آخر فمن البعيد جدا بل مما لا تقبله الشريعة ان يدخر الطعام خوفا من عدم الحصول عليه في الايام المقبلة والاسرة تتضجر من الجوع ولذلك جاءت جملة من الروايات تناهض هذا السلوك وتحذر منه، منها ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال لبعض نسائه ألم أنهك ان تحبسي شيئا لغد فان الله يأتي برزق كل غد[2]. وهو لا يعارض التدبير فانه يختلف عنه حيث يكون مع عدم الاجحاف والاسراف كما هو مبحوث في محله.

خصوصيتها بأهل البيت عليهم السلام

يدافع البعض بقوة عن هذه القصة وعندما يواجه هذه الاشكالات

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤ ص٥٥

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن ابي الفتح الأربلي، ج١ ص١٠

المتقدمة وما فيها من احراجات ومشقة بل وضرر لا يطاق يوعز الامر الى انها خاصة بأهل البيت عليهم السلام وهم بامكانهم البقاء، ومنهم من يسري المسألة الى انها ليست فقط ممكنة وانما واقعة حيث يحصل عند اصحاب الرياضات النفسية أكثر من ذلك بل حتى في شأن غيرهم فهناك بعض الافراد اتخذوا الاضراب عن الطعام لاغراض سياسية كاضراب المساجين مثلا وبقائهم ايام بلا طعام أو بعضهم يضرب عن الطعام لاجل الشفاء وما شاكله فالبقاء ثلاثة ايام بغير طعام ليس مستحيلا ولا يوجد فيه ضرر ناهيك انها في شأن اهل البيت عليهم السلام الذين هم كعبة الصبر والثبات. ولذلك ذكر بعض العلماء المعاصرين في دفاعه عن هذا الاعتراض بنص عبارته: كيف يمكن لإنسان أن يصوم ثلاثة أيام ولا يفطر إلا بالماء؟! إن هذا الإشكال مدعاة للعجب، لأننا نرى تطبيق ذلك عند بعض الناس، إذ أن بعض المعالجات الطبية تستدعي الإمساك لمدة (٤٠) يوما، ولا يتناول خلال الأربعين يوما إلا الماء، مما أدى ذلك إلى شفاء الكثير من الأمراض بهذه الطريقة، حتى أن طبيبا من الأطباء غير المسلمين يدعى (ألكسي سوفورين) كتب كتابا في باب الآثار المهمة في الشفاء من جراء الإمساك مع ذكر أسلوب دقيق لذلك حتى أن بعض زملاؤنا المشتركين معنا في تأليف كتاب التفسير الأمثل قضى إمساكا لمدة (٢٢) يوما[1].

نقول: **أولاً**: على فرض ذلك هب انّ الكبار قد يصبرون ويتحملون ولكن ما ذنب الصبية الذين لا تتجاوز اعمارهم الخمس أو الست سنوات اذا لم نقل أقل حيث انهم عند رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عمر الامام الحسن عليه السلام سبع سنين.

(١) تفسير الامثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١٩ ص٢٥٣

وثانيا: ما هو الداعي لذلك اذا كان الطعام موجود وممكن خبزه والافطار به او تقسيمه بينهم وبين المسكين كما مر ذكره. مع عدم وجود داعي لذلك لا صحي ولا وقائي ولا سياسي، ولا يمت الى تعميق العقيدة او جزء منها بل، لا يكون من الفضائل التي يمكن ان يتباها بها وانما نوع من المغامرات كما هي عند اصحاب الرياضات وغيرهم.

وثالثاً: يلزم منها التقليل بشأن المعيل حيث فيه رائحة الظلم للعيال والاسراف في حال اعطاء قوت العيال جميعه للفقير، وايضا التقتير حيث يوجد صاعيين ولم يستخدمهما وغيرها من الامور.

رابعاً: لو كانت صادرة عن المعصوم عليه السلام او ثابتة بحقهم فعلا هنا يجب التمسك وتكون من باب التعبد والحكمة العامة، اما كونها قد ثبتت ووردت من عيرهم حتى عند المدافعين عنها انها لم تكن صادرة من المعصوم عليه السلام وانما نقلت في تراث رجال القوم. واخيرا لو قلنا وسلمنا انها خاصة باهل البيت عليهم السلام والعصمة وتعد من الفضائل بحقهم فيأتي السؤال ما حال خادمتهم فضة فهي لم تكن من أهل البيت عليهم السلام، وقد شملها نص الرواية حيث انها ايضا امسكت ثلاث ايام بلياليها فعليه لم تكن هذه الفضيلة خاصة بأهل البيت عليهم السلام؟ وليت شعري انّ المدافعين عن هذه المسألة هل جربوها وطبقوها بانفسهم أو مع عيالاتهم أو مجرد حبر على ورق؟

يهودي ساكن قرب المسجد؟

جاء في الرواية ان الامام امير المؤمنين عليه السلام استقرض من جار له في المدينة يهودي الديانة كما تقدم في القصة المذكورة: (... فأصبحوا صياما وليس عندهم

طعام. فانطلق علي عليه السلام إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم. فأعطاه فجاء بالصوف والشعير، وأخبر فاطمة عليها السلام فقبلت وأطاعت... الخ.

وهذا المقطع يعطينا عدة ملاحظات منها: لم نعهد ان يهوديا كان يقطن في قرب المسجد النبوي حيث ان الثابت ان امير المؤمنين عليه السلام كان بيته ملاصق للمسجد حتى فتح باب من بيته على المسجد وغلق باقي الابواب كما جاء في الحديث: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبوابٌ شارعة في المسجد، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سُدُّوا الأبواب غير باب عليّ. قال: فتكلَّم في ذلك ناس. قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمّا بعد فانّي أُمِرْتُ بِسَدَّ هذه الأبواب غير باب عليّ فقال فيه قائلكم، وإنّي والله ما سددتُ شيئاً ولا فَتَحْتُه ولكنّي أمِرْتُ بشيء فاتَّبعته[1]. وهذا يوكد ان حول المسجد المسلمين من المهاجرين والانصار اما اليهود فليس لهم وطئت قدم هنا او سكن نعم كان اليهود من قاطنين المدينة بثلاث طوائف مجتمعة وهم بنو النظير وبنو قريظة وبنو قينقاع وقد هجرهم النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك لمخالفتهم المواثيق والعمل على محاربة الاسلام، فهم قبل التهجير لم يكونوا قرب المسجد اطلاقا بل في مناطق نائية عن المسجد وبعدها هجروا تماما من المدينة، فكيف نتصور ان يهوديا كان ساكنا عند المسجد حتى ذهب له الامام عليه السلام واستقرض منه بحسب نص الرواية. فهذا ما يبعث الى التأمل والمراجعة.

(١) مناقب علي بن ابي طالب، ابن المغازلي، ص٢٠٩

امير المؤمنين والزهراء اجيران عند يهودي؟

ومن الامور التي تبعث على التأمل ايضاً ان الامام عليه السلام وايضا الزهراء عليها السلام يعملون عند رجل يهودي كما في نص الرواية حيث ان الامام عليه السلام جاء بالصوف للغزل مقابل اعطائهم ثلاثة اصواع من الشعير ومقتضاه ان هذا اليهودي له الامر والنهي على المعصوم عليه السلام؛ ولذلك الاقلام الناقلة اضطربت في هذه العبارة منهم من حذف هذه العبارة ولم يذكرها ومنهم من ذكر غيرها؟

نذر الصبي

جاء في القصة ان الحسنين عليهما السلام وهما صبيان انهما ايضا التزما بالنذر الذي اوجبه الامام امير المؤمنين عليه السلام على نفسه من صيام ثلاثة ايام كما هو في نص العبارة: (... فقال عليه السلام: أصوم ثلاثة أيام شكرا لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام، وقال الصبيان: ونحن أيضا نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام... الخ).

فقد اتفق علماء الفقه بأن الناذر يعتبر فيه البلوغ والتكليف كما هو الحال في فتاواهم منها: يعتبر في الناذر البلوغ والعقل والاختيار والقصد وعدم الحجر عن التصرف في متعلق النذر. فيلغو نذر الصبي وإن كان مميزا...)[1]. أي لا يتحقق بحقه النذر ويكون ملغيا كما هو نص العبارة، وايضا ما ذهب اليه

(١) شرائع الاسلام، المحقق الحلي، ج١ ص١٦٨. منهاج الصالحين، السيد السيستاني، ج٣ ص٢٢٩. وغيرهم من الفقهاء من المتقدمين والمتأخرين.

صاحب الجواهر في هذا المجال وذكر عدم الخلاف فيه حيث قال: (لأول كمال العقل) في الناذر (فلا ينعقد نذر الصبي ولا المجنون) بلا خلاف فيه كما في المدارك، لارتفاع القلم عنهما، سقوط حكم عبارتهما (... الى ان يقول) ولا مدخلية هنا لشرعية عبادة الصبي وتمرينيتها، كما لا فرق بين بلوغه عشرا وعدمه[1]. وايضا ما ذهب اليه بعض الاعلام الى الاجماع في ذلك حيث قال: (فالعمدة في وجه بطلان نذر الصبي غير البالغ هو الاجماع لا غير)[2].

بحسب ما استقرئناه من استدلالات واستنتاجات الفقهاء اعلى الله مقامهم سواء المتقدمين أم المتأخرين ان نذر الصبي باطل ولا يصح انعقاده في وجه من الوجوه، مع ان من لوازم صحة النذر وجوب الوفاء به كما هو في الآية: ﴿**ويوفون بالنذر**﴾ فإذا لم يكن وجوب الوفاء في مورد فلا يصح النذر في ذلك المورد، لانتفاء الملزوم بانتفاء اللازم المساوي. والعلماء في استنباطاتهم يعتمدون على المعصوم كتابا وسنة بطريق مباشر او غير مباشر.

جواب عن سؤال:

ربما يقال ان الحسنين عليهما السلام وابويهما عليهم السلام هم المشرعون فلا اعتبار في قول الفقهاء هنا حيث يكون بمثابة الاجتهاد مقابل النص وهو مرفوض؟

فقلنا ان طريق الفقهاء لاستنباط الاحكام هو المعصوم عليه السلام وهذا دليل على عدم ثبوت هذه القصة حيث لو كانت ثابتة لكان ادل دليل على جواز نذر الصبي كما حصل مع الحسنين عليهما السلام واستدل به العلماء ولكن يدل ان هذه القصة

(١) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ج١٧ ص٣٣٦.
(٢) القواعد الفقهية، البجنوردي، ج٤ ص١٢٣

لم تكن ثابتة كي تكن من ادوات ومراجع الاستنباط بل حصل عكس ذلك حيث ابطلوا بالدليل انعقاد نذر الصبي، وعدم جوازه او استحبابه، نعم ذكر واحد من العلماء يستحب له الصوم بعد بلوغه كما في قوله: (وأن يكون مكلفا فإذا نذر الصبي فإنه يستحب له الوفاء به بعد بلوغه)[1]. فتحصل ان ما ذكر في القصة من صيام الحسنين عليهما السلام ووصلوا الى مرحلة الارتعاش والانهيار من شدة الجوع وما شاكله لم يكن له وجود ولذلك عند مطالعة هذا السيناريوا عند بعض الناقلين قد اخفى ولم يذكر الحسنين عليهما السلام فقط اكتفى بالامام والزهراء عليهما السلام وخادمتهم. كما جاء في الوسائل وغيره حيث قال: (... فقال عليه السلام: أصوم ثلاثة أيام شكرا لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة، وكذلك قالت: جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام[2].

اختفاء السيدة زينب عليها السلام من القصة

ولدت السيدة زينب عليها السلام في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة كما عليه المؤرخون والمحدثون حيث تكون بعد ولادة اخيها الامام الحسين عليه السلام بسنة أو سنتين كما ورد في تراثهم حيث قالوا: ولدت بالمدينة في الخامس من شهر جمادى الأولى من السنة الخامسة للهجرة[3]. وقد سماها الوحي من قبل الخالق بهذا

(١) حاشية الفقه على المذاهب الاربعة ومذهب أهل البيت، الجزيري الغروي، ص١٧٩
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٣ ص٣٠٤
(٣) موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مدرسة الامام الصادق عليه السلام، ص٣٦١.

الاسم ونعاها النبي ﷺ كما جاء: ولما ولدت عليها السلام: جاءت بها أمها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: سم هذه المولودة؟ فقال عليه السلام ما كنت لأسبق رسول الله ﷺ وكان في سفر له، ولما جاء النبي ﷺ وسأله عن اسمها فقال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي ﷺ السلام من الله الجليل وقال له: سم هذه المولودة (زينب) فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي عليه السلام وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام[1]. فتكون في وقت نزول هذه الآيات وهذه القصة من الصيام بعمر ثلاث أو اربع سنين حيث ليكون عمر الامام الحسين عليه السلام بين الاربع او الخمس اعوام حيث لا يعقل ان نقول قبل ذلك فلا يتصور ان يصوم الامام الحسين عليه السلام بعمر السنة او السنتين وفي كل الاحوال ان السيدة زينب عليها السلام كانت موجودة وفي أي عمر كانت فقد فقدت عن هذا السيناريو ولم يُذكر لها خبر، بل الراوي لم يعدها في الوجود اطلاقا لان التصوير ان الذين صاموا خمسة اشخاص والطعام كان لخمسة فقط حيث كانت الاقراص بعددهم كما تقدم في نص الرواية المذكورة (ثم أخذت صاعا من الشعير، فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرص... الخ)، فلم يحسب للسيدة زينب نصيب معهم هنا طيلة الايام الثلاثة والاعجب منه ان كل ما عندهم قد اعطوه للسائل ولم تبق عندهم كسرة او رغيف بل عمدوا الى اعطاء كل الاقراص واكتفوا بالماء كما مر في نص الرواية: وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعا...)

(١) وفيات الأئمة. من علماء البحرين والقطيف، ص٤٣١.

فهب انهم صاموا وتحملوا الجوع وصبروا عليه ولكن ما حال هذه الطفلة فهل تحملت العناء معهم وصامت؟ وهذا مما لم يذكر لا من بعيد ولا من قريب، او تركوا لها طعاما دونهم فهو ايضا لم يثبت حيث ان الرواية صريحة في اعطاء كل ما عندهم من أقراص والاكتفاء بالماء فقط. فهذا يدلل على ان القصة حيكت من وحي الخيال ولم يلتفت كاتب السيناريوا الى هذه الثغرة ليجعل لها مرهما وموردا.

آية النذر في روايات المعصوم عليه السلام

المرجع الثاني بعد القرآن الكريم هو المعصوم عليه السلام سواء كان النبي صلى الله عليه وآله او الزهراء عليها السلام أو احد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذين عاصروا أكثر من ثلاثة قرون حيث انتهت الغيبة الصغرى التاسعة والعشرين بعد الثلاثمائة للهجرة فلم نجد اثرا من التأييد او الذكر لهذه القصة على لسانهم خصوصا عند تفسيرهم للآيات المتعلقة بمنشأ هذه القصة وانما وجدنا العكس من ذلك كما سياتي في الجواب الصحيح، مثلا عندما يُسئل الامام عليه السلام عن آية الايفاء بالنذر فلم يذكر المورد الموجود في القصة اطلاقا وانما يعطيها تفسيرا وتأويلا أخر غير تفسيرها الظاهري الذي سار عليه العلماء من وجوب الالتزام بالنذر وعدم الحنث في حال أوجبه على نفسه. من قبيل ما جاء في الكافي: ... قلت: قوله: ﴿**يوفون بالنذر**﴾؟ قال: يوفون لله بالنذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا... الخ[1]. فلم نجد من الامام عليه السلام تفسير ما جاء في القصة وايضا باقي

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٤٣٥

الأئمة عليهم السلام، فيجب في مثل هذه النصوص والقصص لاسيما التي تحوي ملاحظات واشكالات من جوانب عديدة الرجوع فيها الى المعصوم عليه السلام والتأكد من فحواها. ومما يؤيد ذلك ان الفقهاء استدلوا بهذه الآية على وجوب الالتزام بالنذر واخرجوا من ذلك الصبي الذي كان احد عناصر القصة، فلو كانت القصة مرتبطة بهذا المورد لألفت اليها الفقهاء النظر او لادخلوا الصبي على اقل تقدير ولكن كل ذلك يشير الى ان هذه القصة اجنبية عن موارد الآية الكريمة.

تفسير المعصوم عليه السلام لآية الاطعام

بعد ما ثبت من عدة وجوه بطلان القصة (التي أخذت ذروتها في الأذهان على مدى قرون متوالية) من خلال سندها وايضا مضمونها وما تعتريه من مخالفات، يلزمنا البحث عن جواب آخر لبيان شأن نزول هذه الآيات اضافة الى عموماتها المنطبقة على الاحكام الخاصة في كل عصر ومصر، والمتبع في البحث العلمي كما اسلفناه وهو الرجوع الى المعصومين عليهم السلام الصامت منهم والناطق أو احدهما لبيان الواقع وضمن الضوابط العلمية الموضوعية سواء من النواحي السندية أو المضمونية، وعليه عندما نرجع الى بيان مورد ورود هذه الآيات وشأن نزولها لابد ان نطرق باب المعصوم بالدرجة الأولى ليبين لنا ما هو الحق والواقع، وقد افصح الامام الصادق عليه السلام بالسند الصحيح الأعلائي الوارد عن علي بن ابراهيم القمي المتوفى في بداية القرن الرابع سنة (٣٢٩هـ) ومعاصر للغيبة الصغرى انها نازلة بحق علي وفاطمة عليهما السلام بعدما آثرا بما عندهم للفقراء في زمن واحد وساعة واحدة وهي جارية في كل من فعل ذلك لله عز

وجل، كما هو واضح من ظاهر النص حيث قال: قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾ يعني بردها وطيبها لان فيها الكافور ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ يفجرونها أي منها وقوله ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ قال: المستطير العظيم قوله ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ فإنه حدثني أبي عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، فما لبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها الثاني، فما لبث ان جاء أسير فقال الأسير يرحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث الباقي، وما ذاقوها فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله ﴿**وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**﴾ في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عز وجل... الخ[1]. وهذا التفسير الذي ينطبق مع العقل والواقع ولا يخالف الموازين العلمية لا من الناحية المضمونية ولا من الناحية السندية فكل من آثر بما يحب من طعام وغيره يشمله هذا الخطاب القرآني انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وليس بالضرورة ان يجحف على نفسه واسرته بحيث يصل الى حد الضرر والرواية تشير بوضوح ان عند الامام امير المؤمنين عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام مواد لصنع عصيدة كما هو الحال لكثير من النساء ان تصنع طبق من الحلوى أو غيره في المساء ام الصباح وتتعلق به النفس وتميل اليه وتحبه ولكن لوجه الله يؤثرون به،

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج٢ ص٣٩٨

اذا قلنا ان الضمير في ﴿حبه﴾ من قوله: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّه مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرا**﴾ راجع على الطعام، كما يشهد له النص الوارد عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، في قول الله: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا قال: قلت حب الله أو حب الطعام؟ قال حب الطعام[1]. نعم ربما كانوا في حاجة له لكن لا يشير انهم لا يملكون شيء آخر بل ولا انهم بقوا جياع او ايام متعددة وانما في نفس اللحظة اعطوه للفقير مع ان جانب العدالة قد أخذ بعين الاعتبار حيث لم يعطي كل العصيدة للفقير وانما بعضها وهكذا حصل الايثار بثلاث مرات بشكل تصاعدي مع هوى النفس في المرة الأولى يكون أهون على النفس وفي الثانية اشد لكن أهون من الثالثة حيث لا يبقى شيء منه الا خيالها في الأذهان نعم عند اهل البيت عليهم السلام لذتهم الواقعية والحقيقية هذه وهم يؤثرون في سبيل الله ولا مجال لهو النفس في ذلك حيث نفوسهم ذابت في محبة الله ورضاه. وبهذا قد قطعت جهيزة قول كل خطيب.

سند الرواية

تعد هذه الرواية من الناحية السندية من أصح الروايات بل تسمى بالصحيح الأعلائي أي لها مرتبة فوق الصحة أولا لقربها بالوسائط عن الراوي على بن ابراهيم العالم الكبير عن بيه ابراهيم احد أقطاب الشيعة عن عبد الله بن ميمون بن الأسود عن الامام الصادق عليه السلام فالواسطة بين الراوي والأمام عليه السلام اثنين واضافة الى ذلك ان الرواة يتصفون بالفضيلة والعلم والوثاقة اما علي وابوه فهما معروفان بالعلم والفضيلة ولهم تراث ومؤلفاة فهم ليس

(١) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي، ج٢ ص٣٩٧

فقط ثقات بل أهل علم وفضيلة. اما عبدالله بن ميمون بن الأسود ايضا عالم من اسرة علمائية حيث كان ابوه من مقربين الامام الباقر عليه السلام ويروي عنه وهو من مقربين الامام الصادق عليه السلام ويروي عنه وله تراث ومؤلفاة. فقد قال عنه النجاشي: عبد الله بن ميمون بن الأسود القداح: مولى بني مخزوم، يبري القداح، روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وروى هو عن أبي عبد الله، وكان ثقة. له كتب منها: كتاب مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره، وكتاب صفة الجنة والنار[1]. وقال عنه الشيخ الطوسي: عبد الله بن ميمون القداح. له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي، عنه. وأخبرنا به أبو عبد الله المفيد رحمه الله، عن أبي جعفر ابن بابويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن جعفر بن محمد بن عبيد الله، عنه[2]. وعده البرقي أيضا في أصحاب الصادق عليه السلام، وقال نحو ما قاله الشيخ. وهكذا حصلت التوثيقات من المختصين عبر التاريخ لهذا العالم الجليل ابن ميمون ونختمها ما ورد عن الكشي انّ المعصوم عليه السلام يعطي اعتبارا عظيما لابن ميمون ويصفه انه نور في ظلمات الأرض حيث قال: وقال الكشي: حدثني حمدويه بن نصير قال: حدثني أيوب بن نوح قال: حدثنا صفوان بن يحيى، عن أبي خالد صالح القماط، عن عبد الله بن ميمون، عن الباقر عليه السلام قال: يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: نحن أربعة، قال: إنكم نور في ظلمات الأرض[3]. وهذا مما يعطي بعدا كبيرا لهذا الراوي

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة، رجال النجاشي، النجاشي، ص٢١٤

(٢) الفهرست، الشيخ الطوسي، ١٦٩.

(٣) نقد الرجال: التفرشي، ج٣ ص١٤٧

فتحصل ان الرواية في اعلى موارد الصحة مع ان مضمونها ينطبق مع الواقع الخارجي في كل الموازين.

من هو الأسير؟

بقيت تتمة ربما تكون لها علاقة بالبحث ولو من بعيد وقد تؤخذ على نحو الاستطراد حيث ليس لها ارتباط في صميم البحث وهي بيان المراد من (الاسير) المذكور في آية الاطعام في قوله: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾، هل هو اسير الحرب كما عليه كل المفسرين والمؤرخين حيث قالو بنص عبائرهم انه من اسر في الحرب من غير أهل القبلة من المشركين وغيرهم، كما جاء عن الشيخ الطوسي: (وأسيرا) والأسير هو المأخوذ من أهل دار الحرب في قول قتادة. وقال مجاهد: وهو المحبوس[1].

وقال الشيخ الطبرسي: وعن الحَسَنِ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُؤْتَى بالأَسِيرِ فَيَدْفَعُهُ إلى بَعضِ المسلمينَ فَيقُولُ: أَحْسِنْ إليهِ، فيكُونُ عنْدَهُ اليَومَيْنِ والثَلاَثة. وعند عامّة العلماء: يجوز الإحسان إلى الكفّار في دار الإسلام، ولا يصرف إليهم الواجبات كالزكوات. وعن أبي سعيد الخدري وعطاء وسعيد بن جبير: هو الأسير المؤمن. ويدخل فيه المملوك والمسجون[2].

وربما التعامل مع الأسير على هذا القول في صدر الاسلام يختلف اما يعطى لبعض المسلمين للاحسان اليه فيكون بحاجة الى الاطعام وتنطبق عليه الآية

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج١٠ ص٢١٠
(٢) جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، ج٣ ص٦٩٣

ليس الحال كاليوم فان للأسير وضع خاص ليس له التجول في ازقة وشوارع المسلمين، إلا ان يسلم ويحبذ العيش في دار المسلمين. وهناك رأي للفقهاء في مسألة الأسير حيث قالوا: الأسارى الإناث والولدان لا يجوز قتلهم بحال، لأن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن قتلهم، أما الرجال فينظر: فإذا أسروا بعد أن وضعت الحرب أوزارها فلا يجوز قتلهم، ويتخير الإمام أو نائبه بين إطلاق سبيلهم بدون عوض، وبين أن يفدوا أنفسهم بمال. وعليه يمكن ان يكونوا أسارى بهذا الحال يطلبون الطعام وتنطبق عليه مضمون الآية[1].

معنى الاسير في لسان المعصوم عليه السلام

ولكن هناك تفسير خاص للمعصوم عليه السلام في تفسير هذه الآية وانطباقها على الأسير بعيدا عما ذكر في بوتقة المفسرين وغيرهم حيث قال المراد بالاسير عيال الرجل كما جاء في الكافي مسندا عَنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام قَالَ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى عِيَالِه كَيْلَا يَتَمَنَّوْا مَوْتَه وتَلَا هَذِه الآيَةَ: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّه مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾ قَالَ الأَسِيرُ عِيَالُ الرَّجُلِ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا زِيدَ فِي النِّعْمَةِ أَنْ يَزِيدَ أُسَرَاءَه فِي السَّعَةِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ فُلَاناً أَنْعَمَ الله عَلَيْه بِنِعْمَةٍ فَمَنَعَهَا أُسَرَاءَه وجَعَلَهَا عِنْدَ فُلَانٍ فَذَهَبَ الله بِهَا قَالَ مُعَمَّرٌ وكَانَ فُلَانٌ حَاضِراً[2]. وهذا يعطينا منحى آخر واقرب للواقع ويمكن انطباقه في كل العصور حيث لا يشترط لزومه في عصر الرق وما شاكله، نعم ممكن اذا قلنا

(١) فقه الإمام الصادق عليه السلام، محمد جواد مغنية، ص٣٦٧

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤ ص١١

المراد بالاسير هو اسير الحرب ايضا يكون له مصاديق حيث ان بعض الدول الاسلامية تستثمر الاسراء بعد تهذيبهم ومن ثم اطلاق سراحهم ولهم العيش في البلاد والتزويج وتبقى صفة الاسير تطلق عليه في اللحاظ العرفي.

المبحث الثامن

وحشي بن حرب في الميزان

تمهيد

من المسائل التي تطرح في اروقة التأريخ والحديث وعلم الكلام دخول المشركين والكافرين في دائرة الاسلام وهدي النبوة الخاتمة، فهل يُجب عنهم ما سبق من موبقاة ومعاصي؟ انطلاقا من قول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله (الاسلام يجب ما قبله)[1]. او الامر يختلف بحسب اختلاف الاشخاص وما صدر عنهم في الجاهلية من معاص وانتهاكات كبيرة او التمييز بين من تلطخت يديه بالدماء من غيره كما هو الحال في وحشي بن حرب قاتل عم النبي صلى الله عليه وآله في معركة احد وان شاء الله نسلط البحث والكلام في هذا السفر حول هذه المفردة والتي من خلالها تنحل جملة من الامور العالقة.

(١) مستدرك الوسائل، النوري الطبرسي، ج٧ ص٤٤٩.

من هو وحشي؟

وحشي بن حرب الحبشي. من سودان مكّة[1]، مولى لطعيمة بن عديّ.

ويقال: هو مولى جبير بن مطعم بن عدي، كذا قال ابن إسحاق، وأكثرهم قال: يكنى أبا دسمة.

وقد ترجم احواله ابن الاثير بنص عبارته: وحشى بن حرب الحبشي أبو دسمة وهو من سوادان مكة وهو مولى لطعيمة بن عدي وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي قاتل حمزة بن عبد المطلب ﷺ يوم أحد وشرك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام[2].

وعن ابن عساكر معنعنا الى محمد بن سعد قال في الطبقة الرابعة وحشي ابن حرب وكان أسود من سودان مكة عبدا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ابن قصي ويقال بل كان عبدا لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ولم يبلغنا أنه شهد بدرا مع المشركين ولكنه خرج معهم إلى أحد فقالت له ابنة الحارث بن نوفل بن عامر إن أبي قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر إن قتلت محمدا أو حمزة بن عبد المطلب أو علي بن أبي طالب فذكر قصة قتله حمزة[3].

---

(١) سودان مكة اصلهم من البربر: وهم معروفون بين اليمن والحبشة كان اكثر سودان مكة منهم. انظرفتح القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج٣ ص٢٨٦.

(٢) اسد الغابة، ابن الاثير، ج٥ ص٨٣

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٦٢ ص٤٠٢.

واغلب المؤرخين اذا لم نقل الكل لا يعدون هذه الترجمة فلم توجد تفاصيل عن عشيرته وسلسلة نسبه لانه كان من الموالي الذين جاؤا من الحبشة وخدموا في شخصيات مكة، نعم سودان مكة اصلهم من بربر.

البلد الذي مات فيه

اختلف المؤرخون في محل وسكن وحشي بن حرب الاخير والذي مات فيه ولكن اقربها وما عليه الكثير من المؤرخين منطقة حمص في الشام، كما ذكره ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ بنص عبارته: وخرج إلى الشام، فنزل «حمص»، فكان يشرب الخمر، ويلبس المعصفر، وهو أوّل من حدّ بالشام في الخمر. وله عقب بالشام[١]. وعن الصفدي قال: وسكن وحشي حمص ومات في الخمر غلبت عليه وتوفي وحشي في حدود الخمسين للهجرة[٢].

وقد ذكر ابن الاثير ذلك بشكل مفصل حيث قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد باسناده عن يونس عن ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن أمية الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار مدربين في زمن معاوية فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشى مولى جبير بن مطعم قد سكنها فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي هل لك أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله فقلت ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه إنكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد

(١) المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ص٣٣٠.
(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج٢٧ ص٢٥٣.

غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتصيبا عنده ما تريدان وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه فخرجنا نمشي حتى جئنا فوجدناه بفناء داره فسلمنا عليه فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال ابن لعدي بن الخيار أنت قال قلت نعم قال أما والله ما رأيتك مذ ناولتك السعدية التي أرضعتك فإني ناولتها إياك بذي طوى فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها فوالله ما هو الا ان وقفت على فعرفتها فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة بن عبد المطلب حين قتلته[1].

وقال بن عساكر حشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة أسلم بعد ذلك وصحب النبي ﷺ وسمع منه أحاديث ونزل حمص حتى مات بها وولده بها اليوم[2]. وقال ابن حجر في الإصابة انه مات بحمص ورجحه الكثير.

وعن الطبراني معنعنا الى جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار حتى قدمنا حمص فأتينا وحشي بن حرب فحدثنا قال أتيت رسول الله فشهدت شهادة الحق فقال يا وحشي اجلس فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فقال غيب وجهك عني فلا أراك[3].

ولا يخفى قد ذكروا في محل وفاته عدة اقوال غير ما تقدم منها ما قاله ابن الاثير عن ابن شهاب مات وحشى في الخمر أخرجه الثلاثة[4].

---

(١) اسد الغابة، ابن الاثير، ج٥ ص٨٣

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٦٢ ص٤٠٢.

(٣) المعجم الاوسط، الطبراني، ج٢ ص٢٢٢.

(٤) اسد الغابة، ابن الاثير، ج٥ ص٨٤. قاموس الرجال، التستري، ج١٠ ص٤٢٦.

وقال الحموي: في خمر (بفتح الخاء وتشديد الميم وفتحها): شعب من اعراض المدينة[1].

وفى بعض النسخ فهات في الخبر؛ وهو بفتح الخاء وتسكين الباء كما قاله ياقوت: موضع في طريق الحاج على ستة أميال من مسجد سعد بن أبي وقاص فيها بركة للخلفاء[2].. وعلى كل حال لا تخلو النسخ من التصحيف.

وحشي يحدث عن قتله الحمزة

طلب النبي ﷺ وغيره من وحشي ان يحدثهم كيف قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وعرض هذا السؤال على وحشي مرات عديدة حتى اخر وفاته كما ذكر ذلك جملة من المؤرخين ولذلك عندما قصده نفر الى داره بحمص ليسئلوه عن كيفية قتل الحمزة فقال أما انى سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك: كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد قتل يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق فخرجت مع الناس حين خرجوا إلى أحد فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته مثل الجمل الأورق في عرض الناس يهذ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شئ فوالله انى لأريده واستترت منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى وتقدمني إليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال إلى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه ختانة بمكة فوالله لكأنما أخطأ رأسه

(١) معجم البلدان، الحموي، ج٢ ص٣٨٨.
(٢) معجم البلدان، الحموي، ج٢ ص٣٤٤.

فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وخليت بينه وبينها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر ولم يكن لي بغيره حاجة فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت بمكة[1].

اسلام وحشي

دخل وحشي في دائرة الاسلام بعد فتح مكة المكرمة من قبل المسلمين بقيادة النبي الاكرم ﷺ وعندما ضاقت به الارض ذرعا وهرب الى الطائف لكن وصلته الاخبار ان النبي ﷺ يعفو عنه كما عفى عن غيره لا سيما الذين تلطخت ايديهم بالدماء فجاء الى النبي الاكرم ﷺ واسلم ودخل مع المسلمين وهذا ما ذكره ابن الاثير على لسان وحشي حيث قال سكنت مكة حتى افتتحها رسول الله ﷺ فهربت إلى الطائف فكنت بها فلما خرج وفد أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ضاقت على الأرض وقلت الحق بالشأم أو باليمن أبو ببعض البلاد فإني لفي ذلك إذ قال لي رجل ويحك انه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه الا وانا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشى قلت نعم قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته كما فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب وجهك عنى فلا أراك فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان فلم يرني حتى قبضه الله تعالى فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب

(١) اسد الغابة، ابن الاثير، ج٥ ص٨٤.

اليمامة أخذت حربتي وخرجت معهم وهي الحربة التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما في يده السيف ولا أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار كلانا يريده فهززت حربتي ودفعتها عليه فوقعت في عانته وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله قال سليمان بن يسار عن عبد الله بن عمر قال سمعت صارخا يصرخ يوم اليمامة قتله العبد الأسود وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب مات وحشى في الخمر أخرجه الثلاثة[1].

كلام آخر في اسلامه

جاء عن ابن طاوس نقلا عن تفسير الكلبي: بعث وحشي وجماعة إلى النبي ﷺ أنه ما يمنعنا من دينك إلا أننا سمعناك تقرء في كتابك أن من يدعو مع الله إلها آخر ويقتل النفس ويزني يلق أثاما ويخلد في العذاب ونحن قد فعلنا ذلك كله فبعث إليهم بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ فقالوا: نخاف أن لا نعمل صالحا.

فبعث إليهم ﷺ ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ فقالوا نخاف أن لا ندخل في المشية. فبعث إليهم ﷺ: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ فجاؤوا وأسلموا.

فقال النبي ﷺ لوحشي قاتل حمزة: غيب وجهك عني فإني لا أستطيع النظر إليك. قال: فلحق بالشام فمات في الخمر.

(١) اسد الغابة، ابن الاثير، ج٥ ص٨٣

وقوله: فمات في الخمر لعله بفتح الخاء وتشديد الميم موضع من أعراض المدينة ولعله من غلط الناسخ والصحيح الحمص، ولعل المراد به موته عن شرب الخمر فإنه كان مدمن الخمر وقد جلد في ذلك غير مرة ثم ترك[1].

تحرير محل الكلام

البحث في وحشي واحواله هو صغروي ولم يكن كبروي وذلك؛ لانه لم يختلف اثنان على انه لم يدخل الاسلام ويلتحق مع المسلمين بعفو صادر من النبي صلى الله عليه وآله له ولغيره سواء تلطخت ايديهم بالدماء او كانوا قيادات في الحروب التي شنوها على النبي صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين ام لا. وانما الكلام عن وحشي هو من لحاظ حسن اسلامة وتصحيح نيته في قبول توبته عند الله من عدمها. وهذا ما يستحق المراجعة والتحقيق في النصوص الشرعية والتأريخية فهناك مرجعية لمثل هكذا مسائل من خلالها نتوصل الى ما نروم اليه. نعم ربما يقال لا يستحق المقام كل هذا البحث والتحقيق وضياع الوقت؟ فنقول لم تكن المسألة ناظرة لشخص معين وانما هي ظاهرة عامة حصلة من قبل النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى وصاحب المناسبة ليس الا مصداقا فهناك مجموعة كبيرة من الذين دخلو الاسلام وكانت لهم مواقف سلبية سابقة على اسلامهم هل يصح الحكم عليهم بطريقة رجعية او ينظر في حالهم بعد اسلامهم وهل هناك تحول ايجابي وتغير لنفوسهم،، فلانجد في روح الاسلام الا التسامح لمن سعى نحوه كيف ما كان. ولذلك ان البحث باطاره العام له مساس عميق في واقعنا المعاصر

(١) سعد السعود، ابن طاوس، ص٢١١.

ليس كل من عمل مع السلطات الظالمة ثم ارتد ورجع عن ظلاله وما كان عليه واحسن توبته يؤاخذ بما سلف. اذن علينا ان ننظر ماذا حصل بعد اسلامه هل هو مجرد وقاية من القتل وبقي على ضلاله او نصح في اسلامه وتوبته او لا اقل يعيش حالة وسطية تاقلم وتعايش مع الاسلام ولكن لم يبدي مواقف نبيلة.

فتحصل: أنّ الكلام هنا لا ينظر الى شخص وحشي بالذات وانّما يأخذ موقف عام من وجهة نظر الاسلام في حال المجرمين الذين دخلوا الاسلام.

الاقوال السلبية في وحشي

اختلفت الاراء والاقوال في حسن اسلام وحشي ومصيره وعدم التزامه في التكاليف الشرعية من عدمها فهناك قولان يصح ان نعبر عنهما بين الفرط والتفريط فمنهم من عده من الذين هدر دمه النبي ﷺ وهذا ما يعبر على انه من المغضوب عليهم ويلزم منه ان مصيره جهنم، ومنهم كما سيجيء عده من أهل الجنان. وما يشهد للأول ما ذكره السيد العاملي في صحيحه حيث قال: قالوا: إن رسول الله ﷺ أهدر دم عدد من الأشخاص لأمور صدرت منهم، قد يصل عددهم إلى عشرين، بين رجل وامرأة. وقد أمر ﷺ بقتلهم، ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة. وعدهم وذكر منهم وحشي بن حرب الاسم التاسع[1]. ثم قال في مكان اخر وعبر عن اعتقاده في وحشي: وأعتقد أنه لولا شبهة أن النبي ﷺ إنما قتل مسلماً، وما سوف يوجب ذلك من تبلبل في الأفكار، ومن ضرر على الإسلام؛ لكان للنبي ﷺ أن يقتله. وإن أعماله الشنيعة والقبيحة،

(١) الصحيح من سيرة النبي الاعظم. سيد جعفر مرتضى العاملي، ج٢٣ ص١٠.

وسيرته الخبيثة بعد ذلك لتدل دلالة واضحة على أنه لم يسلم، وإنما استسلم، تماماً كما كان الحال بالنسبة لطلقاء مكة)[1]. ولا اعرف كيف يمكن الجمع بين هدر دمه وفي نفس الوقت لا يجوز قتله. هذا اذا سلمنا انه هدر دمه. بل كان بالامكان قتله قبل اسلامه لو كان ذلك في سريرة النبي صلى الله عليه وآله واهتمامه. مع ان القرآن يصرح بجهاد المنافقين وقتلهم ولو اعلنوا الاسلام ظاهرا كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ**﴾[2]. وكما قد فعله صلى الله عليه وآله مع ابن اخطل وغيره: عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاءه رجل فقال يا رسول الله بن أخطل متعلق بأستار الكعبة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقتلوه[3]. وايضا وصيه ونفسه عليه السلام في قتاله المارقين والناكثين والقاسطين. فليس كل من ادعى الاسلام يمتلك حصانة تامة.

حجج القائلين بانحراف وحشي

أدلة حجج القائلين بذم وحشي وجعله من المنحرفين الكافرين باطنا اذا لم نقل ظاهرا امور نذكر اهمها:

الاولى: ما ذكره التأريخ من قول النبي صلى الله عليه وآله له غيب وجهك عني. واول ما ذكر هذا النص من المؤرخين هو ابن قتيبة الدينوري، ومن بعده الطبراني في المعجم الاوسط، قال: وأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلما، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيّب وجهك

(١) الصحيح من سيرة النبي الاعظم. سيد جعفر مرتضى العاملي، ج٧ ص١٥٨.
(٢) التوبة: ٧٢.
(٣) صحيح ابن خزيمة، ج٤ ص٣٥٥.

عنـى. قـال: فكنـت إذا رأيتـه في الطريـق، تقـصّيتها (صرت في اقـصاها أي ابتعدتها)[1].

وفي لفظ آخر ذكره الطبراني عن وحشي قال لما أتيـت النبـي ﷺ بعـد قتـل حمزة تفل في وجهي ثلاث تفلات ثم قال لا تريني وجهك[2].

ولكن بعده ذكر نصا مخالفا له حيث قال: عن وحشي بن حـرب عـن أبيـه عن جده قال أتيت رسول الله ﷺ فقال لي وحشي فقلت نعم قال أقتلـت حمـزة قلت نعم والحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يهني بيديه فقالت لـه قـريش أنحبـه وهو قاتل حمزة فقلت يا رسول الله فاستغفر لي فتفل في الأرض ثلاثـة ودفـع في صدري ثلاثة وقال يا وحشي اخرج فقاتل في سبيل الله كـما قاتلـت لتـصد عـن سبيل الله[3].

وجاء في المعجم الاوسط: فأتينا وحشي بن حرب فحدثنا قال أتيت رسول الله فشهدت شهادة الحق فقال يا وحـشي اجلـس فحـدثني كيـف قتلـت حمـزة فحدثته فقال غيب وجهك عني فلا أراك.

قال: لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن الفضل إلا محمد بن إسحاق وعبد العزيز بن الماجشون[4].

وقد استنتج البعض من هذا القول الصادر مـن النبـي ﷺ بحـق وحـشي الكفر الباطني لوحشي وعدم ايمانه وانما اضطر الى حقن دمه ظاهرا كما في نـص

(١) المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ص٣٣٠.
(٢)و(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج٢٢ ص١٣٩.
(٤) المعجم الاوسط، الطبراني، ج٢ ص٢٢٢.

عبارته: «إن موقف الرسول الأعظم ﷺ من وحشي، وقوله له: غيب وجهك عني، إن دل على شيء؛ فإنما يدل على أن وحشياً لم يكن مسلماً حقاً؛ إذ لا يمكن أن يقول النبي ﷺ ذلك لمسلم مؤمن؛ بسبب ما كان قد ارتكبه حين كفره، فإن الإسلام يجب ما قبله. وعليه فإن التشهد بالشهادتين، وإن حقن دم وحشي، إلا أنه إنما أسلم حينما رأى البأس، بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه. فإسلامه وإيمانه لا ينفعه؛ لأنه في الحقيقة لم يكن مستنداً إلى الاختيار، ولا إلى القناعة الوجدانية والعقلية بهذا الدين»[1].

الثانية: شرب الخمر. وهو ما ذكره جملة من المؤرخين، كما ذكره ابن قتيبة بقوله: فكان يشرب الخمر، ويلبس المعصفر، وهو أوّل من حدّ بالشام في الخمر. وله عقب بالشام[2].

وعن ابن عساكر قال محمد بن عمر ثم إن وحشيا بعد ذلك خرج إلى الشام حين خرج المسلمون فلم يزل معهم في تلك المواضع والمشاهد حتى فتحت حمص فنزلها ووقع في الخمر يشربها ولبس المعصفر المصقول فكان أول من ضرب في الخمر بالشام وأول من لبس المعصفرات بالشام وليس بينهم في ذلك اختلاف وله بقية وعقب بالشام[3].

فتحصل من هذين الدليلين بحسب اصحابهما ان وحشيا لم يمت الى الايمان بصلة وعاقبته النار خالدا.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الاعظم. سيد جعفر مرتضى العاملي، ج٧ ص١٥٨.
(٢) المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ص٣٣٠.
(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٦٢ ص٤٠٢.

وحشي في زيارة حمزة

وقد زاد البعض على هذين الدليلين ما جاء في زيارت شهداء احد من شمول وحشي في اللعنة كما هو في نص الزيارة «... وان من حاربكم فقد حارب الله، وانكم من المقربين الفائزين، الذين هم احياء عند ربهم يرزقون، فعلى من قتلكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين... الخ»[1].

والجواب:

ولكن يرد على هذا الدليل ان هذه الزيارة خاصة بشهداء احد وقد جاءت بعد زيارة الحمزة على انفراد حيث افردت زيارة الحمزة بنص وارد من المعصوم عليه السلام خالية من النيل بقاتله المباشر كما جاء في رواية هشام عنهم عليهم السلام: قال: ويقول عند قبر حمزة: السلام عليك يا عم رسول الله وخير الشهداء، السلام عليك يا أسد الله وأسد رسوله، اشهد انك جاهدت في الله ونصحت لرسول الله، وجدت بنفسك، وطلبت ما عند الله، ورغبت فيما وعد الله. ثم ادخل فصل...[2]. ولو كان مشمولا بذلك لكان اولى ان يذكر في زيارته من لعنه وتوبيخه، وعليه قد يكون دليلا على صحة توبته.

ثم بعد الانتهاء من زيارة الحمزة ذكرت عنوان زيارة الشهداء في احد. فالخطاب كما هو واضح لشهداء احد غير الحمزة.

والو سلمنا بدخوله معهم وايضا بنصها فهي عامة ولكل عام خاص كما هو الحال في لعن شريحة كبيرة لكن يستثنى منها من خرج بالدليل.

---

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص٩٧.

(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص٦٢

الاقوال الايجابية في وحشي

هناك جملة من الادلة والبراهين التي تشير الى ان وحشي من اهل الجنة بشكل مباشر او غير مباشر وهو مما يدل على ايمانه وصحة توبته بعد كفره وشموله لقاعد الجب ونذكر الادلة الواردة في هذا الشأن.

الاول: وحشي في القرآن من أهل الجنة

ما ورد في أصول الكافي وغيره، عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ سُلَيْمٍ مَوْلَى طِرْبَالٍ قَالَ حَدَّثَنِي هِشَامٌ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام النَّاسُ عَلَى سِتَّةِ أَصْنَافٍ قَالَ قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكْتُبَهَا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ مَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ أَهْلَ الوَعِيدِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وأَهْلِ النَّارِ واكْتُبْ **﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً﴾** قَالَ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ وَحْشِيٌّ مِنْهُمْ[1]. الحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة.

واغلب المفسيرين لهذه الاية جعلوا مصاديقها من الذين قبلت توبتهم وتجاوز الله عن ذنوبهم لا سيما بقرينة صدرها وذيلها كما في نص كلام بعض المفسرين حيث قال: «**﴿عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾** أن يقبل توبتهم. وهي مدلول عليها بقوله: **﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾**. **﴿إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يتجاوز عن التائب ويتفضّل عليه[2].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٣٨١.

(٢) زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج٣ ص١٦١.

وكثير من الروايات تؤكد ان (عسى) في الاية هنا واجبة كما قال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿**خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾: «وعسى من الله واجب، وإنما نزلت في شيعتنا المذنبين»[1].

فتحصل ان وحشي من مصاديق هذه الاية كما عن المعصوم عليه السلام وقد شملته التوبة واستحق مصيره الجنان.

الثاني: ايمان وحشي

جاء في تفاسير وكتب العامة ما يدل على ايمان وتوبة وحشي وشمول بعض الايات له كما جاء عن سعيد، قال: نزلت الآية: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ... إلى آخر الآية، في وحشي وأصحابه، قالوا: كيف لنا بالتوبة، وقد عبدنا الأوثان، وقتلنا المؤمنين، ونكحنا المشركات، فأنزل الله فيهم: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين، قتالا مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات[2].

واذا قيل: ان هذا الدليل ليس من تراثنا ولم يذكر في كتبنا من قبل محدثينا او مفسرينا. قلنا: نفس الاشكال يرد على حجج وادلة القول السابق كلها من غير تراثنا، ويلزم منه دحض كل ادلة القائلين بذمه فالامثال فيما يجوز وما لا يجوز واحدة. فما ذكر في ذمه وفُعّل في الاذهان والقرائح هو من تراث القوم وامهات كتبهم.

(١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج٢ ص٨٣٤.
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج١٩ ص٥٩.

الثالث: وحشي في الحديث من أهل الجنة

ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام حاكيا عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعبارة صريحة في وحشي انه من اهل الجنة وذلك بعد معركة الجمل عندما جيء له برأس الزبير بن العوام عندما ذكّره امير المؤمنين عليه السلام بما قاله النبي صلى الله عليه وآله اراد اعتزال المعركة فعيره ابنه قائلا خفت من سيف علي فحملته الحمية الجاهلية إلى أن جرد السيف وحمل على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام طرقوه فطرقوه وسيفه مجرد ليعلم أنه لا يخاف أحدا (فعندما خرج من المعركة معتزلا) وتبعه عمرو بن جرموز فقتله وجاء برأسه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هذا رأس الزبير فقال عليه السلام: ألم أنهكم عن اتباع المدبرين فقال عمرو: بئس الأمير أنت فقال عليه السلام صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، حمزة وقاتله في الجنة، وزبير وقاتله في النار[1].

وحكي أن مسيلمة الكذاب اشترك في قتله: وحشي وأبو دجانة، فكان وحشي يقول: قتلت خير الناس وشر الناس: حمزة ومسيلمة[2].

الرابع: أقوال العلماء في وحشي

ذكر بعض الاعلام انه آمن بعد ذلك كما في نص عبارته ناقلا عن مجمع البحرين: وحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله آمن بعد قتل حمزة. ومنه الحديث: الحمزة وقاتله في الجنة. إنتهى. جملة من أحوال وحشي[3].

---

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الاول، ص١٦٠.

(٢) المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ابن الجوزي، ج٤ ص٨٢. بحار الانوار، المجلسي، ج٢١ ص٤١٣

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج١٠ ص٢٦٣. مجمع البحرين، الطريحي، ج٤ ص١٥٧.

الخامس: وحشي من رواة حديث الغدير

ذكر جملة من الاعلام المختصين ان وحشي من رواة حديث الغدير. وهو اما شاهد في بيعة الغدير وكان حاضرا فيكون دليلا على مسايرته لركب المسلمين والنبي ﷺ واما ناقل عمن شاهد فايضا يدل على اقل تقدير تعاطفه وميوله للايمان. فقد ذكره الاميني من رواة الغدير بنص عبارته: وحشي بن حرب الحبشي الحمصي أبو وسمة من رواة حديث الغدير، كما في أبو وسمة وحشي بن حرب الحبشي الحمصي. أخرج ابن عقدة الحديث بلفظه في حديث الولاية، وعده الخطيب الخوارزمي في مقتله من رواة حديث الغدير من الصحابة[1].

السادس: وحشي في تراث علم الرجال

لم يحصل على ذم من قبل علماء الرجال والمفسرين بل عدوه من اصحاب رسول الله ﷺ ومن رواة الغدير قال السيد الخوئي: وحشي بن حرب: من أصحاب رسول الله ﷺ، رجال الشيخ. هو قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وشرك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، وشر الناس في الاسلام[2].

وقال عنه التستري في قاموسه: وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة قال: عدّه الشيخ في رجاله والثلاثة في أصحاب الرسول ﷺ قتل حمزة قبل إسلامه، وشرك في قتل مسيلمة يوم اليمامة[3].

---

(١) الغدير، الاميني، ج١ ص٦٠.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢٠ ص٢٠٨.

(٣) قاموس الرجال، الشيخ محمد علي التستري، ج١٠ ص٤٢٦

السابع: وحشي في لسان المعصوم عليه السلام

لم نجد ذما خاصا من قبل المعصومين عليهم السلام بحق وحشي كي يكون كاشفا عن افعاله الشنيعة بعد اسلامه كما ذكروا وخصوصا انه اثر في قلوب الهاشميين بقتله حمزة لا سيما اذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله هدر دمه وطرده وما اليه. بل نجد خلاف ذلك كما تقدم في ذكر بعض الروايات التي تشير الى دخول وحشي الجنة. مع انه لم يكن من الشخصيات والرموز التي يُتقى فيها ذمّه ضمن ظروف معينة، كي نقول أنّ الروايات الدالة على مدح وحشي والتي تشير الى دخوله الجنة أو التي لم يوجد فيها ذم فيكون من باب التقية.

الثامن: وحشي لم يغادر المدينة

يظهر من بعض النصوص ان وحشيا لم يغادر النبي صلى الله عليه وآله والمدينة، بل بقي يجاهد مع المسلمين في الغزواة ويدافع عن بيضة الاسلام، وينفذ اوامر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله كما جاء في تراث المفسرين وغيرهم، منها ما ذكرها صاحب مجمع البيان في تنفيذ امر النبي صلى الله عليه وآله بعد رجوعه من تبوك حيث امره ان يذهب مع عمار بن ياسر لتهديم وتحريق مسجد ضرار كما هو في نص العبارة،: «روي أنه صلى الله عليه وآله بعث عمار بن ياسر ووحشيا، فحرّقاه، وأمر بأن يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف»[1].

التاسع: تطبيق قاعدة الاستصحاب

قاعدة الاستصحاب من القواعد التي يستخدمها العلماء (رحم الله

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٥ ص١٢٦.

الماضين وحفظ وسدد الباقين) في كثير من الموارد، في حال الشك بالحكم بعد اليقين بالاصل. ويمكن ان تسري في غير الاحكام الشرعية ولو بمعناها العام، فنقول بعد ما ثبت بالاجماع ان وحشيا اسلم وتاب وجرت عليه قاعدة (الاسلام يجب ما قبله) الواردة عن النبي ﷺ كما تقدم. وقد نشك هل هو فعلا احسن اسلامه بعد ذلك او رجع عنه وعن توبته واستحل المحرمات؟ فتاتي قاعدة الاستصحاب في هذا المجال، الا ان يثبت انحرافه بالدليل القطعي.

محصل الكلام

نستنتج مما تقدم ان الاسلام ورائده يتعامل بمنطلق الرحمة والعدالة والابتعاد عن التشفي وابداء الضغائن ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ ويبقى باب التوبة مفتوحا لكل عاص بلا استثناء وهذا ما لا نجده في مطلق الدساتير البشرية، مع انه لا يوجد تعارض او تزاحم بين القولين فحجج القول الاول مجرد نصوص تاريخية من تراث المخالفين صادرة من متأخرين عن الواقعة مع ما فيها من اختلافات واضطرابات وابهامات في متنها كما تقدم اضافة الى قلتها.

بخلاف حجج القول الثاني معتمدة على نصوص واردة من المعصوم عليه السلام وراجع بعضها الى ايات الذكر الحكيم فلا اجتهاد مقابل النصوص مع ما ذكر من كثرة الادلة والشواهد في هذا المجال.

ولا نريد ان ندافع عن شخص مجهول او نتصيد بالماء العكر وما شاكله وانما دافع البحث العلمي الموضوعي يجرنا الى وضع النقاط على الحروف متحاشين كل جوانب التعصب والتعنصر وروح التشفي والحقد لا سيما في

الامانات العلمية. فهكذا علمنا الاسلام وربانا القرآن ان نتعامل بمصداقية ورحمة حتى مع الاعداء فكيف لمن جنح بالسلم واعترف بالذنب وانحنى بالندامة.

سماحة السماء

ونختم كلامنا بموقف سماوي له أثر كبير في واقعنا وسلوكنا، وهو عندما ارسل سبحانه وتعالى نبيه موسى واخاه هارون بقوة الهية لا تقهر ودعم سماوي لا ينفد الى اعتى اهل زمانه فرعون حيث كان يُذّبح الابناء ويستخدم النساء كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ والتي لا تعد جرائمه، قائلا سبحانه كلماه باللين والرفق لعله يتوب ويتذكر ويدخل تحت دائرة السلام كما في قوله: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[1]. هذا وجه الاسلام الواقعي السماحة والرحمة...

(١) طه:٤٤.

المبحث التاسع

يزيد يستعبد الامام السجاد عليه السلام؟

تمهيد

لم يكن التاريخ وحده يحتوي على مغالطات وحقائق مغلوطة وغير واقعية بل نجد ذلك ايضاً في تراث الحديث والمحدثين الذي يُعد قسماً آخر من التأريخ بالمعنى الأخص حيث يحتوي هو الآخر على ذكر حقائق مزيفة وليس لها واقع في حيّز الوجود الخارجي؛ ولذلك اسسوا وانتجوا العلماء علماً خاصاً في تنقيح هذا التراث الروائي من قبيل علم الرجال وعلم الدراية. ونقف هنا ان شاء الله تعالى في مناقشة وبحث جزئية مما ورد في تراث المحدثين، وهو الحديث الوارد في كتاب الكافي القائل: ان يزيد عندما دخل المدينة المنورة قاصدا الحج بعد واقعة الحرة استرق واستعبد الامام السجاد عليه السلام في المدينة؟.

نص حديث استرقاق الامام عليه السلام

نذكر نص الرواية التي ذكرها الشيخ الكليني المتوفى سنة (٣٢٩هـ) في الكافي وهو اقرب الكتب الاربعة للمعصوم عليه السلام حيث عاصر الامام الحجة عليه السلام

في الغيبة الصغرى فنقلها مسندة عن ابْنُ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ وهُوَ يُرِيدُ الحَجَّ فَبَعَثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَتَاه فَقَالَ لَه يَزِيدُ أَتْقِرُّ لِي أَنَّكَ عَبْدٌ لِي إِنْ شِئْتُ بِعْتُكَ وإِنْ شِئْتُ اسْتَرْقَيْتُكَ فَقَالَ لَه الرَّجُلُ والله يَا يَزِيدُ مَا أَنْتَ بِأَكْرَمَ مِنِّي فِي قُرَيْشٍ حَسَباً ولَا كَانَ أَبُوكَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي فِي الجَاهِلِيَّةِ والإِسْلَامِ ومَا أَنْتَ بِأَفْضَلَ مِنِّي فِي الدِّينِ ولَا بِخَيْرٍ مِنِّي فَكَيْفَ أُقِرُّ لَكَ بِمَا سَالتَ فَقَالَ لَه يَزِيدُ إِنْ لَمْ تُقِرَّ لِي والله قَتَلْتُكَ فَقَالَ لَه الرَّجُلُ لَيْسَ قَتْلُكَ إِيَّايَ بِأَعْظَمَ مِنْ قَتْلِكَ الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام ابْنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَأَمَرَ بِه فَقُتِلَ. حَدِيثُ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام مَعَ يَزِيدَ لَعَنَه ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ لَه مِثْلَ مَقَالَتِه لِلْقُرَشِيِّ فَقَالَ لَه عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليهما السلام أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أُقِرَّ لَكَ أَلَيْسَ تَقْتُلُنِي كَمَا قَتَلْتَ الرَّجُلَ بِالأَمْسِ فَقَالَ لَه يَزِيدُ لَعَنَه الله بَلَى فَقَالَ لَه عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليهما السلام قَدْ أَقْرَرْتُ لَكَ بِمَا سَالتَ أَنَا عَبْدٌ مُكْرَه فَإِنْ شِئْتَ فَأَمْسِكْ وإِنْ شِئْتَ فَبِعْ فَقَالَ لَه يَزِيدُ لَعَنَه الله أَوْلَى لَكَ حَقَنْتَ دَمَكَ ولَمْ يَنْقُصْكَ ذَلِكَ مِنْ شَرَفِكَ[1]. وقد ذكره بعض المحدثين بعد الشيخ الكليني رحمه الله امثال الحر العاملي وغيره. ويفهم من هذا النص ان الامام السجاد عليه السلام ليس فقط بايع يزيدا وانما والعياذ بالله اصبح عبدا له ورقا وقد طبل الاعداء على هذا الوتر واتخذوه ذريعة في بيعة المعصوم عليه السلام ليزيد كما ارادها ابيه الحسين عليه السلام لكن حصل خطأ عسكري وحال بينه وبين يزيد.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨ ص٢٣٥. وايضاً ذكرها العاملي تحت باب (جواز اقرار الحر بالرقية مع التقية وإن كان سيدا) وسائل الشيعة، ج١٦ ص٢٥٤.

مناقشات سندية

قبل الدخول في مناقشة مضمون ودلالة النص ومخالفته للواقع بكل ابعاده نقف على مناقشة وملاحظة السند ورجال رواته وايضا الكتاب والباب الذي وردت فيه هذه الرواية فان كتاب الكافي كما سيأتي ان شاء الله تعالى توجد فيه ابواب متعددة منها: تسمى بالروضة والنوادر، المذكور فيها الحديث وهذه لم نجد اهتمام واعتراف بصحتها من قبل المؤلف، بل كان همه فيها ذكرها وجمعها وان شاء الله نبين ذلك مفصلا.

وثاقة رجال الرواية

لم نجد غبارا في طرق رجال الرواية بل تُعد في عرف المختصين بالصحيح الاعلائي لا سيما بالمتصلين بالمعصوم عليه السلام حيث ان رواتها ليس من الثقات فحسب بل من العلماء الكبار اصحاب تراث كما سنذكرهم تباعا مع بيان مكانتهم على سبيل الاختصار مع ان الوسائط قريبة للمعصوم عليه السلام فان الواسطة بين الشيخ الكليني رحمه الله وبين الراوي عن المعصوم عليه السلام خمسة اشخاص وكلهم اجلاء علماء اولهم علي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير المنسوب له (تفسير القمي) وآخرهم بريد بن معاوية.

وثاقة علي بن ابراهيم القمي

ذكر المختصون أنّ عليّاً بن إبراهيم بن هاشم القمي من العلماء الثقاة حيث قالوا عنه انه ثقة في الحديث والتفسير، ثبت معتمد، صحيح المذهب بلا خلاف

في ذلك كله. بل هو من أجل رواة أصحابنا. وقد أكثر الكليني في جامعه عنه آلاف الاحاديث، عدد رواياته ٧١٤٠. منها رواياته عن أبيه ٦٢١٤، والباقي عن غيره. وأضر في آخر عمره؛ أي صار ضريرا[١].

وترجمه بعض المعاصرين بقوله: إن علي بن إبراهيم بن هاشم أحد مشايخ الشيعة في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وكفى في عظمته أنه من مشايخ الكليني، وقد أكثر في الكافي الرواية عنه، حتى بلغ روايته عنه سبعة آلاف وثمانية وستين موردا. وقد وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ سبعة آلاف ومائة وأربعين موردا[٢].

وعرفه النجاشي بقوله: علي بن إبراهيم، أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت معتمد صحيح المذهب سمع فأكثر وصنف كتبا[٣]. وقال الشيخ الطوسي في الفهرس: علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، له كتب: منها كتاب التفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ.

وثاقة ابراهيم بن هاشم القمي

وثاني الرواة في طريق الرواية المبحوثة والد علي بن ابراهيم القمي فان الشيخ الكليني عنعنها عن علي ابن ابراهيم عن ابيه ابراهيم ابن هاشم. وقد قال عنه الشيخ الطوسي في الفهرست: إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي أصله من الكوفة وانتقل إلى قم وأصحابنا يقولون إنه أول من نشر حديث

(١) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ على النمازي الشاهرودي، ج٥ ص٢٧٨
(٢) كليات في علم الرجال، الشيخ السبحاني، ص٣١٠
(٣) فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) النجاشي، ص٢٦٠

الكوفيين بقم وذكروا انه لقي الرضا عليه السلام. والذي اعرف من كتبه كتاب النوادر وكتاب القضاء لأمير المؤمنين عليه السلام[1].

وقد ترجمه العلامة الحلي بقوله: إبراهيم بن هاشم، أبو إسحاق القمي، أصله من كوفة وانتقل إلى قم، وأصحابنا يقولون: انه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، وذكروا انه لقي الرضا عليه السلام، وهو تلميذ يونس بن عبد الرحمان، ولم اقف لاحد من أصحابنا على قول في القدح فيه، ولا على تعديله بالتنصيص، والروايات عنه كثيرة، والأرجح قبول قوله[2].

وقال عنه ايضاً في التنقيح كما نقل ما لفظه: انه شيخ من مشائخ الإجازة فقيه، محدث من أعيان الطائفة وكبرائهم وأعاظمهم وانه كثير الرواية سديد النقل قد روى عنه ثقات الأصحاب وأجلاؤهم وقد اعتنوا بحديثه وأكثر والنقل عنه كما لا يخفى على من راجع الكتب الأربعة للمشائخ الثلاثة رضي الله عنهم فإنها مشحونة بالنقل عنه أصولا وفروعا[3].

وثاقة الحسن بن محبوب السراد

اما الشخص الثالث الواقع في طريق الرواية فقد قال عنه الشيخ هو الحسن بن محبوب السراد، (بفتح السين المهملة وتشديد الراء) ويقال له الزراد، يكنى أبا علي، مولى بجيلة كوفي، ثقة، روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام وروى عن ستين رجلا من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وكان جليل القدر، يعد في الأركان

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٣٦

(٢) خلاصة الاقوال، العلامة الحلي، ص٤٩

(٣) مقدمة تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج١ ص١٠

الأربعة في عصره، وله كتب كثيرة، منها: كتاب المشيخة، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب الفرائض، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب النوادر، نحو ألف ورقة، وزاد ابن النديم: كتاب التفسير، وله كتاب العتق[1].

(ولد عام ١٤٩هـ وتوفي عام ٢٢٤هـ) كما جاء قد مات الحسن بن محبوب في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان من أبناء خمس وسبعين سنة، وكان آدم شديد الأدمة أنزع سباطا خفيف العارضين ربعة من الرجال يخمع من وركه الأيمن[2].

وقد روى عن أبي الحسن، وأبي الحسن الرضا عليهما السلام. وعن أبي أيوب الخراز (وهو الشخص الرابع في طريق الرواية) حيث تبلغ رواياته عنه تبلغ مائة وستة موارد.

وثاقة ابراهيم بن عيسى الخراز

الشخص الرابع في طريق الرواية المبحوثة هو إبراهيم بن عيسى أبو أيوب الخراز، وقيل: ابن عثمان، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ذكر ذلك أبو العباس في كتابه، ثقة، كبير المنزلة، له كتاب نوادر، روى عنه: الحسن بن محبوب المتقدم الذكر[3].

ترجمه النجاشي في رجاله قائلا: إبراهيم بن عثمان الكوفي، ثقة، له أصل، روى عنه محمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيى. وجاء في الفهرست الشيخ

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٩٦

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٦ ص٩٧

(٣) انظر: فهرست اسماء مصنفي الشيعة، (رجال النجاشي) النجاشي، ص٢٠

الطوسي قال: إبراهيم بن زياد، أبو أيوب الخراز او الخزاز الكوفي، من أصحاب الصادق عليه السلام.

والظاهر أن إبراهيم بن عيسى وابن عثمان وابن زياد واحد كما يظهر من كلام ابن داود. ونسبة إبراهيم هنا إلى زياد من باب النسبة إلى الجد[1]. وهذا ما يجعل شيء من الغبار في طريق اسناد الرواية حيث حصل في اسم ابي ايوب اتحاد بين ثلاث اسماء مما جعل حالة من الاختلاف والسجال فمنهم بل اكثرهم قال يرجعون لاسم واحد والبعض اثار بعض الاستفهامات والملاحظات وحتى في تاريخ الترجمة للخراز حيث قال: والعجب أن ابن داود ذكر في ترجمة إبراهيم بن زياد أنه قيل: ابن عيسى، وقيل: ابن عثمان. ثم ذكره مرة أخرى بعنوان: إبراهيم بن عثمان، وذكر أولا أنه من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، وذكر ثانيا أنه لم يرو عن الأئمة عليهم السلام.

وثاقة بريد بن معاوية

والشخص الخامس في طريق الرواية هو الراوي عن الامام الباقر عليه السلام هذا الحديث اسمه بريد بن معاوية فقد قال عن النجاشي: بريد بن معاوية أبو القاسم العجلي، عربي، روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام، وعده البرقي من اصحاب الامام الصادق عليه السلام ومات في حياة أبي عبد الله عليه السلام، سنة مائة وخمسين، وقيل بقي ما بعد الامام الصادق عليه السلام حيث روى عنه ابن ابي عمير وصفوان وهما لم يدركا الامام الصادق عليه السلام. وكان جه من وجوه أصحابنا،

(١) انظر: نقد الرجال، التفرشي، ج١ ص٧٧

وفقيه أيضا، له محل عند الأئمة، قال أحمد بن الحسين: إنه رأى له كتابا... الخ[1]. بل قالوا انه من افقه الاولين الستة فقد جاء في معجم رجال الحديث: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأصحاب أبي عبد الله عليهما السلام، وانقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبي بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائف، قالوا: وأفقه الستة زرارة[2].

فتحصل ان رجال سند هذا الحديث علماء اجلاء فقهاء وان سنده يتمتع بصحة اعلائية لا سيما القريبين من النص، نعم اتحاد ابو ايوب وتعدد الاسم ربما يوجب نوع من الاضطراب ويؤدي الى تحفظ البعض من القبول ولكن المشهور الا أنّ التعدد يشير الى اسم واحد وهو ابراهيم بن عيسى. وعليه فان هذه الرواية سليمة في الجملة من ناحية السند، ولكن لا يخفى أنّ ليس كل رواية سليمة السند يعمل بمضمونها او تكون في عرف المسلمات فهناك امور اخرى لغربلة الروايات.

وقفة مع كتاب الكافي

من أهم فقرات منهجية قراءت التأريخ والحديث هي الاطلاع والتعرف التام على المؤرخ أو المحدث المتصدر في جذور هذه العلوم والفنون ودراسة الاجواء والجغرافيا والعصر الذي عايشه ومعرفة ابعاده واحتكاكاته مع العلم

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة، (رجال النجاشي) النجاشي، ص٢٠
(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٤ ص١٩٦

والعلماء وكل ما يتعلق به في مجال المعرفة والتوثيق. وايضا التعرف على الكتب الاصلية المتادولة عند اصحابها أو عند القداما والتعرف على عدد نسخاتها المخطوطة ومقابلتها وكيفية تطورها ووصولها لعصرنا فانها واجهت قرون متعددة واعادة في النسخ وقد يقارنها نوع من الزيادة والنقيصة او التصحيف والتغيير وهناك نسخ تختلف في الجملة عن اخواتها فلا يتصور القارئ الكريم ان ما هو موجود اليوم بين الدفتين هو عينه ما كان في عصر المؤلف، وربما هناك كتبا نسبت الى بعض العلماء القداما وهم منها براء. ناهيك عن نسبة روايات اجنبية لكتابه. وعليه لابد ان يأخذ القارئ المثابر المتتبع هذه الملاحظة بعين الاعتبار في حال قراءة امهات كتب التاريخ او امهات كتب الحديث.

فتحصل: ان كتاب الكافي الذي بيننا وبينه أكثر من الف ومأة سنة لم يكن كما هو الحال اليوم من الطبع الحديث وانتشاره في ربوع العالم وترجمته بلغاة متعددة وغير ذلك وانما كان يكتب خطا على قرطاس متواضع وباعداد قليلة وليس بالضرورة اقتناء كل اجزاء من قبل العلماء وكيف كان لابد ان نقف ونلاحظ هذا الجانب بايجاز.

نبذة عن الشيخ الكليني

أبو جعفر (وقد كناه الشيخ الطوسي ﷺ بابي جعفر الأعور وتابعه فقط بهذه الكنية ابن شهر آشوب) [1]. وهو محمد بن يعقوب (وقيل محمد بن علي) بن إسحاق، الكليني الرازي السلسلي (لنزوله درب السلسلة في بغداد)

(١) انظر: المقدمة في كتاب الكافي، للشيخ الكليني، ج١ ص١٣

البغـدادي، ثقـة الاسـلام شـيخ الطائفـة الأول. ولـد في أواخـر حيـاة الامـام العسكري عليه السلام (ولم يذكر التاريخ سنة ولادتـه ولكـن ممكـن القـول ان ولادتـه كانت بعد ولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام بمدة يسيرة، وهذا يعنـي أنـه ولـد بـين ٢٥٤هـ و٢٦٠هـ) في قرية كلين وهي متأرجحة بـين أن تكـون مـن توابـع قـم المقدسة وبين أن تكون من توابع بلاد الري جنوب طهران وهـو الاقـرب؛ لان والده يعقوب الكليني لا زالت مقبرته هناك في كلين التي هي من أعـمال الـري وإحدى قراها.

وقد فتحت مدينة ري في عصر الخليفة الثاني ومن ثم وفد اليهـا الـسادات والعلماء حتى اصبحت من محافل ومرتع العلم في قبال مدينـة قـم ايـضا. وقـد وصفها الاصمعي عروس الدنيا ومتجـر النـاس. وكانـت تـشتهر بالمحاصـيل الزراعية وتعدد الفواكه[1].

المسيرة العلمية للكليني

وقد ترعرع ونشأ الـشيخ الكلينـي في أول حياتـه في مدينتـه الأُم الـري في حجر والده، وأخذ عنه في أوائل سنينه، ثم درس بعد ذلك على مشايخ عصره، وفطاحل العلماء في وقته الذين كانوا في بلاد الري، ثـم أنـه أخـذ عـن المـشايخ القميين بعد ما شد الرحال إليهم.

مع أنه ينتسب إلى بيت أصيل طيب معروف في الري، وقد عرف من رجال هذا البيت عدة من العلماء وحملة الحديث والفقه، منهم: خاله أبو الحـسن عـلي

(١) انظر: الكليني والكافي، الشيخ عبدالرسول الغفار، ص١٣٢

بن محمد المعروف بعلان، ومحمد بن عقيل الكليني، وأحمد بن محمد أخ أبي الحسن. وقد تولى رئاسة فقهاء الشيعة والامامية كما صرح به تاج العروس، وذلك زمن المقتدر بالله العباسي. كان بيته مأوى العلماء، ومجلسه محفلا للعلم والبحث والمناظرة، يقصده الخاص والعام من أهل العلم والعلماء. أما والده يعقوب الكليني فيعد من كبار علماء الإمامية زمن الغيبة الصغرى في (كلين). وفي أواخر حياته ارتحل الى بغداد وكانت من محافل العلم والعلماء وبلد السفراء ووكلاء الامام المنتظر عليه السلام واستقر بها يزاول تدريسه ونشر العلم والاحاديث الى حين وفاته وأصبح من الاعلام المشهورين في زمن الغيبة، بل ومن المقربين إلى النواب الأربعة، ولما كانت له منزلة رفيعة عند أولئك النواب والوكلاء ذاع صيته، وتألق نجمه، وأخذ العلماء يختلفون إليه، وينهلوا من علمه، ويرووا عنه، إلى أن شاع كتابه (الكافي) في بغداد بين الخاص والعام، وأصبح مرجعا للجميع.

وثاقة الشيخ الكليني

لم تكن شهرته ووثاقته مقتصرة فقط على الاوساط الشيعية بل كان علما مشتهرا بعلمه وفضله في جميع الاوساط العلمية من الخاصة والعامة فقد عرفه ابن الأثير في (جامع الأصول) قائلا: أبو جعفر، محمد بن يعقوب الرازي، الفقيه، الامام، على مذهب أهل البيت عليهم السلام، عالم في مذهبه، كبير، مشهور من المجددين لمذهب الامامية على رأس المائة الثالثة[1]. وكانت وفاته على أصح

(١) انظر: الكليني والكافي، الشيخ عبدالرسول الغفار، ص١٦٣

الروايات سنة ٣٢٩هـ كما قال قال النجاشي: ومات أبو جعفر الكليني ﵀ ببغداد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، سنة تناثر النجوم، وصلى عليه محمد بن جعفر الحسيني أبو قيراط، ودفن بباب الكوفة[١]. وقال الشيخ الطوسي في الفهرست: وتوفي محمد بن يعقوب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد، ودفن بباب الكوفة في مقبرتها[٢]. فيكون عمره بين ٦٩ و ٧٥ سنة.

وهكذا قد وثقه كل العلماء المختصون القداما وغيرهم وقد اكثروا بالاطراء والتوثيق له فقد قال الشيخ الطوسي في الفهرست: محمد بن يعقوب الكليني، يكنى أبا جعفر، ثقة، عارف بالاخبار... الخ[٣]. وقال في رجاله: يكنى أبا جعفر الأعور، جليل القدر، عالم بالاخبار، وله مصنفات... الخ[٤]. وقال الحافظ محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني: محمد بن يعقوب الكليني، أبو جعفر الأعور، عالم بالاخبار... الخ. وقال العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر: ومحمد شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم. وقال السيد رضي الدين بن طاووس: الشيخ المتفق على ثقته وأمانته محمد بن يعقوب الكليني. وغيرهم من العلماء الذين ذكروه بالمدح والتوثيق يطول ذكرهم هنا.

---

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة، (رجال النجاشي) النجاشي، ص٣٧٨

(٢) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٢١١

(٣) الفهرست، الشيخ الطوسي، ص٢١٠

(٤) الابواب (رجال الطوسي) الشيخ الطوسي، ص٤٢٩

تراث الكليني

ذكروا له من التراث عشر مؤلفات اذا اعتبرنا كتاب الروضة خارج عن الكافي وهي: كتاب تعبير الرؤيا، كتاب الرجال، كتاب الرد على القرامطة، كتاب، رسائل الأئمة عليهم السلام، كتاب الروضة، كما أفرده ابن شهرآشوب، وجعله كتابا مستقلا عن الكافي، كتاب الكليني ويسمى (الكافي). كتاب ما قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر، كتاب الدواجن والرواجن، الزي والتجمل، كتاب الوسائل.

مميزات كتاب الكافي

يمتاز كتاب الكافي عن باقي الكتب الاربعة وغيرها في انه قريب لعهد النص حيث كان في القرن الثالث الهجري في عصر الغيبة الصغرى حتى قال البعض انه عرض على الامام الحجة عليه السلام وقد استحسنه، كما ذكر ذلك المولى الجليل خليل القزويني حيث صرح أن جميع (الكافي) قد شاهده الصاحب عليه السلام واستحسنه[1]. مع ان المؤلف كان في أواخر عمره قد سكن في بغداد بلد النواب الأربعة ولا يصعب عليه ارساله وعرضه على الامام عليه السلام. نعم اكثر العلماء استبعد عرض الكتاب ولم يثب بدليل الا الظن والحدس الذي لا يغني عن الحق شيئا، ولكن نفس وجوده في هذه الحقبه ومعرفة الامام عليه السلام به والنواب وتداول العلماء لهذا الكتاب ولم يحصل من الامام عليه السلام موقف سلبي اتجاه الكافي

(١) انظر: الكليني والكافي، الشيخ عبدالرسول الغفار، ص٣٩٤

ففيه دلالة على التأييد والقبول في الجملة، وكيف كان ان هذا الكتاب من الناحية الزمانية معاصرا للمعصوم عليه السلام ووسائطه في نقل الاحاديث ليست طويلة.

والميزة الثانية ان مؤلفه تحرى وتحقق في ذكر رواياته وقام في ذكر اسنادها على خلاف ما في الكتب الحديثية الاخرى حتى أخذ وقتا طويلا في جمعه وكتابته حيث استغرق عشرين عاما وجاب به البلدان اضافة الى الري وقم وبغداد وهم كانوا من المدن العلمية المهمة حيث سلط النظر في الدقة والتوثيق للخبر المنقول.

والميزة الثالثة ان ما يقارب أكثر من نصف روايات الكافي اخذت من طريق العالم الكبير المفسر علي بن ابراهيم القمي كما تقدم واكثر ما عند القمي أخذها من ابيه العالم الكبير ابراهيم بن هاشم الكوفي المعاصر للمعصوم عليه السلام وقد التقى الامام الرضا عليه السلام.

الميزة الرابعة: كما جاء بمقدمة الكافي عن المؤلف ان هذا الكتاب عبارة عن رسالة عملية لسؤل بعض المؤمنين له، لان يؤلف له كتابا جامعا يجمع فيه فنون الدين لأجل العمل به. وفعلا فصل المؤلف في المقدمة لتلبية الطلب واتمام عمله، وهذا ما يجعل الكتاب أكثر عمقا وصحة ودقة حيث لم ينظر فيه جمع الاحاديث فقط بل لوحظ فيه انه رسالة عملية ويعمل المؤمنون طبق ما يحمل من مضامين فلذلك استغرق وقتا طويلا لاجل الدقة والتمييز بين الاحاديث وترتيبها ضمن ابواب من اصول وفروع وروضة.

نسخ وتبويب الكافي

من اهم المسائل التي يقف عندها الباحث في هذا المجال هي الوقوف على معرفة النسخ القديمة للكتب الحديثية والتاريخية التي تعد الام والجذور في رفد وتزويد الحركة العلمية ومن هذا المنطلق نقف على معرفة احوال نسخ كتاب الكافي وتبويب احاديثه على نحو الاختصار فقد ذكروا ان تعدد نسخ الكافي قديما اوجدا خلافا بينها حيث توجد احاديث في هذه النسخة ما لم تذكر في غيرها وايضا اختلاف بالابواب والترقيم وما شاكله. فمن النسخ المهمة الحاصلة من تلاميذ وخواص الكليني ﵀ منها: نسخة (الصفواني) وهو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال الصفواني، وكان تلميذه الخاص به، يكتب كتابه (الكافي)، وأخذ عنه العلم والأدب وأجاز له في قراءة الحديث.

ومنها: نسخة (النعماني) وهو أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، المعروف بابن زنب، وكان من خواص تلاميذ الشيخ ﵀، يكتب كتابه (الكافي). ومنها: نسخة (بابويه) وهو الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه. وهناك نسخ مخطوط في قرون متأخرة تحتوي على روايات لم توجد في النسخ الاصلية وعندما طبع الكافي كالنسخة المطبوعة بطهران نسخة دار الكتب الاسلامية اضيفت هذه الروايات مع انها لم توجد في النسخ الاصلية وقد علق على ذلك بعض المصححين والمعلقين والشارحين. نذكر مثالا: في نسخة دار الكتب الاسلامية ذكرت روايتان بعد الحديث الرابع والثلاثين، وقد رمزتا بـ (الف، ب).

قال المصحح والمعلق علي أكبر غفاري في هامش الصفحة ٢٨: هاتان الروايتان المرموزتان بـ(ألف، ب) لم نجدهما في أكثر النسخ التي بأيدينا، وإنما وجدناهما في نسختين مخطوطتين (في حدود القرن العاشر) أثبتناهما هنا مزيدا للفائدة، واقتفاء بالمحدث الكبير المجلسي ﷺ حيث قال في باب حدوث العالم في شرحه للكافي، وعند ذكر الحديث الثالث ما نصه: وليس هذا الحديث في أكثر النسخ لكنه موجود في توحيد الصدوق، ورواه عن الكليني[1].

مطابقة النسخ الحديثة على الاصل

من المسائل البحثية المهمة في تحقيق تراث القدماء هي مطابقة ما هو موجود في النسخ المطبوعة اليوم مع اصولها وامهاتها من النسخ القديمة، فربما هناك اختلاف بينها كمّا وكيفا من العبائر كان أم من الروايات وايضا من الزيادة ام النقيصة كما وجدنا ذلك في كتاب الكافي بحسب ما تقدم، وهذا النوع من الاختلاف وضم بعض الاحاديث للكتاب الام مع انها وجدت متأخرة ومنها لم توجد فيه، بل في غيره من الكتب يعطينا بعدا آخر في مجال البحث والتحقيق في ان هذه النسخة المتداولة والمطبوعة بالاف النسخ فلا نقطع بتمامها هي نفسها التي كانت في عصر مصنفها وتحت اشرافه بل ممكن ان تكون قد اضيفت اليه من قبل بعض النساخ او الشراح او غيرهم، واحيانا كما يحصل باضافة او نقيصة احاديث معينة فقد يحصل ذلك بنفس الحديث الواحد فيمكن ان يحضى باضافة او نقيص.

(١) نقلا عن كتاب الكليني والكافي، الشيخ عبد الرسول الغفار، ص٤٠٠

فالحديث المبحوث مثلاً قد كان من شقين ذات بابين ولكن السياق مرتبط فقد كان الكلام مع الرجل القرشي ويزيد وحصل معه ما حصل ثم ذكر حديث الامام السجاد عليه السلام مع يزيد واكمل الرواية فهي رواية واحدة بظاهرها وسياقها لكن منفصلة بعنوانيين فلا يقطع هل ان حديث يزيد مع الامام السجاد عليه السلام من نفس السياق او وضع من النساخ لتلائمه مع السياق وعلى الثاني يكون فاقدا للسند وهل انه من الكليني نفسه؟ ولذلك نلاحظ ان العلامة الشيخ محمد ري شهري في موسوعته الحديثية ميزان الحكمة عندما ذكر الحديث لم يذكر القسم الثاني الخاص بالامام السجاد عليه السلام مع يزيد بل ذكر فقط القسم الاول يزيد مع الرجل القرشي[1]. وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين عندما لاحظ هذا الحديث قائلا: والأقوى عندي وجود خلل في نسخة الكافي غيرت المعنى[2]. وقد شكى الشهيد الثاني رحمه الله من اشتباهات النساخ وذكر أنه رأى الكليني رحمه الله في المنام: فطلبنا من الشيخ أبي جعفر الكليني المذكور نسخة الأصل لكتابه الكافي لننسخه، فدخل البيت وأخرج لنا الجزء الأول منه في قالب نصف الورق الشامي ففتحه فإذا هو بخط حسن معرب مصحح ورموزه مكتوبة بالذهب، فجعلنا نتعجب من كون نسخة الأصل بهذه الصفة، فسررنا بذلك كثيراً لما كنا قبل ذلك قد ابتلينا به من رداءة النسخ، فطلبت منه بقية الأجزاء فجعل يتألم من تقصير الناس في نسخ الكتاب وتصحيحه... الخ[3].

(١) راجع: ميزان الحكمة، محمد ري شهري، ج١ ص٥٨٢
(٢) جواهر التاريخ، الشيخ علي الكوراني، ج٤ ص٣٣٣
(٣) مقدمة مسالك الأفهام، ج١ ص٢١

وكل ما تقدم يعد نوع من الملاحظة والاستفهام على هذا الحديث المبحوث. فليس بعيدا ان يكون الحديث المبحوث اجنبياً تماماً عن كتاب الكافي، وقد اضيف اليه من قبل النساخ عبر مراحل التاريخ والله أعلم.

ابواب الكافي وأحاديثه

اختلف المحدثون وغيرهم في عدد واحصاء الروايات الواردة في كتاب الكافي والظاهر ان السبب في ذلك ما تقدم من عدم تطابق النسخ كما وكيفا فحصل هذا الارتباك في ضبط عدد رواياته فقد عدها الشيخ المجلسي في مرآة العقول (١٦١٢١) حديثا (وقال) الصحيح منها: ٥٠٧٢. والحسن: ١٤٤. والموثق: ١١١٨. والقوي: ٣٠٢. والضعيف: ٩٤٨٥[١]. وعدها بعض المتأخرين (١٥٣٢) حديثا. وبعضهم كما في لؤلؤة البحرين (١٦١٩٩) حديثا[٢]. وهذه الاحاديث بوبت في كتاب الكافي في ثمان مجلدات من ثلاثين كتابا كما ذكر النجاشي والشيخ الطوسي ﵀ حيث قال: له كتب منها: كتاب (الكافي) يشتمل على ثلاثين كتابا: أوله كتاب العقل... الخ[٣]. وهذه الكتب تحتوي على ثلاثة اقسام رئيسية الاول في الاصول؛ ويسمى اصول الكافي (وهي الاعتقادات ككتاب العقل والتوحيد والحجة... الخ). والقسم الثاني في الفروع: ويسمى فروع الكافي (ككتاب الصلاة والصوم والديات... الخ)

(١) مرآة العقول، المجلسي، ج٢ ص٤٣٧.
(٢) لؤلؤة البحرين، ٢٣٨
(٣) رجال الطوسي، ص١٣٥. رجال النجاشي، ص٣٧٧

والقسم الثالث الخاتمة وهو ما يسمى بالروضة يقع في المجلد الثامن من الكافي ويحتوي على (٥٩٧) حديثا. وقد كثر الحديث حول كتاب الروضة عند العلماء المتقدمين، فمنهم جعله بين كتاب العشرة وكتاب الطهارة، ومنهم من جعله مصنفا مستقلا عن الكافي، وقسم ثالث تردد في نسبته للمصنف، بل في كلمات بعض المتأخرين نفاه عن الكليني ونسبه إلى ابن إدريس صاحب السرائر. منهم المولى خليل القزويني قال: وأن الروضة ليس من تأليف الكليني، بل هو من تأليف ابن إدريس[1]. وحتى لو ثبت انه من الكافي لم يصل الى درجة القسمين الاولين من الاصول والفروع بل مجرد ذكر روايات من دون ان يؤكد عليها ويهتم بها كما في القسمين كما استظهر ذلك بعض الاساطين المتضلعين من المعاصرين في هذا المجال. وهو ما ينفع في مقام بحثنا حيث ان حديثنا المبحوث ورد في كتاب الروضة الجز الثامن وهو كما لاحظت من الاشكلات والاختلافات حول هذا الكتاب فتكون الرواية في هذا الحال من النواحي السندية مضطربة وغير مقطوعة وثابتة.

مخالفة الحديث لكتب التاريخ والسير

اجمع اصحاب السير والتاريخ ان يزيد بن معاوية بعد خلافته لم يسافر الى بلد ما، بل بقي في الشام الى ان هلك بعد مقتل الحسين عليه السلام كما ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في البحار معلقا ومستنكرا على هذا الحديث قائلا: ثم اعلم أن في هذا الخبر إشكالا وهو أن المعروف في السير أن هذا الملعون لم يأت المدينة بعد

(١) راجع خاتمة المستدرك، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج٣ ص٥٣٦

الخلافة، بل لم يخرج من الشام حتى مات ودخل النار، فنقول: مع عدم الاعتماد على السير لا سيما مع معارضة الخبر، يمكن أن يكن اشتبه على بعض الرواة، وكان في الخبر أنه جرى ذلك بينه عليه السلام وبين من أرسله الملعون لاخذ البيعة وهو مسلم بن عقبة[1].

الامام السجاد عليه السلام وابن عقبة

ربما يقال ان هذه الحادثة حصلت ولكن ليس مع يزيد بل مع قائد جيشة مسلم بن عقبة؟.

فنقول حتى هذا قطعا لم يحصل مع الامام السجاد عليه السلام من قبل رسول يزيد وقائد جيشه مسلم بن عقبة؛ وذلك ان الامام السجاد عليه السلام بل كل بني هاشم لم يدخلوا مع ثوار أهل المدينة البتة كما ذكر المؤرخون منهم ابن سعد المتوفى (٢٣٠هـ) في الطبقات الكبرى ذكر عن يحيى بن شبل عن أبي جعفر أنه سأله عن يوم الحرة هل خرج فيها أحد من أهل بيتك فقال ما خرج فيها أحد من آل أبي طالب ولا خرج فيها أحد من بني عبد المطلب لزموا بيوتهم[2]. وربما لامور نشير لها على سبيل الاختصار الشديد، منها: يعلم الامام عليه السلام ان هذه الثورة فاشلة ومصيرها قتل الابرياء وهتك الاعراض كما حصل بالفعل حيث استبيحت ثلاثا للهتك والنهب، وهذا ما ميز ثورة الحسين عليه السلام فانه ابعدها عن المدن كي تذهب ضحيتها الابرياء والعزل... وثانيا: ان دور الثورة والشهادة

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٤٦ ص١٣٨
(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٥ ص٢١٥

قام به والده عليه السلام وقد استنهض اهل المدينة بالخروج وعرف لهم يزيد لكن لم ينصروه ويعاضدوه. فإن فالامام عليه السلام يحمل رسالة اخرى ودور آخر في نصرة الدين والرسالة كما هو مفصل في محله. وثالثا: ان بني هاشم لاسيما الامام السجاد عليه السلام لهم المكانة والهيبة والنفوذ في نفوس الامة وقد شاهد يزيد واعوانه ردت الفعل الكبيرة التي حصلت بعد قتله الحسين عليه السلام وتعاطف الناس وارتفاع بيارغ وشعارات اخذ ثأر الحسين عليه السلام وغير ذلك مما يصعب على رسول يزيد والامويين ان يعيدوا الكرة ثانية في ظل ظروف صعيبة عليهم. مع انه يقال من قبل بعض المؤرخين انه عليه السلام آوي بعض العوائل الاموية بدافع انساني، بعد رفض البعض من ايوائهم، كما جاء في الطبري قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان ابن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم بن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علي بن الحسين وقال يا أبا الحسن إن لي رحما وحرمي تكون مع حرمك فقال أفعل فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم ينبع[1]. فهذا وغيره لم يجعل ابن عقبه وغيره ان يتجرئ على الامام السجاد عليه السلام ولذلك الشواهد التأريخية كثيرة في انه استقبل الامام السجاد عليه السلام واجلسه الى جنبه واكرمه بخلاف باقي الشخصيات من الصحابة وغيرهم. كما جاء في تاريخ الطبريقال: (قال هشام) قال وقال عوانة بن الحكم لما أتى بعلى بن الحسين إلى مسلم قال من هذا قالوا هذا علي بن الحسين قال مرحبا وأهلا ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال إن أمير

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج٤ ص٣٧٢

المؤمنين أوصاني بك قبلا وهو يقول إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ثم قال لعلي لعل أهلك فزعوا قال أي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها[1]. وقريب من هذا الكلام جاء في طبقات ابن سعد الذي يعد الاقدم من تاريخ الطبري حيث قال: فلما قدم مسرف وقتل الناس وسار إلى العقيق سأل عن أبي علي بن حسين أحاضر هو فقيل له نعم فقال ما لي لا أراه فبلغ أبي ذلك فجاءه ومعه أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن علي بن الحنفية فلما رأى أبي رحب به وأوسع له على سريره ثم قال له كيف كنت بعدي قال إني احمد الله إليك فقال مسرف إن أمير المؤمنين أوصاني بك خيرا فقال أبي وصل الله أمير المؤمنين قال ثم سألني عن أبي هاشم والحسن ابني محمد فقلت هما ابنا عمي فرحب بهما وانصرفوا من عنده[2]. فتحصل ان بيعة الامام السجاد عليه السلام كما هي في الحديث المبحوث ضرب من الخيال حتى مع مسلم بن عقبة كما هو واضح.

الظروف تمنع يزيد من السفر

بعد خلافة يزيد بن معاوية التي استغرقت ثلاثة سنين بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام حتى هلك، وما بدر منه في قتل الامام الحسين عليه السلام قد حصلت أحداث امنية وسياسية لا سيما في مكة والمدينة منها: قيام ابن الزبير بالثورة ضد يزيد ووظف وجُيّر مقتل الامام الحسين عليه السلام سياسيا لصالحه في انجاح ثورته

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج٤ ص٣٧٩
(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٥ ص٢١٥

ورفع شعار (يا لثارات الحسين) ليستقطب بذلك مشاعر واحاسيس الناس، كما جاء في تاريخ الطبري عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل قال حدثني أبي قال لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله أن أهل العراق غدر فجر إلا قليلا وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق وأنهم دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا إليه...(الى ان قال) أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا لا ولا نراهم لذلك أهلا... الخ[1]. وقد هيمن على مكة وبقيت تحت سلطته الى ما بعد هلاك يزيد بن معاوية فكيف يمكنه الذهاب الى الحج في ظل هذه الظروف الحرجة، بل يستحيل عليه ذلك حيث انها تحت هيمنة عدوه عبدالله ابن الزبير.

المواقف البطولية للامام عليه السلام

الثابت في محله بالادلة القطعية عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والمراد منها هي ان الامام عليه السلام متكامل الصفات من العلم الحلم والشجاعة وغيرها وعليه فتكون من مستلزمات العصمة الشجاعة وهذا ما اشار لها الامام السجاد عليه السلام في حال اسره وهو في مجلس يزيد وحاشيته واصحابه بقوله عليه السلام: (... أيها الناس، أعطينا ستا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين... الخ)[2]. في تلك الاجواء الحرجة

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج٤ ص٣٦٤
(٢) معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري، ج٣ ص١٦٥

المشحونه المرعبة حيث ادخل الامام عليه السلام بعد المعاناة من الاسر والطريق وما لاقى من المآسي مع رأس ابيه ورؤس اهل بيته عليهم السلام وحريم بني هاشم ولكن كل ذلك لم يثنيه على كلمة الحق امام السلطان الجائر بكل شجاعة وبلاغة وحماس بعدما سمع الخطيب الاموي ينال من امير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام بامر من يزيد فقد انزله وارتقى الاعواد وعرفهم بابعاد وصفات الامامة والعصمة ومنها الشجاعة حتى قلب الطاولة على يزيد واعوانه.

نماذج من شجاعة الامام السجاد عليه السلام

نذكر بعض النماذج من بسالة الامام عليه السلام ومدى شجاعته في ظروف مرعبة وامام غطرسة وفرعنة لا نظير لها ومسرفة في القتل امثال ابن زياد ويزيد:

النموذج الاول: مع يزيد بن معاوية

جاء في فتوح ابن اعثم الكوفي المتوفى سنة (٣١٤هـ) قال: ثم دعا يزيد بالخاطب وأمر بالمنبر فأحضر، ثم أمر الخاطب فقال: اصعد المنبر فخبر الناس بمساوئ الحسين وعلي وما فعلا! قال: فصعد الخاطب المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل. قال: فصاح علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدك من النار. ثم قال علي بن الحسين: يا يزيد أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء وأجر وثواب؟ قال: فأبى يزيد ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد المنبر لعلنا نسمع منه شيئا! فقال: إنه إن صعد المنبر لم

ينزل إلا بفضيحتي أو بفضيحة آل سفيان، قيل له: يا أمير المؤمنين! وما قدر ما يحسن هذا؟ قال: إنه من نسل قوم قد رزقوا العلم رزقا حسنا. قال: فلم يزالوا به حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس! أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفا، أنا ابن خير من حج وطاف وسعى ولبى، أنا ابن خير من حمل البراق، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء! قال: فلم يزل يعيد ذلك حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب. قال: وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن فقال: اقطع عنا هذا الكلام! قال: فلما سمع المؤذن قال: الله أكبر! قال الغلام: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله! قال الغلام: يشهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله! التفت علي بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته؟[1]. فهذا يعبر عن مدى وشجاعة الامام عليه السلام امام طاغية زمانه في عقر قصره وعاصمته فكيف يستسلم له (أو لغيره) ويقر له بالعبودية كما في الحديث المبحوث؟

(١) الفتوح، احمد ابن اعثم، ج٥ ص١٣٣

النموذج الثاني: موقف آخر مع يزيد بن معاوية

ايضا هناك موقف بطولي آخر في مجلس يزيد في حال أسره وادخاله على يزيد امام الملأ من الامويين وغيرهم مع تلك الاجواء الملتهبة المرعبة حيث يعمد الامام عليه السلام بكل شجاعة الى محاورة يزيد وتوبيخه وافحامه امام الجمع الغفير كما ذكر ذلك جملة من المؤرخين القداما على رأسهم ابن اعثم في فتوحه حيث قال: فتقدم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي يزيد بن معاوية وجعل يقول:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فالله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: صدقت يا غلام ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي أذل هما وسفك دماءهما، فقال له علي بن الحسين: يا بن معاوية وهند وصخر! لم يزالوا آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من قبل أن نلد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار، ثم جعل علي بن الحسين يقول: ما ذا تقولون إن قال النبي لكم، ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتي وبأهلي بعد منقلبي، منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: ويلك يا يزيد! إنك لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال و فرشت الرماد! ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين ابن فاطمة وعلي عليه السلام منصوبا على باب المدينة! وهو وديعة

رسول الله ﷺ فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غدا إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه[1]. فهذا يعبر عن مدى شجاعة الامام عليه السلام وتوبيخة لطاغية عصره وافحامه ولم يكن باستطاعة يزيد ان يقتل الامام عليه السلام لهيبته ومدى شجاعته وبلاغته والتحكم في ادارة الحوار وليس ببعيد ان يكون من فرض هيبته واستعمال الولاية الخاصة التي اخضع بها الاعداء حتى في عنفوانهم وعقر دارهم كما حصل مع نبي الله موسى عليه السلام وفرعون حيث اخضع فرعون للمنازلة والتسليم، وكما تشير شواهد اخرى حتى مع مسلم بن عقبه بعد واقعة الحرة واستباحة المدينة، كما ذكر المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ) في المروج قال: ونظر الناس الى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتى به إلى مُسْرِف وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سَلْنِي حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف إلا شفَّعه فيه، ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم ربَّ السموات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربَّ العرش العظيم، ربَّ محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرأ بك في نَحْره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره، وقيل لمسلم: رأيناك تسبُّ هذا الغلام وسَلَفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئَ قلبي منه رعباً[2]. نستوحي من هذا ان الامام عليه السلام يمتلك القوة الربانية في اخضاع الطغاة واذلالهم وبيان المعارف الدينية وابعاد

(١) الفتوح، احمد ابن اعثم، ج٥ ص١٣١

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ج٣ ص٧٠

اهل البيت عليهم السلام فكيف يتسنى ليزيد ام غيره ان يخضع الامام عليه السلام للاقرار بالعبودية ليزيد.

النموذج الثالث: الامام عليه السلام مع ابن زياد

موقف بطولي مخلد آخر يذكره المؤرخون القداما للامام السجاد عليه السلام في اشد واحلك الظروف المرعبةالحساسة مع اعتى أهل زمانه واشدهم قسوة وسفكا للدما وابغضهم لأهل بيت النبوة عليهم السلام؛ وذلك عندما ادخلوه عليه السلام مع عمته زينب بنت امير المؤمنين عليها السلام الى مجلس عبيدالله بن زياد في الكوفة اروقة قصر الامارة، وبعد ما حصلت مشادة كلامية بينه وبين عقيلة الهاشميين زينب بنت امير المؤمنين عليها السلام بعدما اراد ان يكسر قلبها ويتشمت بها القمته حجرا وافحمته بحسن خطابها وقوة جئشها، ثم التفت بعنفوانه وغيضه مما حصل الى الامام السجاد عليه السلام قاصدا تمرير اعتقاده الباطل من ان مقتل الامام الحسين عليه السلام حصل بجبر من الله، ولكن قد تلقى الجواب الملجم المفحم من قبل الامام عليه السلام فلم يكن له بدا الا ان امر بضرب عنق الامام عليه السلام مما جعل السيدة زينب عليها السلام تلقي بنفسها عليه واقسمت ان لا يقتل الا وان تقتل معه، واعجب الاعاجيب ان الامام عليه السلام في تلك اللحظة الرهيبة وما كان بينه وبين الموت الا امرار سيف او ضربة رمح واذا به عليه السلام ينحي عمته ويامرها بالسكوت مقبلا على ابن زياد موبخا وموضحا بكل شجاعة وبسالة قائلاً: ان القتل لنا عادة وكرامة من الله فلا نبالى نخاف، كما ذكر ذلك ابن اعثم في فتوحه، قال: فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال: أو لم يقتل علي بن الحسين؟ قال: ذاك أخي وكان أكبر

مني فقتلتموه وإن له مطلا منكم يوم القيامة، فقال ابن زياد: ولكن الله قتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ ... إلى ان قال خذه إليك الآن فاضرب عنقه! قال: فتعلقت به عمته زينب بنت علي وقالت له: يا بن زياد إنك لم تبق منا أحدا، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه. فقال علي بن الحسين لعمته: اسكتي حتى أكلمه! ثم أقبل علي عليه السلام على ابن زياد فقال: أبالقتل تهددني؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة! قال: فسكت ابن زياد ثم قال: أخرجوهم عني[1]. ومما يميز هذا المرجع والموثق لهذا الحدث اضافة الى قدمه (حيث معاصرا للطبري زمانا) وتخصصه بتوثيقه الحوادث التاريخية، انه من اهل الكوفة التي حصل بها الحدث وهذا مما يجعله اقرب للواقع؛ لكون من أهل البلد وهم ادرى بشعابها من غيره، اما يسمعه من قبيل الاحفاد حيث تتداوله الاجيال من اهل البلد، او يقع بيده مخطوطا من قبل العلماء المعاصرين او القريبين الموثقين للحادثة. وهذا الموقف البطولي من الامام السجاد عليه السلام يعبر بوضوع وجلاء تكذيب الحديث المبحوث في خضوع الامام عليه السلام ليزيد والاقرار له بالعبودية؟

مخالفة الحديث لاهداف الثورة الحسينية

عندما نطلع على اهداف ثورة الامام الحسين عليه السلام والتي صدع بها مرارا وتكرارا حتى اصبحت من المقولات البديهية وهي رفض الذل والخنوع

(١) الفتوح، احمد بن اعثم الكوفي، ج٥ ص١٢٣. اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص٩٥

ومبايعة الاشرار الفسقة، كما هو منطق القرآن الكريم والشريعة بشكل عام ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ونذكر بعض مبادئ الثورة الحسينية التي أكد عليها الامام الحسين عليه السلام ورسخها الامام السجاد عليه السلام بمواقفه وخطبه؟

مثلي لا يبايع مثله

قد اكد الامام الحسين عليه السلام على مناهضة الظالمين واعطى قاعدة عامة في ذلك كما ورد في جملة من النصوص التي تداولها العلماء من المؤرخين والمحدثين عبر القرون والاجيال والملفت كما يشير محققو التاريخ أن أول قضية علّل الحسين بها خروجه هي (ومثلي لا يبايع مثله)، بعدما خاطب والي المدينة عندما عرض عليه بيعة يزيد قال له عليه السلام: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله[1]. فالذي يسير على نهج الانبياء والاوصياء وطريق الحق كيف يصح له مبايعة ومساندة من هو على طريق الفراعنة والباطل؟ فكيف يمكن للامام السجاد عليه السلام وهو الوصي والمعصوم والقدوة ان يخضع ليزيد بالقنية؟ مع ان البيعة محرمة على يزيد وامثاله، فالامام الحسين عليه السلام قد رسم قاعدة تسير عليها الأحرار عبر الأجيال من مناهضة الظالمين وعدم اعطائهم البيعة، فكيف نتصور أنّ ابنه السجاد عليه السلام يخرق هذه القاعدة.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص١٧

هيهات منّا الذلة

ايضا يذكر جملة من المحدثين رفضه عليه السلام للذلة والخضوع وكان من اهداف ثورته عليه السلام المباركة حيث قال: ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلا، ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني! هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، الأواني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر[1].

ولا أفرّ فرار العبيد

وايضا هو القائل يوم الوغي في الطف عندما بقي بين الاعداء يقاتلهم وحيدا: لا والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد، ثم نادى: يا عباد الله اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن من بيوم الحساب. وقال: موت في عز خير من حياة في ذل.

وأنشأ عليه السلام في يوم قتله:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار[2]

وغيرها من الشواهد الجلية التي رسمت هدفا ساميا في ثورة والده الحسين عليه السلام واعطيت لاجلها الدماء الزكية الطاهرة؛ لتكون منارة ومنهجا لكل

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج٢ ص٢٤

(٢) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص٢٢٤

الاحرار والتخلص من اجواء الركـون والعبوديـة للـصنمية البـشرية والامـام السجاد عليه السلام المكمل لهذه الاهداف والخطوات وهـو عـلى نهـج أجـداده وآبائـه فكيف يعقل ان يقر ليزيد بالعبودية؟ ويخالف اهداف ثورة والـده عليه السلام ومـنهج اجداده عليهم السلام؟.

فتحصل مما تقدم ان هذا الحديث بكـل ابعـاده مجـرد سفـسطة لا تمـت الى الواقع بصلة بكل الموازين والاعتبارات العلمية والعرفية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* نهج البلاغة

١ـ الفهرست، الشيخ الطوسي، الشيخ جواد القيومي، الطبعة: الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي

٢ـ القواعد الفقهية، البجنوردي، تحقيق: مهدي المهريزي ـ محمد حسين الدرايتي، الطبعة: الأولى المطبعة: الهادي

٣ـ الكافي، الشيخ الكليني، الناشر، دار الكتب الإسلامية، طهران تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة،

٤ـ المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠ ــ ١٣٣٠ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران

٥ـ تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ـ قم ـ ايران

٦ـ جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران

٧ـ حاشية الفقه على المذاهب الاربعة ومذهب أهل البيت، الجزيري الغروي.

٨ـ شرائع الاسلام، المحقق الحلي، سنة الطبع، ١٤٠٩، الناشر، انتشارات استقلال ـ طهران، تحقيق، مع تعليقات: السيد صادق الشيرازي

٩ـ فهرست اسماء مصنفي الشيعة، رجال النجاشي، النجاشي، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٦، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٠ـ موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مدرسة الامام الصادق عليه السلام، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
١١ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ المطبعة: مهر ـ قم.
١٢ ـ وفيات الأئمة. من علماء البحرين والقطيف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ ــ ١٩٩١م، الناشر: دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.
١٣ ـ اسد الغابة، ابن الاثير، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان
١٤ ـ قاموس الرجال، التستري، سنة الطبع: ١٤١٩هـ قم، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعه المدرسين بقم المشرفة
١٥ ـ الاستبصار، الشيخ الطوسي، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران
١٦ ـ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية / مؤسسة البعثة ـ قم
١٧ ـ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي
١٨ ـ الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠ ـ ١٣٨٨هـ ، المطبعة: دفتر تبليغات اسلامي
١٩ ـ الغدير، الاميني، لطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٩٧ ــ ١٩٧٧م، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان
٢٠ ـ الكافي، الشيخ الكليني، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران
٢١ ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤١٩، الناشر: نشر القيوم ـ قم ـ ايران
٢٢ ـ المعارف، ابن قتيبة الدينوري، سنة الطبع: ١٩٦٩، الناشر: دار المعارف بمصر
٢٣ ـ المعجم الاوسط، الطبراني، سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع
٢٤ ـ المعجم الكبير، الطبراني، الناشر: دار إحياء التراث العربي

٢٥ ـ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، سنة الطبع: ١٤٠٤ ـ ١٣٦٢ ش، المطبعة: مطبعة الأحمدي ـ طهران
٢٦ ـ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، سنة الطبع: ١٤١٥، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، على شيري
٢٧ ـ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة: الأولى، محرم ١٤١٤هـ المطبعة: مهر ـ قم.
٢٨ ـ تفسير الامثل، الشيخ مكارم الشيرازي، النسخة العربية
٢٩ ـ تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، تحقيق: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين. الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان
٣٠ ـ اسباب نزول الايات، الواحدي النيسابوري، سنة الطبع: ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨م الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
٣١ ـ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس/ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.
٣٢ ـ جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٣ ـ روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الاول، تحقيق: نمقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه «السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي»، الناشر: بنياد فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور
٣٤ ـ زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الاردبيلي، تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ـ طهران.
٣٥ ـ زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، تحقيق: مؤسسة المعارف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣، المطبعة: عترت
٣٦ ـ سعد السعود، ابن طاوس، سنة الطبع: ١٣٦٣هـ المطبعة: أمير ـ قم
٣٧ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٤م، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت
٣٨ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق: تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م الناشر: المكتب الإسلامي

٣٩ ـ فقه الإمام الصادق عليه السلام، محمد جواد مغنية، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢١ ــ ١٣٧٩ ش المطبعة: الصدر ـ قم الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم
٤٠ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن ابي الفتح الأربلي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م، الناشر: دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان
٤١ ـ لسان العرب، ابن منظور، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥، الناشر: نشر أدب النحو
٤٢ ـ مستدرك الوسائل، النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤٠٨ ــ ١٩٨٧م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان
٤٣ ـ مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
٤٤ ـ مجمع البحرين، الطريحي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: شهريور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانهء طراوت، الناشر: مرتضوي
٤٥ ـ معجم البلدان، الحموي، سنة الطبع: ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان
٤٦ ـ معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٢م
٤٧ ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري
٤٨ ـ مناقب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، سنة الطبع، محرم الحرام ١٤١٢، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم المقدسة، تحقيق، الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعةالأولى
٤٩ ـ مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام، ابن المغازلي، سنة الطبع، ١٤٢٦ ــ ١٣٨٤ ش الناشر، انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، الطبعةالأولى.
٥٠ ـ منتهى المطلب، العلامة الحلي، الناشر، مجمع البحوث الإسلامية، ايران ـ مشهد، تحقيق، قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعةالأولى
٥١ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، الناشر، بنياد فرهنگ امام المهدي عجل الله فرجه تحقيق، سيد إبراهيم الميانجي، الطبعةالرابعة
٥٢ ـ نقد الرجال: التفرشي، الناشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى

٥٣ ـ شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، الناشر، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ قم ـ إيران، تحقيق، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي
٥٤ ـ الإرشاد، الشيخ المفيد، الناشر، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث الطبعةالثانية
٥٥ ـ الخرائج والجرائح، القطب الروانديّ، سنة الطبع، ذي الحجة ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي ـ قم المقدسة، تحقيق، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه / بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعةالأولى، كاملة محققة
٥٦ ـ الامالي، الشيخ الصدوق، الناشر، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم، الطبعةالأولى
٥٧ ـ الخصال، الشيخ الصدوق، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري
٥٨ ـ عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي
٥٩ ـ موسوعة التاريخ الاسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، الناشر، مجمع الفكر الإسلامي ـ قم، الطبعةالأولى
٦٠ ـ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، الناشر، دار الذخائر ـ قم ـ إيران، تحقيق، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعةالأولى
٦١ ـ المزار، الشيخ المفيد، الناشر، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، السيد محمد باقر الأبطح، الطبعةالثانية
٦٢ ـ بحار الانوار، المجلسي، الناشر، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي الميانموي، الطبعةالثانية المصححة
٦٣ ـ جواهر التاريخ، الشيخ علي الكوراني، الناشر، دار الهدى، الطبعة، الأولى
٦٤ ـ سنن ابي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، الطبعةالأولى
٦٥ ـ مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، سنة الطبع: ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠م، الناشر، منشورات المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، الطبعةالأولى
٦٦ ـ مرآة العقول، المجلسي، سنة الطبع، ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش، الناشر، دار الكتب الإسلامية، تحقيق، قدّم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري ـ إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرسولي، الطبعةالثانية

٦٧ ـ مقدمة مسالك الأفهام، الشهيد الثاني، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣ ـ قم، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم إيران.
٦٨ ـ مكارم الاخلاق، الشيخ الطبرسي، الطبعة: السادسة، سنة الطبع: ١٣٩٢ ــ ١٩٧٢م، الناشر، ردمك.
٦٩ ـ اختيار معرفة الرجال (للكشي)، الشيخ الطوسي، سنة الطبع، ١٤٠٤، الناشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، تصحيح وتعليق: مير داماد الأستارابادي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي
٧٠ ـ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، الناشر، طبعة مصورة عن طبعة مؤسسة الجواد في بيروت، تاريخ الإصدار سنة ١٤٠٣هـ .
٧١ ـ الآداب المعنوية للصلاة، الامام الخميني.
٧٢ ـ الامالي، الشيخ المفيد. سنة الطبع، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، الناشر، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري
٧٣ ـ امالي الشيخ الطوسي، سنة الطبع، ١٤١٤، الناشر، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ـ قم، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة
٧٤ ـ الحبل المتين، (ط، ق) الشيخ البهائي العاملي، الناشر، منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم
٧٥ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان المدني الشيرازي، سنة الطبع ١٣٩٧، الناشر، منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم
٧٦ ـ الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي، سنة الطبع: ١٤٠٧، الناشر، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ قم، تحقيق، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
٧٧ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، الناشر، دار صادر ـ بيروت.
٧٨ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، احمد بن عبدالله الطبري، سنة الطبع، ١٤٢٨ ق، الناشر، مؤسسه دار الكتاب الإسلامى ـ قم
٧٩ ـ الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، سنة الطبع، ١٤١٠ ق، الناشر، دار الكتاب الإسلامي ـ قم، محقق / مصحح: حسيني، عبدا لزهراء
٨٠ ـ الفتوح، احمد بن اعثم الكوفي، سنة الطبع، ١٤١١، الناشر، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق، علي شيري
٨١ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، سنة الطبع ١٤١٧، الناشر، أنوار الهدى ـ قم ـ ايران

٨٢ ـ المغازي، للواقدي، سنة الطبع، رمضان ١٤٠٥، الناشر، نشر دانش إسلامي، تحقيق، الدكتور مارسدن جونس
٨٣ ـ المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، سنة الطبع، ١٤٢٤، الناشر، مكتبة المحلاتي ـ قم ـ إيران.
٨٤ ـ الوافي بالوفيات، الصفدي، سنة الطبع، ١٤٢٠ ــ ٢٠٠٠م، الناشر، دار إحياء التراث، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
٨٥ ـ المجازات النبوية، الشريف الرضي، الناشر، منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم، تحقيق وشرح: طه محمد الزيتي
٨٦ ـ الرسائل الرجالية، محمد ابراهيم الكلباسي، سنة الطبع، ١٤٢٢ ـ ١٣٨٠ ش، الناشر، دار الحديث، تحقيق، محمد حسين الدرايتي
٨٧ ـ تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء
٨٨ ـ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، الناشر، المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران، تحقيق، الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي
٨٩ ـ حاشية كتاب من لا يحضره الفقيه، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين
٩٠ ـ دعائم الاسلام، القاضي النعمان المغربي، الناشر، دار المعارف بمصر ـ القاهرة، تحقيق، آصف بن علي أصغر فيضي، الطبعةالثانية
٩١ ـ خاتمة المستدرك، ميرزا حسين النوري الطبرسي، سنة الطبع، محرم ١٤١٦، الناشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ إيران تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
٩٢ ـ الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني، الناشر، دار إحياء التراث العربي
٩٣ ـ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، سنة الطبع، ١٣٨٩هـ.ش، الناشر، مؤسسه علمى فرهنگى دار الحديث، سازمان چاپ و نشر ـ قم ـ ايران
٩٤ ـ رجال ابن الغضائري، احمد بن الحسين الغضائري، سنة الطبع: ١٤٢٢ ـ ١٣٨٠ ش، الناشر، دار الحديث، تحقيق، السيد محمد رضا الجلالي
٩٥ـ رجال ابن داود الحلي، سنة الطبع، ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢م، الناشر، منشورات مطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم

٩٦ ـ الأبواب رجال الطوسي، للشيخ الطوسي، سنة الطبع، رمضان المبارك ١٤١٥، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق، جواد القيومي الإصفهاني
٩٧ ـ رجال النجاشي، للسيد محمد علي الأبطحي، سنة الطبع، ١٤١٧، الناشر، ابن المؤلف السيد محمد ـ قم المقدسة
٩٨ ـ رسائل الشريف المرتضى، تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني / سنة الطبع: ١٤٠٥، الناشر، أيران، قم
٩٩ ـ شرح الاخبار، القاض النعمان المغربي، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق، السيد محمد الحسيني الجلالي
١٠٠ ـ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعةالأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ ـ ١٩٥٩م، الناشر، ردمك، أيران قم
١٠١ ـ دراسات في ولاية الفقيه، الشيخ منتظري، سنة الطبع، شوال ١٤٠٩، الناشر، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعةالثانية في ايران
١٠٢ ـ صحيح البخاري، سنة الطبع، ١٤٠١ ــ ١٩٨١م، الناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
١٠٣ ـ صحيح مسلم، سنة الطبع، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م، الناشر، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان
١٠٤ ـ علل الشرائع، الشيخ الصدوق، سنة الطبع، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦م، الناشر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ـ النجف الأشرف، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم
١٠٥ ـ قواعد الحديث، محيي الدين الموسوي الغريفي، سنة الطبع، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م، الناشر، دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان
١٠٦ ـ لؤلؤة البحرين، المحقق البحراني، الناشر، من مخطوطات موقع مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث
١٠٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، سنة الطبع، ١٤٠٤ ــ ١٣٦٣ ش ـ ١٩٨٤م، الناشر، منشورات دار الهجرة ايران ـ قم
١٠٨ ـ مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، الناشر، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان
١٠٩ ـ مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة، المير جهاني، سنة الطبع، ١٣٨٨
١١٠ ـ معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري، سنة الطبع، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠م، الناشر، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان

١١١ ـ مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي العاملي، الناشر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان
١١٢ ـ مقاتل الطالبيين، ابي الفرج الاصفهاني، سنة الطبع، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م، الناشر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ـ النجف الأشرف، تقديم وإشراف: كاظم المظفر
١١٣ ـ مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، سنة الطبع، ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦م، الناشر، مطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، تحقيق، لجنة من أساتذة النجف الأشرف
١١٤ ـ منتهى المقال في أحوال الرجال، الشيخ محمد بن اسماعيل المازندراني، سنة الطبع، رجب ١٤١٦، الناشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم
١١٥ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، سنة الطبع، ١٩٥٩م، الناشر، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، تحقيق، الدكتور محمد حميد الله
١١٦ ـ طرائف المقال، السيد علي البروجردي، سنة الطبع، ١٤١٠، الناشر، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم المقدسة، تحقيق، السيد مهدي الرجائي
١١٧ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة. آقا بزرك الطهراني، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م، الناشر: دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان
١١٨ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، سنة الطبع، ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م، الناشر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري
١١٩ ـ المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ابن الجوزي، سنة الطبع، ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م، الناشر، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا / / راجعه وصححه: نعيم زرزور
١٢٠ ـ الكنى والالقاب، الشيخ عباس القمي، الناشر، مكتبة الصدر ـ طهران
١٢١ ـ فهرست ابن النديم، ابن النديم البغدادي، تحقيق، رضا ـ تجدد
١٢٢ ـ الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، سنة الطبع، ١٤١٢، الناشر، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم المقدسة، تحقيق، نبيل رضا علوان، الطبعةالثانية
١٢٣ ـ تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، سنة الطبع، ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري

١٢٤ ـ الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، سنة الطبع، ١٤٢١هـ.ق، الناشر، اسوه ـ ايران ـ تهران
١٢٥ ـ دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، سنة الطبع، ١٤١٣، الناشر، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم، الطبعةالأولى
١٢٦ ـ عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي، سنة الطبع، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي
١٢٧ ـ قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد هادي الميلاني، سنة الطبع، تحقيق وتعليق: السيد محمد علي الميلاني ـ مشهد المقدسة / مراجعة وإشراف: السيد علي الحسينى الميلاني ـ قم المقدسة
١٢٨ ـ منهاج الصالحين، السيد السيستاني، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٤ المطبعة: مهر ـ قم، الناشر: مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني ـ قم

* * *

المحتويات

مقدمة المؤلف ٥
(مبحث تمهيدي) منهجية قراءة التاريخ الاسلامي ٩
تمهيد ٩
انقلاب الصورة ١٠
صحة ما في الكتب ١١
مرجعية التاريخ ١٢
أقسام التعامل مع التاريخ ١٤
سفسطات تاريخية ١٤
الآلية الصحيحة لقراءة التأريخ ١٥
كيف نقرأ التأريخ ١٦
قواعد لقراءة التاريخ ١٧
أوّلاً: التمييز بين الاحداث والوقائع الكلية من الجزئية ١٧
الثاني: ملاحظة الزمان بين المؤرخين ١٨
الثالث: ملاحظة المكان بين المؤرخين ١٨
الرابع: عرض النصوص التاريخية على القرآن والسنة ١٩
الخامس: ملاحظة المؤرخ من الناحية العقدية ٢٠
السادس: ملاحظة المؤرخ من كونه ناقل او معتقد ٢١
السابع: جمع الشواهد والقرائن ٢١

الثامن: الزمان والمكان من الناحية السياسية ٢١
التاسع: ملاحظة الحوادث المسندة من غيرها ٢٢
فذلكة الكلام ٢٢

المبحث الأول:
ادامان في طبق واحد؟

تمهيد ٢٥
ام كلثوم وإفطار الامام علي عليه السلام ٢٥
نص متن الرواية ٢٦
مفاد النص ٢٧
تاريخ ولادة النص ٢٩
نبذة عن العلامة المجلسي ٣٠
الادلة على عدم اثبات هذا النص ٣١
مناقشة الجانب السندي ٣١
الاول: خلوه من السند ٣١
الثاني: فاقد للجذور ٣٢
الثالث: بعد الراوي زماناً عن الحدث ٣٢
الرابع: بعد الراوي مكاناً عن الحدث ٣٣
مناقشة الجوانب الدلالية ٣٣
انعكاسات مغلوطة عن الزهد ٣٣
ما هو الزهد؟ ٣٦
عرض النص على القرآن ٣٨
الاساءة للسيدة زينب عليها السلام؟ ٤١
معارضة النص لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ٤٢
مخالفة المتن لسيرة النبي ٤٥
مخالفته لسيرة أهل البيت عليهم السلام ٤٨
ضرورة تعدد الآدام ٥١
معالجة الاجسام بالاجسام ٥٣

ماذا يقول التأريخ؟ ٥٥
زبدة المخاض ٥٦
تنويه..... ٥٨
من ثمار واهداف البحث ٥٩

المبحث الثاني:
الامام الحسين عليه السلام يطلب مبايعة يزيد؟

تمهيد..... ٦١
اجتماع الإمام الحسين عليه السلام مع ابن سعد..... ٦١
أول من نقل هذا النص..... ٦٣
نبذة عن الشيخ المفيد..... ٦٤
كتاب الارشاد في سطور ٦٥
النسخ المخطوطة لكتاب الإرشاد..... ٦٧
من هو الطبري؟ ٦٨
نبذة مختصرة عن تاريخ الطبري..... ٦٩
مناقشات سندية ٧٠
اولاً: فقدان النص للسند..... ٧١
ثانياً: البعد الزماني بين الناقل والمنقول عنه ٧١
ثالثاً: البعد المكاني بين الناقل والمنقول عنه..... ٧٢
رابعاً: المقتل المنسوب لابي مخنف ليس له..... ٧٣
خامساً: تفرد الطبري بنقل النص ٧٤
سادساً: نصوص معارضة ٧٤
سابعاً: اشاعات مغرضة..... ٧٥
مناقشات دلالية..... ٧٦
اولاً: لم يصدر النص من الامام عليه السلام ٧٦
ثانياً: الامام عليه السلام لن ينقض هدفة ٧٧
ثالثاً: خروج الامام عليه السلام بأمر إلهي ٧٨
رابعاً: مخالفة مبادئ الثورة الحسينية ٧٩
خامساً: اعلان الشهادة..... ٨٠

توظيف النص ٨١

المبحث الثالث:

صعود الحسنين على ظهر النبي ﷺ؟

تمهيد..... ٨٣
نص الروايتين..... ٨٤
المناقشات السندية..... ٨٥
أولاً: جذوره أجنبية عن تراثنا ٨٦
ثانياً: تفرد الامام ابن حنبل بنقله..... ٨٦
رابعاً: البعد الزماني والمكاني بين الناقل والمنقول ٨٦
المناقشات الدلالية ٨٧
أولاً: مخالفة فقهية ٨٧
ثانياً: ابعاد العصمة..... ٨٩
ثالثاً: عبادة المعصوم عليه السلام..... ٩١
رابعاً: وأوصاني بالصلاة ٩٢
خامساً: تكامل المعصوم عليه السلام منذ ولادته..... ٩٣
سادساً: فصاحة المعصوم عليه السلام في طفولته..... ٩٤
سابعاً: علم المعصوم عليه السلام في صباه ٩٦
ثامناً: فقاهة المعصوم عليه السلام في طفولته..... ١٠٠
تاسعاً: عبادة المعصوم عليه السلام في صغره..... ١٠٢
فذلكة البحث..... ١٠٥

المبحث الرابع:

(تسبيح الزهراء عليها السلام وطلب الخادم)

الزهراء عليها السلام تطلب خادما؟

تمهيد..... ١٠٧
تسبيح الزهراء عليها السلام في القرآن ١٠٨
شعيرة تسبيح الزهراء عليها السلام في الروايات..... ١٠٩

التهمة الملصقة في التسبيح ١١١
مناقشات سندية ١١٤
أجنبية النصوص عن تراثنا ١١٤
ضعف رجال رواتها..... ١١٦
البعد الزماني والمكاني بين الناقلين والنص..... ١١٧
نبذة عن ابي داود وسننه ١١٨
مناقشات دلالية..... ١١٩
عدم ذكره من قبل المعصوم عليه السلام..... ١١٩
عدم خصوصية التسبيح بالزهراء عليها السلام..... ١٢٠
تخصيص التسبيح في حال النوم..... ١٢٠
مخالفات أخلاقية..... ١٢١
مخالفات شرعية ١٢٣
مخالفات اخلاقية عرفية..... ١٢٤
مطابقات تاريخية ١٢٦
تاريخ تسبيح الزهراء عليها السلام..... ١٢٧
الدولة الاسلامية الفتية..... ١٢٨
فضة خادمة الزهراء..... ١٢٩

المبحث الخامس:
(عقيل والحديدة؟)
براءة عقيل بن ابي طالب من مصائد النصوص

تمهيد..... ١٣١
ذم عقيل في نهج البلاغة ١٣٢
وقفة مع كتاب نهج البلاغة..... ١٣٣
الملاحظات على نهج البلاغة ١٣٥
متن الرواية المسندة..... ١٣٦
مناقشة الرواية سندا..... ١٣٨
مناقشة المتن..... ١٤١

الأول: اضطراب المتن ١٤٢
ثانياً: اختلاف النسخ ١٤٢
ثالثاً: وصف عقيل بالظالم ١٤٢
رابعاً: العقاب سبق الجناية؟ ١٤٣
خامساً: الفاظ غير مناسبة ١٤٣
تناقض النصوص في هذا الشأن ١٤٤
التوظيف الاعلامي لفرية الحديدة ١٤٦
عقيل لم يسافر الى الكوفة ١٤٨
مخالفتها لسيرة عقيل ١٥٢
مخالفتها لمواقف عقيل الايمانية ١٥٣
عقيل على لسان النبي صلى الله عليه وآله ١٥٥
أنا حرب لمن حاربكم ١٥٧

المبحث السادس:

براءة عبيد الله بن العباس من قضبان التأريخ

تمهيد ١٥٩
أمير المؤمنين عليه السلام وابناء العباس ١٦٠
نبذة عن عبيدالله بن عباس ١٦١
نص الاتهام ١٦٢
مناقشة هذه التهمة ١٦٣
أولا: المؤرخ الذي ذكر التهمة بالتفصيل؟ ١٦٤
ثانيا: ملاحظة الراوي لهذه الفرية ١٦٤
ثالثاً: البعد المكاني للراوي ١٦٥
رابعاً: البعد العقدي للراوي ١٦٥
خامساً: ذكره روايات ونصوص مخالفة لسلوك اهل البيت عليهم السلام ١٦٦
سادساً: ملاحظة المتن ١٦٧
الشاهد الأول ١٧٠
الشاهد الثاني ١٧١

سابعاً: مراجعة تراث المؤرخين القدامى ١٧٢
ثامناً: مواقف عبيد الله بن عباس الإيمانية ١٧٣
تاسعاً: موقف عبيدالله بن العباس من معاوية ١٧٣
عاشراً: خلو الذم والاتهام لابن عباس في لسان أهل البيت عليهم السلام ١٧٥
ما قاله علماء الرجال في عبيد الله بن العباس ١٧٨
المناقشة ١٧٩
اقوال العلماء في تضعيف كتاب رجال الكشي ١٨٠
الخاتمة ١٨٢

المبحث السابع:
ويطعمون الطعام
(ثلاثة أيام بلياليها من دون طعام؟)

تمهيد ١٨٣
من اسباب الافتعالات التاريخية ١٨٤
الاختلاف في سبب نزول سورة الانسان ١٨٦
الرواية عند المحدثين ١٨٨
مناقشة سند الرواية ١٩٢
ملاحظات على رجال الرواية ١٩٣
جذور الرواية من غير أهل البيت عليهم السلام ١٩٥
جذور الرواية عند المفسرين ١٩٥
جذور الرواية عند المحدثين ١٩٦
ركاكة الاشعار الواردة في النص ١٩٧
أسباب تفعيل النص ١٩٨
الأول: التكريس الاعلامي ١٩٨
الثاني: التعصب العام ١٩٨
عرض الرواية على القرآن ٢٠٠
حرمة التبذير في القربات ٢٠١
القرآن لجميع الخلق ٢٠٢

مخالفة للمتبنيات ٢٠٤
اختلاف مضمون الرواية ٢٠٥
التقسيم العادل ٢٠٦
التقتير على العيال ٢٠٨
خصوصيتها بأهل البيت عليهم السلام ٢٠٩
يهودي ساكن قرب المسجد؟ ٢١١
امير المؤمنين والزهراء اجيران عند يهودي؟ ٢١٣
نذر الصبي ٢١٣
اختفاء السيدة زينب عليها السلام من القصة ٢١٥
آية النذر في روايات المعصوم عليه السلام ٢١٧
تفسير المعصوم عليه السلام لآية الاطعام ٢١٨
سند الرواية ٢٢٠
من هو الأسير؟ ٢٢٢
معنى الاسير في لسان المعصوم عليه السلام ٢٢٣

المبحث الثامن:
وحشي بن حرب في الميزان

تمهيد ٢٢٥
من هو وحشي؟ ٢٢٦
البلد الذي مات فيه ٢٢٧
وحشي يحدث عن قتله الحمزة ٢٢٩
اسلام وحشي ٢٣٠
كلام آخر في اسلامه ٢٣١
تحرير محل الكلام ٢٣٢
الاقوال السلبية في وحشي ٢٣٣
حجج القائلين بانحراف وحشي ٢٣٤
وحشي في زيارة حمزة ٢٣٧
الاقوال الايجابية في وحشي ٢٣٨

الاول: وحشي في القرآن من أهل الجنة ٢٣٨
الثاني: ايمان وحشي ٢٣٩
الثالث: وحشي في الحديث من أهل الجنة ٢٤٠
الرابع: أقوال العلماء في وحشي ٢٤٠
الخامس: وحشي من رواة حديث الغدير ٢٤١
السادس: وحشي في تراث علم الرجال ٢٤١
السابع: وحشي في لسان المعصوم عليه السلام ٢٤٢
الثامن: وحشي لم يغادر المدينة ٢٤٢
التاسع: تطبيق قاعدة الاستصحاب ٢٤٢
محصل الكلام ٢٤٣
سماحة السماء ٢٤٤

المبحث التاسع:
يزيد يستعبد الامام السجاد عليه السلام؟

تمهيد ٢٤٥
نص حديث استرقاق الامام عليه السلام ٢٤٥
مناقشات سندية ٢٤٧
وثاقة رجال الرواية ٢٤٧
وثاقة علي بن ابراهيم القمي ٢٤٧
وثاقة ابراهيم بن هاشم القمي ٢٤٨
وثاقة الحسن بن محبوب السراد ٢٤٩
وثاقة ابراهيم بن عيسى الخراز ٢٥٠
وثاقة بريد بن معاوية ٢٥١
وقفة مع كتاب الكافي ٢٥٢
نبذة عن الشيخ الكليني ٢٥٣
المسيرة العلمية للكليني ٢٥٤
وثاقة الشيخ الكليني ٢٥٥
تراث الكليني ٢٥٧

مميزات كتاب الكافي..... ٢٥٧
نسخ وتبويب الكافي..... ٢٥٩
مطابقة النسخ الحديثة على الاصل ٢٦٠
ابواب الكافي وأحاديثه ٢٦٢
مخالفة الحديث لكتب التاريخ والسير ٢٦٣
الامام السجاد عليه السلام وابن عقبة..... ٢٦٤
الظروف تمنع يزيد من السفر ٢٦٦
المواقف البطولية للامام عليه السلام ٢٦٧
نماذج من شجاعة الامام السجاد ٢٦٨
النموذج الاول: مع يزيد بن معاوية..... ٢٦٨
النموذج الثاني: موقف آخر مع يزيد بن معاوية..... ٢٧٠
النموذج الثالث: الامام عليه السلام مع ابن زياد ٢٧٢
مخالفة الحديث لاهداف الثورة الحسينية..... ٢٧٣
مثلي لا يبايع مثله..... ٢٧٤
هيهات منّا الذلة..... ٢٧٥
ولا أفرّ فرار العبيد ٢٧٥
المصادر والمراجع ٢٧٧
المحتويات ٢٨٧

* * *